# السيرة النبوية

## لابن هشام


أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

تحقيق: محمد بيومى


الجزء الرابع


مكتبة الإيمان

المنصورة أمام جامعة الأزهر

ت: ٢٢٥٧٨٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

رقم الايداع
٢٠٠٦/٢٣٧٠٣

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة - أمام جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

# عمرة القضاء

## فى ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجبا وشعبان [وشهر] رمضان وشوالا، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ. ثم خرج فى ذى العقدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، مكان عمرته التى صدوه عنها.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الديلى.

ويقال لها عمرة القصاص[١]، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست، فاقتص رسول الله ﷺ منهم، فدخل مكة فى ذى القعدة، فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله فى ذلك: ﴿**والحرمات قصاص**﴾[٢].

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه فى عمرته تلك، وهى سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه فى عسرة وجهد وشدة.

قال ابن إسحاق: فحدثنى من لا أتهم، عن ابن عباس، قال: صفوا له عند دار الندوة[٣] لينظروا إليه وإلى أصحابه؛ فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع[٤]

---

(١) قال السهيلى: «عمرة القضاء ويقال لها عمرة القصاص، وهذا الاسم أولى بها، وسميت عمرة القضاء لأن النبى ﷺ قاضى قريشاً عليها لا لأنه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها، فإنها لم تك فسدت بصدهم عن البيت، بل كانت عمرة تامة متقبلة. «الروض» (٤/ ٧٧) وقال الحافظ ابن حجر: «واختلف فى سبب تسميتها عمرة القضاء، فقيل المراد ما وقع من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذى كتب بينهم بالحديبية، فالمراد بالقضاء الفصل الذى وقع عليه الصلح، ولذلك يقال لها عمرة القضية. قال أهل اللغة: قاضى فلاناً عاهده، وقاضاه عاوضه، فيحتمل تسميتها بذلك لأمرين، قاله عياض. ويرجح الثانى تسميتها قصاصاً، قال الله تعالى: ﴿**الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص**﴾ قال السهيلى تسميتها عمرة القصاص أولى لأن هذه الآية نزلت فيها، قلت: كذا رواه ابن جرير وعبيد بن حميد بإسناد صحيح عن مجاهد وبه جزم سليمان التيمى فى: «مغازية» «فتح البارى» (٧/ ٥٠٠).

(٢) قال الحافظ: «وصله الحاكم فى «الإكليل» عن ابن عباس لكن فى إسناده الواقدى. «الفتح» (٧/ ٥٠٠).

(٣) صفوا له: أى اصطفوا وجلسوا صفوفاً، ودار الندوة هى التى كانوا يجتمعون فيها للشورى والرأى.

(٤) الاضطباع: أن يدخل بعض ردائه تحت عضده الأيمن ويجعل طرفه على منكبه الأيسر.

بردائه، وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم الركن، وخرج يهرول[١] ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليمانى، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرها. فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها، فمضت السنة بها.[٢]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر: أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخد بخطام[٣] ناقته يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير فى رسوله[٤]
يا رب إنى مؤمن بقيله ... أعرف حق الله فى قبوله[٥]
نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل[٦] الخليل عن خليله[٧]

قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين، والمشركون لم يقروا بالتنزيل، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل[٨].

---

(١) يهرول: من الهرولة وهى فوق المشى ودون الجرى.

(٢) أورد الطبرى فى «تاريخه»(٣/ ٢٣_٢٤) إسناد ابن إسحاق لهذه الرواية، وهو إسناد ضعيف جدًا فيه الحسن بن عمارة وهو متروك كما فى«التقريب»(١/ ١٦٩).

(٣) الخطام: حبل تقاد به الناقة. (٤) سبيله: طريقه التى أنتهجها له الله تعالى. (٥) قيله: قوله.

(٦) الهام: جمع هامة، المراد هنا الرأس. ومقيل الهام: الأعناق. ويذهل: يشغل.

(٧)هذه الرواية وردت عن أنس بن مالك من عدة طرق، فقد رواها عبدالرزاق من وجهين كما فى«الفتح»(٧/ ٥٠١) ورواه أبو يعلى من طريقه (برقم ٣٤٤٠، ٣٥٧١ ، ٣٥٧٩) ورواه من طريق عبد الله بن المقدمى، برقم (٣٣٩٤) ورواه الترمذى (٢٨٥١) والنسائى (٥/ ٢٠٢) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٢٩٢) والبيهقى (١٠/ ٢٢٨) والبغوى فى «شرح السنة» (٣٤٠٤ ، ٣٤٠٥) والبزار فى «كشف الأستار» (٢٠٩٩) وأبو زرعة الدمشقى فى تاريخه (١١٥٣) وابن حبان (٢٠٢١_ موارد) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ١٣٠) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وصححه الألبانى فى «صحيح سنن النسائى» (٢/ ٦٠٤).

(٨) قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٥٠١) «زعم ابن هشام فى مختصر السيرة أن قوله «نحن ضربناكم على تأويله» إلى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم صفين، قال: ويؤيده أن المشركين لم يقروا بالتنزيل، وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل» انتهى. وإذا ثبتت الرواية فلا مانع من إطلاق ذلك، فإن التقرير على رأى ابن هشام: نحن ضربناكم على تأويله، أى حتى تذعنوا إلى ذلك التأويل. ويجوز أن يكون التقدير: نحن ضربناكم على تأويل ما فهمنا منه حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه. وإذا كان كذلك محتملاً وثبتت الرواية سقط الاعتراض. نعم الرواية التى جاء فيها: فاليوم نضربكم على تأويله يظهر أنها قول عمار، ويبعد أن تكون قول ابن رواحة لأنه لم يقع فى عمرة القضاء ضرب ولا قتال وصحيح الرواية:

نحن ضربناكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله

يشير بكل منهما إلى ما مضى، ولا مانع أن يتمثل عمار بن ياسر بهذا الرجز ويقول هذه اللفظة». اهـ.

**زواج الرسول بميمونة:** قال ابن إسحاق: وحدثنى أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح، عن عطاء بن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج، عن أبى عباس: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك وهو حرام، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب[1].

قال ابن هشام: وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل، وكانت أم الفضل

---

(١) إسناده صحيح. ورواه البخارى (٤/ ٥١، ٧/ ٥٠٩، ٩/ ١٦٥) وابن سعد فى «الطبقات» (٨/ ١٣٥) والنسائى (٥/ ١٩٢). وفى هذا الحديث إشكال حيث وردت روايات أخرى صحيحة عن غير ابن عباس تفيد أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال. وللعلماء اجتهادات فى الجمع بين القولين. قال الحافظ ابن حجر: «وقد اختلف فى تزويجه فالمشهور عن ابن عباس أن النبى ﷺ تزوجها وهو محرم وصح نحوه عن عائشة وأبى هريرة، وجاء عن ميمونة نفسها أنه كان حلالاً، وعن أبى رافع مثله وأنه كان الرسول إليها.. واختلف العلماء فى هذه المسألة، فالجمهور على المنع لحديث عثمان: **«لا ينكح المحرم ولا ينكح»** أخرجه مسلم. وأجابوا عن حديث ميمونة بأنه اختلف فى الواقعة كيف كانت ولا تقوم بها الحجة ولأنها تحتمل الخصوصية، فكان الحديث فى النهى عن ذلك أولى بأن يؤخذ به ، وقال عطاء وعكرمة من أهل الكوفة: يجوز للمحرم أن يتزوج كما يجوز له أن يشترى الجارية للوطء، وتعقب بأنه قياس فى معارضة السنة فلا يعتبر به، وأما تأويلهم حديث عثمان بأن المراد به الوطء فمتعقب بالتصريح فيه بقوله: **«ولا ينكح»** بضم أوله، وبقوله فيه **«ولا يخطب»**. اهـ «الفتح» (٤/ ٥٢) وقال أيضاً رحمه الله: «قال الأشرم: قلت لأحمد إن أبا ثور يقول بأى شىء يدفع حديث ابن عباس ـ أى مع صحته ـ قال فقال: الله المستعان، ابن المسيب يقول: وهم ابن عباس، وميمونة تقول تزوجنى وهو حلال وقد عارض حديث ابن عباس حديث عثمان **«لا ينكح المحرم ولا ينكح»** أخرجه مسلم، ويجمع بينه وبين حديث ابن عباس بحمل حديث ابن عباس على أنه من خصائص النبى ﷺ. وقال ابن عبد البر: اختلفت الآثار فى هذا الحكم، لكن الرواية أنه تزوجها وهو حلال، جاءت من طرق شتى، وحديث ابن عباس صحيح الإسناد لكن الوهم إلى الواحد أقرب إلى الوهم من الجماعة فأقل أحوال الخبرين أن يتعارضا فتطلب الحجة من غيرهما، وحديث عثمان صحيح فى منع نكاح المحرم فهو المعتمد. اهـ (قال الحافظ) ويترجح حديث عثمان بأنه تقعيد قاعدة وحديث ابن عباس واقعة عين تحتمل أنواعاً من الاحتمالات: فمنها أن ابن عباس كان يرى أن من قلد الهدى يصير محرماً... والنبى ﷺ كان قد قلد الهدى فى عمرته تلك التى تزوج فيها ميمونة، فيكون إطلاقه أنه ﷺ تزوجها وهو محرم أى عقد عليها بعد أن قلد الهدى وإن لم يكن تلبس بالإحرام، وذلك أنه كان أرسل إليها أبا رافع يخطبها فجعلت أمرها إلى العباس فزوجها من النبى ﷺ.. ومنها أن قول ابن عباس تزوج ميمونة وهو محرم أى داخل الحرم أو فى الشهر الحرام.. وإلى هذا التأويل جنح ابن حبان فجزم به فى صحيحه. وعارض حديث ابن عباس أيضاً حديث يزيد بن الأصم «أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال» أخرجه مسلم من طريق الزهرى قال «وكانت خالته كما كانت خالة ابن عباس» وأخرج مسلم من وجه آخر عن يزيد بن الأصم قال «حدثتنى ميمونة أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال، قال: وكانت خالتى وخالة ابن عباس» وأما أثر ابن المسيب الذى أشار إليه أحمد فأخرجه أبو داود، وأخرجه البيهقى من طريق الأوزاعى عن عطاء عن ابن عباس الحديث. قال: وقال سعيد بن المسيب ذهل بن عباس وإن كانت خالته ما تزوجها إلا بعد ما أحل، قال الطبرى: الصواب من القول عندنا أن نكاح المحرم فاسد لصحة حديث عثمان، وأما قصة ميمونة فتعارضت الأخبار فيها ثم ساق من طريق أيوب قال: انبئت أن الاختلاف فى زواج ميمونة إنما وقع لأن النبى ﷺ كان بعث إلى العباس لينكحها إياه فأنكحه، فقال بعضهم أنكحها قبل أن يحرم النبى ﷺ، وقال بعضهم بعد ما أحرم، وقد ثبت أن عمر وعلياً وغيرهما من الصحابة فرقوا بين محرم نكح وبين امرأته ولا يكون هذا إلا عن ثبت» اهـ «الفتح» (٩/ ١٦٥ـ ١٦٦).

تحت العباس، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس، فزوجها رسول الله ﷺ بمكة، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا، فأتاه حويطب بن عبد العزي بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، فى نفر من قريش، فى اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة؛ فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج عنا؛ فقال النبى ﷺ: وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه. قالوا: لا حاجة لنا فى طعامك، فاخرج عنا فخرج رسول الله ﷺ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها بسرف[١]،[٢] فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة.

**ما جاء من القرآن فى عمرة القضاء:** قال ابن هشام: فأنزل الله عز وجل عليه، فيما حدثنى أبو عبيدة: ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**﴾[٣] يعنى خيبر.

## ذكر غزوة مؤتة

### فى جمادى الأولى سنة ثمان، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق: فأقام بها بقية ذى الحجة، وولى تلك الحجة المشركون، والمحرم وصفرا وشهرى ربيع، وبعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة[٤].

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس[٥].

---

(١) سَرِفْ: مكان قريب من التنعيم وفيه أيضًا ماتت ميمونة رضى الله عنها.

(٢) رواه الحاكم فى «المستدرك» (٤/ ٣١) من طريق ابن إسحاق عن ابن عباس رضى الله عنهما، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٣) الفتح: ٢٧.

(٤) مؤتة: اسم موضع من أرض الشام، قال ابن إسحاق: هى بالقرب من البلقاء. وقال غيره هى على مرحلتين من بيت المقدس «الفتح» (٧/ ٥١١).

(٥) إسناده مرسل. وروى البخارى (٧/ ٥١٠) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «أمَّرَ رسول الله ﷺ فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: «إن قتل زيدٌ فجعفرٌ وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة». قال عبد الله كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب، فوجدناه فى القتلى ووجدنا ما فى جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية».

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ عليهم. فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى؛ فقالوا: ما يبكيك يابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا**﴾[1]، فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود؛ فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين؛ فقال عبد الله بن رواحة:

لكنى أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا[2]

أو طعنة بيدى حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا[3]

حتى يقال إذا مروا على جدثى ... أرشده الله من غاز وقد رشدا[4]

قال ابن إسحاق: ثم إن القوم تهيئوا للخروج، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودعه، ثم قال:

فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا[5]

إنى تفرست فيك الخير نافلة ... الله يعلم أنى ثابت البصر[6]

أنت الرسول فمن يُحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر

قال ابن هشام: أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات:

أنت الرسول فمن يحرم نوافله ... والوجه منه فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن ... فى المرسلين ونصرا كالذى نصروا

إنى تفرست فيك الخير نافلة ... فراسة خالفت فيك الذى نظروا

يعنى المشركين؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا ودعهم

---

(١) مريم: ٧١.

(٢) ذات فرغ: يريد واسعة. والزبد فى الأصل الرغوة، وأراد هنا شدة تدفق الدم.

(٣) مجهزة: سريعة القتل. وتنفذ الأحشاء: تخرقها وتصل إليها.

(٤) الجدث: هو القبر.

(٥) ثبت الله: قواه وأيده وجعل له الغلبة. وما آتاك من حسن: يريد به الدين المتين.

(٦) تفرست: تبينت. ونافلة: هبة من الله وعطية منه.

وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرىء ودعته ... في النخل خير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان، من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب، من أرض البلقاء، فى مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضى له.

قال: فشجع الناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التى تكرهون، للتى خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة. فمضى الناس؛ فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك:

جلبنا الخيل من أجأ وفرع ... تُغر من الحشيش لها العكوم[1]
حذوناها من الصوان سبتا ... أزل كأن صفحته أديم[2]
أقامت ليلتين على معان ... فأعقب بعد فترتها جموم[3]
فرحنا والجياد مسومات ... تنفس فى مناخرها السموم[4]
فلا وأبى مآب لنأتينها ... وإن كانت بها عرب وروم[5]
فعبأنا أعنتها فجاءت ... عوابس والغبار لها بريم[6]
بذى لجب كأن البيض فيه ... إذا برزت قوانسها النجوم[7]
فراضية المعيشة طلقتها ... أسنتها فتنكح أو تئيم[8]

(١) أجأ: أحد جبلى طىء والجبل الآخر سلمى، وفرع: مكان بأجأ. وتغر: أى تطعم شىء بعد شىء. والعكوم: جمع عكم وهو الجنب.

(٢) حذوناها: جعلنا لها حذاء، والحذاء: النعل. والصوان: حجارة ملس واحدتها صوانة. والسبت: النعال التى تصنع من الجلد المدبوغ. وأزل: أملس ظاهر الصفحة. والأيم: الجلد.

(٣) معان: اسم موضع. والجموم: استراحة الفرس، وأراد منه ههنا استعداده ونشاطه.

(٤) مسومات: مرسلات أو معلمات. والسموم: الريح الحارة. (٥) مآب: اسم موضع.

(٦) البريم: هو فى الأصل خيط تنظمه المرأة ثم تشده على وسطها، وأراد ههنا الحزام

(٧) بذى لجب: كثرة الأصوات واختلاطها. وذو اللجب: الجيش. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة. والنجوم: خبر كأن، وجملة الشرط وجوابه المحذوف معترضة. (٨) تئيم: تبقى بغير زوج.

قال ابن هشام: «ويروى: جلبنا الخيل من آجام قرح»[1]، وقوله: «فعبأنا أعنتها» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أديتنى وحملت رحلى ... مسيرة أربع بعد الحساء[2]
فشأنك أنعم وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلى ورائى[3]
وجاء المسلمون وغادرونى ... بأرض الشام مشتهى الثواء[4]
وردك كل ذى نسب قريب ... إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء[5]

فلما سمعتهن منه بكيت. قال: فخفقنى[6] بالدرة، وقال: ما عليك يالكع[7] أن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى الرَّحْل![8]

قال: ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يا زيد زيد اليعملات الذبل ... تطاول الليل هديت فانزل[9]

**لقاء الروم وحلفائهم:** قال ابن إسحاق: فمضى الناس، حتى إذا كانوا بتخوم[10] البلقاءلقيتهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لها المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة، يقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك.

---

(١) قرح: اسم موضع.
(٢) أصل الحساء: جمع حسى، والحسى: ماء يغور فى الرمل فإذا بحثت عنه وجدته.
(٣) ولا أرجع: جزم هذا الفعل على الدعاء، يدعو على نفسه بأن يستشهد فى هذه الوقعة ولا يرجع إلى أهله.
(٤) الثواء: الإقامة.
(٥) البعل: الذى يشرب بعروقه من الأرض، والعذى: الذى يشرب من ماء السماء.
(٦) خفقنى: ضربنى. والدرة: العصا.
(٧) اللكع: اللئيم أو الأحمق.
(٨) شعبتا الرحل: طرفاه المقدم والمؤخر.
(٩) اليعملات: جمع يعملة، وهى الناقة السريعة، والذبل: التى أضعفها السير فقل لحمها.
(١٠) التخوم: حدود الأرضين التى تقع بين أرض وأرض.

قال ابن هشام: ويقال عبادة بن مالك.

**مقتل زيد بن حارثة:** قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم[١].

**مقتل جعفر:** ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس[٢] له شقراء، فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل. فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام.

وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: حدثنى أبى الذى أرضعنى وكان أحد بنى مرة بن عوف، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل[٣] وهو يقول:

يا حـــبذا الجـــنة واقتـــرابهـــا ... طيبة وبـــــاردا شـــرابهـــــا

والروم روم قـــد دنـــا عـــذابها ... كـــافرة بعيـــدة أنســـابهـــــا

علـــى إذ لاقيتهـــا ضـــرابهـــا

قال ابن هشام: وحدثنى من أثق به من أهل العلم: أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شا[٤]ء ويقال: إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة، فقطعه بنصفين.

**مقتل عبد الله بن رواحة:** قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: حدثنى أبى الذى أرضعنى، وكان أحد بنى مرة بن عوف، قال: فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدم بها، وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بعض التردد، ثم قال:

---

(١) شاط فى رماح القوم: أى هلك.

(٢) اقتحم عن فرس له: أى رمى بنفسه عنها، يريد أنه كان فارساً فترجل.

(٣) إسناده حسن. وأخرجه أبو داود (٢٥٧٣)من طريق ابن إسحاق، وحسنه الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٥١١) وكذا حسنه الألبانى فى «صحيح سنن أبى داود» (٢/ ٤٨٩).

(٤) عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **رأيت جعفر ملكاً يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين**»رواه أبو يعلى (١١/ ٣٥٠) والترمذى (٤٠٣٤) والحاكم (٣/ ٢٠٩) وصححه الألبانى فى «صحيحة» (١٢٢٦) وكان عبد الله ابن عمر إذا سلَّم على عبد الله بن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذى الجناحين» رواه البخارى (٧/ ٧٥).

| | |
|---|---|
| أقسمت يا نفس لتنزلنه | لتنـزلـن أو لتكـرهنـه |
| إن أجلب الناس وشـدوا الرنه | مالـى أراك تكـرهـين الجـنه |
| قد طـال ما قـد كنت مطمئنة | هـل أنت إلا نطفـه فـى شنه |

وقال أيضا:

| | |
|---|---|
| يـا نفـس إلا تقتـلى تمـوتى | هذا حـمام المـوت قـد صليت |
| ومـا تمنيـت فقـد أعطيت | إن تفـعلى فعلهما هـديت |

يريد صاحبيه: زيدا وجعفرا؛ ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمه فى ناحية الناس، فقال وأنت فى الدنيا؟! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قتل.

**إمارة خالد**: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم، وخاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس.

**الرسول يتنبأ بما حدث**: قال ابن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ، فيما بلغنى: أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً؛ قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً؛ ثم قال: لقد رفعوا إلى فى الجنة، فيما يرى النائم، على سرر من ذهب، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل لى: مضيا وتردد عبد الله بعض التردد، ثم مضى[(١)].

**حزن الرسول على جعفر**: قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن أم عيسى الخزاعية، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب، عن جدتها أسماء بنت عميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين منا - قال ابن هشام: ويروى أربعين منيئة - وعجنت عجينى، وغسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم. قالت: فقال لى رسول الله ﷺ: ائتينى ببنى جعفر؛ قالت: فأتيته بهم، فتشممهم وذرفت عيناه، فقلت يارسول الله، بأبى أنت وأمى، ما يبكيك؟

---

(١) إسناده صحيح. وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٦٠) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أصيبوا هذا اليوم. قالت: فقمت أصيح، واجتمعت إلى النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم(١).

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن. قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله، إن النساء عنيننا وفتننا؛ قال فارجع إليهم فأسكتهن. قالت: فذهب ثم رجع، فقال له مثل ذلك ـ قال: تقول وربما ضر التكلف أهله ـ قالت: قال: فاذهب فأسكتهن، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب، قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ. قالت: وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثي في أفواههن التراب(٢).

قال ابن إسحاق: وقد كان قطبة بن قتادة العذري، الذي كان على ميمنة المسلمين، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله، فقال قطبة بن قتادة:

طعنت ابن زافلة بن الإرا ... ش برمح مضى فيه ثم انحطم(٣)
ضربت على جيده ضربة ... فمال كما مال غصن السلم(٤)
وسقنا نساء بني عمه ... غداة رقوقين سوق النعم(٥)

قال ابن هشام: قوله: «ابن الإراش» عن غير ابن إسحاق.

والبيت الثالث عن خلاد بن قرة؛ ويقال: مالك بن رافلة.

**ما قالته كاهنة حدس:** قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنة من حدس(٦) حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلا، قد قالت لقومها من حدس، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم ـ أنذركم قوما خرزاً(٧)، ينظرون شزرا(٨)، ويقودون الخيل تترى(٩)،

---

(١) إسناده حسن. وراه أحمد (٦/ ٣٧٠) وابن ماجه (١٦١١) من طريق ابن إسحاق وحسنة الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٦٩).

(٢) إسناده صحيح. ورواه بنحوه البخارى(٣/ ١٦٦) كتاب الجنائز، باب: من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن. ومسلم(٢١٢٦) كتاب الجنائز، باب: التشديد فى النياحة، والنسائي(٤/ ١٤ـ١٥) كتاب الجنائز، باب: النهى عن البكاء على الميت.

(٣) انحطم: انكسر.

(٤) الجيد: العنق، والسلم: ضرب من الشجر.

(٥) رقوقين: اسم موضع.

(٦) حدس قبيلة من لخم، ولخم من اليمن.

(٧) خرزاً: جمع أخرز، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر.

(٨) شزراً: هو نظر العداوة.

(٩) تترى: أى تتابعاً.

ويهريقون دما عكرا[١]. فأخذوا بقولها، واعتزلوا من بين لخم؛ فلم تزل بعد أثرى حدس[٢]. وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حدس، فلم يزالوا قليلا بعد. فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا.

**الرسول يلتقى بالأبطال**: قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون. قال: ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، أعطونى ابن جعفر، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون يافرار، فررتم فى سبيل الله! قال: فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.[٣]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام: وهم أخواله، عن أم سلمة زوج النبى ﷺ، قال: قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: ما لى لاأرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فرار، فررتم فى سبيل الله، حتى قعد فى بيته فما يخرج[٤].

**ما قيل من الشعر فى غزوة مؤتة**: قال ابن إسحاق: وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم، قيس بن المسحَّر اليعمرى، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس:

فوالله لا تنفك نفسى تلومنى ... على موقفى والخيل قابعة قبل[٥]
وقفت بها لا مستجيرا فنافذاً ... ولا مانعا من كان حم له القتل[٦]
على أننى آسيت نفسى بخالد ... ألا خالد فى القوم ليس له مثل[٧]
وجاشت إلىَّ النفس من نحو جعفر ... بمؤتة إذ لا ينفع النابل النبل[٨]
وضم إلينا حجزتيهم كليهما ... مهاجرة لا مشركون ولا عزل[٩]

---

(١) العكر: المتعكر: تريد المختلط. (٢) يريد أنها كانت بعد ذلك أكثر قومها مالاً وأعظمهم ثروة.
(٣) إسناده مرسل. ورواه ابن سعد فى«الطبقات»(٢/ ١٢٩) والطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٤٢) من طريق ابن إسحاق.
(٤) فى إسناده جهالة. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٤٢) من طريق ابن إسحاق.
(٥) قابعة: معناها منقبضة فى مكانها. والقبل: بضم القاف وسكون الباء - جمع أقبل، وهو الذى تميل عينه عند النظر إلى جهة العين الأخرى وربما فعلت الخيل ذلك حدة ونشاطاً.
(٦) حم: أى قدر عليه الموت. (٧) آسيت نفسى بخالد: أى اقتديت به فيما صنع، وألا: استفتاح.
(٨) جاشت: رجعت أو ارتفعت. والنابل: صاحب النبل.
(٩) حجزتيهم: ناصيتهم. والعزل: جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه.

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقق انحياز خالد بمن معه.

قال ابن هشام: فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه: أمرَّ المسلمون عليهم خالد بن الوليد، ففتح الله عليهم، وكان عليهم حتى قفل إلى النبى ﷺ.

قال ابن إسحاق: وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت:

تأوبنى ليل بيثرب أعسر ... وهم إذا ما نوم الناس مسهر[1]
لذكرى حبيب هيجت لى عبرة ... سفوحا وأسباب البكاء التذكر[2]
بلى إن فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوب وخلفا بعدهم يتأخر[3]
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأسباب المنية تخطر[4]
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر[5]
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبىّ إذا سيم الظلامة مجسر[6]
فطاعن حتى مال غير موسد ... لمعترك فيه قنا متكسر[7]
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر[8]
وكنا نرى فى جعفر من محمد ... وفاء وأمراً حازما حين يأمر
فما زال فى الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا يزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويقهر[9]
بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... على ومنهم أحمد المتخير[10]

---

(١) تأوبنى: عادنى ورجع إلى. وأعسر: شديد العسر. ومسهر: داع إلى السهر ومانع من النوم.
(٢) العبرة: الدمعة. والسفوح: السائلة أو شديدة السيلان.
(٣) شعوب: جمع شعب وهو القبيلة. وخلفاً: الذى يأتى بعدهم.
(٤) تخطر: الاختيال فى المشى والتبختر.
(٥) ميمون النقيبة: يريد أنه مسعود منجح فيما يطلبه. وازهر: اى أبيض.
(٦) الأبى: العزيز الذى يأبى الضيم، أى يمتنع من قبوله. وسيم: كلف والمجسر: الشديد الجسارة.
(٧) المعترك: موضع الحرب. (٨) الحدائق: جمع حديقة، وهى الجنة.
(٩) الرضام: الحجارة المرضومة، وهى المجموعة فوق بعضها. والطود: الجبل. ويروق: يعجب.
(١٠) البهاليل: جمع بهلول وهو السيد.

وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر

بهم تفرج اللأواء فى كل مأزق ... عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر[1]

هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم، وفيهم ذا الكتاب المطهر

وقال كعب بن مالك:

قام العيون ودمع عينك يهمل ... سحا كما وكف الطباب المخضل[2]

فى ليلة وردت على همومها ... طوار أحن وتارة أتململ[3]

واعتادنى حزن فبت كأننى ... ببنات نعش والسماك موكل

وكأنما بين الجوانح والحشى ... مما تأوبنى شهاب مدخل[4]

وجْدا على النفر الذين تتابعوا ... يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا

صلى الإله عليهم من فتية ... وسقى عظامهم الغمام المسبل[5]

صبروا بمؤتة للإله نفوسهم ... حذر الردى ومخافة أن ينكلوا[6]

فمضوا أمام المسلمين كأنهم ... فُنُق عليهن الحديد المرفل[7]

إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأول

حتى تفرجت الصفوف وجعفر ... حيث التقى وعث الصفوف مجدل[8]

فتغير القمر المنير لفقده ... والشمس قد كسفت وكادت تأفل[9]

قرم علا بنيانه من هاشم ... فرعا أشم وسؤددًا ما ينقل[10]

قوم بهم عصم الإله عباده ... وعليهمُ نزل الكتاب المنزل

فضلوا المعاشر عزة وتكرما ... وتغمدت أحلامهم من يجهل[11]

لا يطلقون إلى السفاه حُباهم ... ويرى خطيبهم بحق يفصل[12]

---

(١) اللأواء: الشدة. والمأزق: المكان الضيق. والعماس: المظلم، يريد عند ارتفاع الغبار عليه.

(٢) يهمل: يسيل. وسحاً: صباً. ووكف: قطر. والطباب: ثقب فى خرز المزادة التى يجعل فيها الماء. والمخضل: اسم فاعل من أخضل، إذا تندى.

(٣) أتململ: أتقلب.

(٤) الجوانح: عظام أسفل الصدر. والشهاب: القطعة من النار. ومدخل: اسم مفعول من أدخل.

(٥) المسبل: المطر. (٦) ينكلوا: يرجعوا عن عدوهم هائبين له.

(٧) فنق: جمع فنيق، وهو الفحل من الإبل. والمرفل: الذى تجر أطرافه على الأرض.

(٨) الوعث: الرمل الذى تغيب فيه الأرجل. ومجدل: مطروح على الجدالة وهى الأرض.

(٩) تأفل: تغيب. (١٠) القرم: أصله الفحل من الإبل، وأراد منه ههنا السيد.

(١١) تغمدت أحلامهم من يجهل: أى سترت أهل الجهل.

(١٢) الحبى: جمع حبوة والحبوة أن يشبك المرء أصابع يديه فى بعض ويجعلها فى ركبتيه إذا جلس، وربما احتبى الناس بحمائل السيوف ونحوها.

بيض الوجوه ترى بطون أكفهم تندى إذا اعتذر الزمان الممحل[١]
وبهديهم رضـى الإلـه لخلقه وبحـدهم نُصر النبى المرسـل[٢]

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه:

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر حِـب النبـى علـى البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعيت لى مـن للجلاد لدى العقاب وظلها[٣]
بالبيض حين تسل من أغمادها ضربا وإنهـال الرماح وعـلها[٤]
بعـد ابـن فاطـمة المبارك جعفر خـير البـرية كلهـا وأجلها:[٥]
رزءا وأكرمهـا جـميعا محتدا وأعزهـا متظلمـا وأذلهـا:
للحق حـين ينـوب غير تنحل كذبا، وأنداها يـداً، وأقـلها:[٦]
فحشا، وأكثرها إذا مـا يجتدى فضلا، وأبذلها ندى، وأبلها:[٧]
بالعـرف غيـر محـمد لامثله حـى مـن أحـياء البرية كلها

وقال حسان بن ثابت فى يوم مؤتة يبكى زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة:

عين جودى بدمعك المنزور واذكرى فى الرخاء أهل القبور[٨]
واذكرى مؤتة وما كان فيها يوم راحوا فى وقعة التغوير[٩]
حين راحوا وغادروا ثم زيدا نعم مأوى الضريك والمأسور[١٠]
حب خير الأنام طرا جميعا سيد الناس حبه فى الصدور
ذاكم أحمد الذى لاسواه ذاك حزنى له معاً وسرورى
إن زيدا قد كان منا بأمر ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودى للخزرجى بدمع سيدا كان ثم غير نزور[١١]
قد أتانا من قتلهم ما كفانا فبحزن نبيت غير سرور

---

(١) الممحل: هو من المحل، وهو الشدة والقحط.
(٢) بحدهم: أى أقدامهم وشجاعتهم فى أوقات النزال. (٣) العقاب فى هذا المكان: الراية.
(٤) الإنهال: أن تسقى الناس بعد الشراب الأول، وهو معطوف على قوله الجلاد فى البيت السابق. والعل: الشرب الثانى.
(٥) فاطمة ههنا: هى أم جعفر وعلى ابنى أبى طالب رضى الله عنهما، وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم.
(٦) التنحل: الانتحال، والتنحل: الكذب أيضاً.
(٧) يجتدى: تطلب جدواه، والجدوى هى المنحة والعطية.
(٨) المنزور: القليل، وذلك لانه بكى حتى فرغ دمعه.
(٩) التغوير: الإسراع، يريد الانهزام. (١٠) الضريك: الفقير.
(١١) أراد بالخزرجى عبد الله بن رواحة. والنزور: القليل العطاء.

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة:

كفى حزنا أنى رجعت وجعفر ... وزيد وعبد الله فى رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم ... وخلفت للبلوى مع المتغبر(1)
ثلاثة رهط قدموا فتقدموا ... إلى ورد مكروه من الموت أحمر

**تسمية شهداء مؤتة:** وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة.

من قريش، ثم من بنى هاشم: جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، وزيد بن حارثة رضى الله عنه.

ومن بنى عدى بن كعب: مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة.

ومن بنى مالك بن حسل: وهب بن سعد بن أبى سرح.

ومن الأنصار، ثم من بنى الحارث بن الخزرج: عبدالله بن رواحة، وعباد بن قيس.

ومن بنى غنم بن مالك بن النجار: الحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم.

ومن بنى مازن بن النجار: سراقه بن عمرو بن عطية بن خنساء.

قال ابن هشام: وممن استشهد يوم مؤتة، فيما ذكر ابن شهاب:

من بنى مازن بن النجار: أبو كليب وجابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف ابن مبذول وهما لأب وأم.

ومن بنى مالك بن أفصى: عمرو وعامر، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى.

قال ابن هشام؛ ويقال أبو كلاب وجابر، ابنا عمرو.

## ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة

### فى شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا.

**ما وقع بين بنى بكر وخزاعة:** ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على

(1) قضوا نحبهم: يريد ماتوا. والمتغبر: الباقى.

خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمى، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجرا، فلما توسط أرض خزاعة، عدوا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزن الديلى - وهم منخر[1] بنى كنانة وأشرافهم - سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم[2].

قال ابن إسحاق. وحدثنى رجل من بنى الديل، قال: كان بنو الأسود ابن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين، ونودى دية دية، لفضلهم فينا.

قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم، كما حدثنى الزهرى، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه؛ فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده.

قال ابن إسحاق: فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رزن، فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بنى بكر تابعه حتى بيت خزاعة وهم على الوتير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلا، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم، فلعمرى إنكم لتسرقون؛ فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجلا مفئودا[3] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك فأما أنا

(١) منخر بنى كنانة: يعنى المتقدمين منهم لأن الأنف هو المقدم من الوجه.
(٢) أنصاب الحرم: أراد بها الحجارة المنصوبة التى وضعت لتكون علامات وحدوداً بين الحل والحرام.
(٣) مفئوداً: أى ضعيف الفؤاد.

فوالله إنى لميت، قتلونى أو تركونى، لقد انبت فؤادى[١]، وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبها فقتلوه، فلما دخلت خزاعة مكة، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع؛ فقال تميم ابن أسد يعتذر من فراره عن منبه:

| | |
|---|---|
| لما رأيت بنى نفاثة أقبلوا | يغشون كل وتيرة وحجاب[٢] |
| صخرا ورزنا لاعريب سواهم | يُزْجون كل مقلص خناب[٣] |
| وذكرت ذحلا عندنا متقادما | فيما مضى من سالف الأحقاب[٤] |
| ونشيت ريح الموت من تلقائهم | ورهبت وقع مهند قضاب[٥] |
| وعرفت أن من يثقفوه يتركوا | لحما لمجرية وشلو غراب[٦] |
| قومت رجلا لا أخاف عثارها | وطرحت بالمتن العراء ثيابى[٧] |
| ونجوت لا ينجو نجائى أحقب | علج أقب مشمر الأقراب[٨] |
| تلحى ولو شهدت لكان نكيرها | بولاً يبل مشافر القَبْقاب[٩] |
| القوم أعلم ما تركت منبها | عن طيب نفس فاسألى أصحابى |

قال ابن هشام: وتروى لحبيب بن عبد الله الأعلم الهذلى. وبيته: «وذكرت ذحلا عندنا متقادما» عن أبى عبيدة، وقوله: «خناب» و«علج أقب مشمر الأقراب» عنه أيضا.

قال ابن إسحاق: وقال الأخزر بن لعْط الديلى، فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب:

| | |
|---|---|
| ألا هل أتى قصوى الأحابيش أننا | رددنا بنى كعب بأفوق ناصل[١٠] |

---

(١) انبَتَّ فؤادى: أى انقطع، والبت: القطع.

(٢) الوتيرة: الأرض الممتدة. والحجاب ههنا: ما اطمأن من الأرض

(٣) لاعريب: يريد لا أحد. ويزجون: يسوقون. والمقلص: الفرس المشمر. والخناب: الواسع المنخرين.

(٤) الزحل: طلب الثأر. والأحقاب: السنون.

(٥) نشيت: شممت. ورهبت: خفت. والمهند: السيف. والقضاب: القاطع.

(٦) المجرية: اللبؤة التى لها أجراء: أى أولاد صغار. والشلو: بقية الجسد .

(٧) المتن: ما ظهر من الأرض وارتفع. والعراء: الخالى الذى لا يخفى فيه شىء .

(٨) نجوت: أسرعت. والأحقب: حمار الوحش إذا كان أبيض موضع الحقيبة، وموضع الحقيبة مؤخره. والعلج: الغليظ من حمر الوحش. والأقب: الضامر البطن. ومشمر الأقراب: أى منقبض، والأقراب: جمع قرب، وهو الخاصرة وما يليها.

(٩) تلحى: تلوم. والمشافر ههنا: النواحى والجوانب. والقبقاب: من أسماء الفرج

(١٠) القصوى: أنثى الأقصى، وهو البعيد. والأحابيش: الذين حالفوا قريشاً من القبائل ودخلوا فى عهدها ووثقوا أمرها. وبأفوق ناصل: هو من قول العرب رددته بأفوق ناصل، إذا رددته خائباً، والأصل فيه أن الأفوق هو السهم الذى انكسر فوقه أى طرفه الذى يكون من ناحية الوتر. والناصل: الذى زال نصله: أى حديده الذى يكون فيه.

حبسناهم فى دارة العبد رافع ... وعند بديل محبسا غير طائل[١]
بدار الذليل الآخذ الضيم بعدما ... شفينا النفوس منهم بالمناصل[٢]
حبسناهم حتى إذا طال يومهم ... نفحنا لهم من كل شعب بوابل[٣]
نذبحهم ذبح التيوس كأننا ... أسود تبارى فيهم بالقواصل[٤]
هم ظلمونا واعتدوا فى مسيرهم ... وكانوا لدى الأنصاب أول قاتل[٥]
كأنهم بالجزع إذ يطردونهم ... بفاثور حفان النعام الجوافل[٦]

فأجابه بدبل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب، وكان يقال له: بديل بن أم أصرم، فقال:

تفاقد قوم يفخرون ولم ندع ... لهم سيدا يندوهم غير نافل[٧]
أمن خيفة القوم الألى تزدريهم ... تجيز الوتير خائفاً غير آئل[٨]
وفى كل يوم نحن نحبو حباءنا ... لعقل ولا يُحبى لنا فى المعاقل[٩]
ونحن صبحنا بالتلاعة داركم ... بأسيافنا يسبقن لوم العواذل[١٠]
ونحن منعنا بين بيض وعتْود ... إلى خيف رضوى من مجر القنابل[١١]
ويوم الغميم قد تَكَفَّتَ ساعيا ... عُبيس فجعناه بجلد حلاحل[١٢]
أإن أجمرت فى بيتها أم بعضكم ... بجعموسها تنزون أن لم نقاتل[١٣]
كذبتم وبيت الله ما إن قتلم ... ولكن تركنا أمركم فى بلابل[١٤]

---

(١) دارة العبد : الدار والدارة بمعنى واحد.

(٢) الضيم: الذل والهوان. والمناصل: جمع منصل وهو السيف.

(٣) نفحنا: وسعنا. والشعب: ما استوى بين الجبلين. والوابل فى الأصل المطر الشديد، وأراد به ههنا الدفعة من الخيل.

(٤) القواصل: الأنياب. (٥) الأنصاب: الحجارة التى نصبوها عند الحرم.

(٦) الجزع: ما انعطف من الوادى. وبفاثور: قال يا قوت: فاثور اسم موضع ببلاد نجد. وحفان النعام: صغارها. والجوافل: جمع جافلة وهى المسرعة.

(٧) يندوهم: يجمعهم فى الندى، وهو المجلس.

(٨) الألى: أى الذين. وتزدريهم: تحتقرهم. والوتير: اسم ماء. وغير آئل: أى غير راجع.

(٩) نحبو: نعطى. والعقل ههنا: الدية.

(١٠) التلاعة: اسم موضع. ويسبقن لوم العواذل: مأخوز من مثل سائر من أمثالهم وهو قولهم: سبق السيف العذل.

(١١) بيض: منازل بنى كنانة. والعتود: ماء لهم. والخيف: ما انحدر من الجبل. ورضوى: جبل بالمدينة. والقنابل: جمع قنبلة وهى القطعة من الخيل.

(١٢) تكفت: حاد عن طريقه. وعبيس: اسم رجل. وجلد: أى قوى. والحلاحل: السيد.

(١٣) أجمرت: تجمرت. والجعموس: العذرة والبعر. وتنزون: تثبون وترفعون.

(١٤) البلابل: الاختلاط ووساوس الصدر.

قال ابن هشام: قوله: «غير نافل»، وقوله: «إلى خيف رضوى» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت فى ذلك:

لحا الله قوما لم ندع من سراتهـم ... لهم أحدا يندوهم غير ناقـب[١]
أخصبى حمار مات بالأمس نوفلا ... متى كنت مفلاحا عدو الحقائب[٢]

**خزاعة تستنجد بالرسول:** قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا فى عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعى، ثم أحد بنى كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس، فقال:

يارب إنى ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا[٣]
قد كنتم وُلدا وكنا والدا ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا[٤]
فيهم رسول الله قد تجردا ... إن سيم خسفا وجهه تربدا[٥]
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا ... إن قريشا أخلفوك الموعدا[٦]
ونقضوا ميثاقك الموكدا ... وجعلوا لى فى كداء رصدا[٧]
وزعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا رُكعا وسجدا[٨]

يقول: قتلنا وقد أسلمنا.

قال ابن هشام: ويروى أيضا: ... فانصر هداك الله نصرا أيدا[٩]

قال ابن هشام: ويروى أيضا: ... نحن ولدناك فكنت ولـدا

---

(١) سراة القوم: أشرافهم وخيارهم. ويندوهم: يجمعهم فى الندى وهو المجلس. وناقب: أى رجل.
(٢) المفلاح: صيغة مبالغة من الفلاح، والفلاح بقاء الخير. والحقائب: جمع حقيبة، وهو ما يجعله الراكب وراءه فيضع فيه متاعه.
(٣) ناشد: طالب. والأتلد: القديم.
(٤) نصراً أعتدا: أى حاضراً. والمدد: العون.
(٥) قد تجردا: معناه شمَّر وتهيأ لحربهم. وسيم خسفًا: معناه طلب منه وكلفه. والخسف: الذل. وتربد: تغير.
(٦) الفيلق: العسكر الكثير
(٧) كداء: موضع بمكة. ورصدا: جمع راصد وهو الذى يترصد للأمر ويطلبه.
(٨) الوتير: اسم ماء. وهجد: جمع هاجد ويطلق على النائم. أو المستيقظ فهو من الأضداد
(٩) نصراً أيداً: قوياً وأصله من التأييد وهو المعونة.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم. ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء،[1] فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب.

ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش[2] بنى بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد قال رسول الله ﷺ للناس: كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد، ويزيد فى المدة. ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ، ليشد العقد، ويزيد فى المدة، وقد رهبوا الذى صنعوا؛ فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء، قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ، قال: تسيرت فى خزاعة فى هذا الساحل، وفى بطن هذا الوادى؛ قال: أو ما جئت محمداً؟ قال: لا؛ فلما راح بديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى، فأتى مبرك راحلته، فأخذ من بعرها ففته، فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً.

**أبو سفيان يطلب الصلح**: ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يابنية، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، قال: واﷺ لقد أصابك يابنية بعدى شر. ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبى بكر، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به. ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها، وعندها حسن بن على، غلام يدب بين يديها، فقال: يا على، إنك أمس القوم بى رحما، وإنى قد جئت فى حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائبا، فاشفع لى إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه: فالتفت إلى فاطمة فقال:

---

(١) عنان من السماء: أى سحابة

(١٣٣) المظاهرة: المعاونة.

يابنة محمد، هل لك أن تأمرى بُنَيَّك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنَىٍّ ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ. قال: يا أبا الحسن، إنى أرى الأمور قد اشتدت على، فانصحنى، قال: والله ما أعلم لك شيئا، ولكنك سيد بنى كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنيا عن شيئا؟ قال: لا والله، ما أظنه، ولكنى لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان فى المسجد، فقال: أيها الناس، إنى أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدا فكلمته، فوالله ما رد على شيئا، ثم جئت ابن أبى قحافة، فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب، فوجدته أدنى العدو.

قال ابن هشام: أعدى العدو.

قال ابن إسحاق: ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم، وقد أشار على بشىء صنعته، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال لا، قالوا. ويلك! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنك ما قلت: قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك.

**الاستعداد لفتح مكة:** وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها، وهى تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ؛ فقال: أى بنية: أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم، فتجهز؛ قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدرى. ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها. فتجهز الناس.

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس، ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة ... رجال بنى كعب تحز رقابها
بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم ... وقتلى كثير لم تجن ثيابها[١]
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى ... سهيل بن عمرو وخزها وعقابها[٢]
وصفوان عود حُزَّ من شعر استه ... فهذا أوان الحرب شد عصابها[٣]

(١) عنى بقوله: رجال لم يسلوا سيوفهم قريشاً. ولم تجن ثيابها: أى لم تستر، ويريد أنهم قتلوا ولم يستتروا بالدفن.
(٢) الوخز: الطعن النافذ فى جنب المطعون.
(٣) صفوان: هو صفوان بن أمية بن خلف الجمحى. والعود: المسن من الإبل مع أن فيه بقية. ومن شعر استه: رويت هذه الكلمة على سبيل الذم. وعصابه: أى يشد به.

فلا تَأمَنَنَّا يابن أم مجـــــالد إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها[1]

ولا تجزعـــــوا منا فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن هشام: قول حسان: «بأيدى رجال لم يسلو سيوفهم» يعنى قريشا، «وابن أم مجالد» يعنى عكرمة بن أبى جهل.

**حاطب يحذر أهل مكة**: قال ابن إسحاق. وحدثنى محمد بن جعفر بى الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لى غيره أنها سارة، مولاة لبعض بنى عبد المطلب، وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا، فجعلته فى رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به؛ وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما، فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم فخرجا حتى أدركاها بالحليقة، خليقة بنى أبى أحمد، فاستنزلاها، فالتمساه فى رحلها، فلم يجدا شيئا، فقال لها على بن أبى طالب: إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الجد منه، قالت: أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ: فدعا رسول الله ﷺ حاطبا، فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: يا رســول الله، أما والله إنى لمؤمن بالله ورســوله، ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرءاً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم. فقال عمر ابن الخطاب، يا رسول الله، دعنى فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق: فقال رســول الله ﷺ: ومــا يدريك يا عـــمر، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لـكم. فأنزل الله تعالى فى حاطب: **﴿ يا أيـــها الذين آمـنوا لا تتخـذوا عـــدوى وعـــــدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾**.. إلى قـــوله: **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾** [2] إلى

---

(١) ابن أم مجالد: هو عكرمة بن أبى جهل. والصرف: اللبن الخالص. وأعصل: أعوج. (٢) الممتحنة: ١-٤.

آخر القصة[1].

**خروج الرسول إلى مكة:** قال ابن إسحاق. وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال. ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن حصين ابن عتبة بن خلف الغفارى، وخرج لعشر مضين من رمضان، فصام رسول الله ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد، بين عسفان وأمج أفطر.

قال ابن إسحاق: ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشر آلاف من المسلمين، فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم[2]، وألفت مزينة، وفى كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم أحد، فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ، ولايدرون ما هو فاعل، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبرا أويسمعون به، وقد كان العباس بن عبدالمطلب لقى رسول الله ﷺ ببعض الطريق.

قال ابن هشام: لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض، فيما ذكر ابن شهاب الزهرى.

**إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية:** قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضا بنيق العقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: لا حاجة لى بهما، أما ابن عمى فهتك عرضى، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبى سفيان بنى له. فقال: والله ليأذنن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، ثم أذن لهما؛ فدخلا عليه، فأسلما.

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه،

---

(١) إسناده مرسل. ورواه موصولاً بنحوه البخارى فى الجهاد (٦/١٤٣) باب: الجاسوس وفى المغازى وفى التفسير، ورواه مسلم (٤/٦٢) كتاب الفضائل: باب من فضائل أهل بدر رضى الله عنهم وقصة حاطب بن أبى بلتعة. وأبو داود فى الجهاد (٢٦٥٠) باب: فى حكم الجاسوس إذا كان مسلماً والترمذى فى تفسير سورة الممتحنة (٣٣٠٥) والنسائى فى «التفسير» فى «الكبرى» كما فى تحفة الأشراف(٧/٤٢٦).

(٢) سبعت: أى كانت سبعمائة. وألفت: أى كانت ألفاً.

فقال:

لعمرك إنى يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد[1]

لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى[2]

هدانى هاد غير نفسى ونالنى مع الله من طردت كل مطرد[3]

أصد وأنأى جاهداً عن محمد وأدعى وإن لم أنتسب من محمد[4]

هم ما هم من لم يقل بهواهم وإن كان ذا رأى يلم ويفند[5]

أريد لأرضيهم ولست بلائط مع القوم ما لم أهد فى كل مقعد[6]

فقل لثقيف لا أريد قتالها وقل لثقيف تلك: غيرى أو عدى[7]

فما كنت فى الجيش الذى نال عامراً وما كان عن جرا لسانى ولا يدى

قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزائع جاءت من سهام وسردد

قال ابن هشام: ويروى «ودلنى على الحق من طردت كل مطرد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله:

«ونالنى مع الله من طردت كل مطرد» ضرب رسول الله ﷺ فى صدره، وقال: أنت طردتنى كل مطرد.

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران، قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها. قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة. قال: فوالله إنى لأسير عليها، وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا، قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب[8]. قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها؛ قال: فعرفت صوته؛ فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتى، فقال:

---

(١) أحمل راية: كنى بذلك عن شهود الحرب ودعوته إليها. واللات: صنم من أصنام العرب. وأراد بخيل اللات جيش الكفر والشرك، وخيل محمد: أراد بها جيش المسلمين.

(٢) المدلج: الذى يسير ليلاً. (٣) مطرد: مصدر ميمى بمعنى الطرد.

(٤) أصد: أمنع الناس عن الدخول فى الإيمان. وأنأى: أبعد بنفسى عنه. وجاهداً: مجتهداً.

(٥) يفند: ينسب إلى الفند، وهو الكذب أو يلام. (٦) لائط: ملصق. (٧) أوعدى: هددى.

(٨) حمشتها الحرب: أحرقتها.

أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم؛ قال: مالك؟ فداك أبى وأمى؛ قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ فى الناس، واصباح قريش والله. قال: فما الحيلة؟ فداك أبى وأمى؛ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك؛ قال: فركب خلفى ورجع صاحباه؛ قال: فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: من هذا؟ وقام إلى؛ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذى أمكن بغير منك عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء. قال: فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعنى فلأضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله، إنى قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ، فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة دونى رجل؛ فلما أكثر عمر فى شأنه، قال: قلت: مهلا يا عمرِ، فوالله أن لو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف، فقال: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتنى به، قال: فذهبت به إلى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ، قال، ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن[1] لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبى أنت وأمى، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟ قال: بأبى أنت وأمى، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا. فقال له العباس: ويحك! أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا قال: نعم، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: يا عباس، أحبسه

(١) ألم يأن: معناه ألم يحن.

بمضيق الوادى عند خطم الجبل[1]، حتى تمر به جنود الله فيراها. قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى، حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه.

**عرض الجيش على أبى سفيان:** قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول مالى ولسليم، ، ثم تمر القبيلة فيقول ياعباس، من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالى ولمزينة، حتى نفدت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يسألنى عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: مالى ولبنى فلان، حتى مر رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

قال الحارث بن حلزة اليشكرى:

ثم حُجرا أعنى ابن أم قطام ... وله فارسية خضـــــــــــراء

يعنى الكتيبة، وهذا البيت فى قصيدة له، وقال حسان بن ثابت الأنصارى:

لما رأى بدراً تسيل جِلاهه ... بكتيبة خضراء من بلخزرج.

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر.

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار، رضى الله عنهم، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله: ياعباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعم إذن.

قال: قلت: النجاء إلى قومك[2]، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يامعشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشار به، فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس[3] قبح من طليعة[4] قوم: قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغنى عنا دارك، قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس

(١) الخطم: أنف الجبل وهو شىء يخرج منه يضيق به الطريق. (٢) النجاء: السرعة.

(٣) الحميت فى الأصل: زق السمن. والدسم: الكثير الودك. والأحمس الشديد اللحم، تريد تشبيهه به لبعالته وسمنه.

(٤) طليعة القوم: الذى يتقدمهم أو يحرسهم.

إلى دورهم وإلى المسجد.[١]

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبدالله بن أبى بكر: أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة[٢] حمراء، وإن رسول الله ﷺ ليض رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل.[٣]

**إسلام أبى قحافة**: قال ابن إسحاق. وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدته أسماء بنت أبى بكر، قالت. لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى قال أبو قحافة لابنة، من أصغر ولده، أى بنية، اظهرى[٤] بى على أبى قبيس، قالت وقد كف بصره قالت فأشرقت به عليه، فقال أى بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعا، قال: تلك الخيل، قالت، وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلا ومدبراً، قال: أى بنية، ذلك الوازع[٥] يعنى الذى يأمر الخيل، ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قالت: فقال: قد والله إذن دفعت الخيل، فأسرعى بى إلى بيتى، فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، قالت: وفى عنق الجارية طوق من ورق[٦]، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟ قال أبو بكر، يارسول الله، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت، قال: قالت: فأجسله بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: أسلم، فأسلم، قالت: فدخل أبو بكر وكأن رأسه ثغامة[٧]، فقال رسول الله ﷺ: غيروا هذا من شعره، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله الإسلام طوق أختى، فلم يجبه أحد، قالت: فقال أى أخية، احتسبى طوقك، فو الله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل[٨].

---

(١) إسناده صحيح. وذكره الهيثمى بطوله فى «المجمع» (٦/ ١٦٤_١٦٧) وقال: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. وليس فى «المجمع» إنشاد أبى سفيان.

(٢) معتجراً أى متعمماً من غير أن يجعل لها ذؤابة. والشقة: النصف. والحبرة ضرب من ثياب اليمن.

(٣) إسناده مرسل. وروى نحوه الحاكم (٣/ ٤٧) عن أنس رضى الله عنه. وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٤) أظهرى: اصعدى وارتفعى. وأبو قبيس: جبل بمكة.

(٥) الوازع: الذى يكف الجيش، أى يقدم بعضه على بعض. (٦) الطوق: القلاعة. والورق: الفضة

(٧) الثغامة. شجرة، ومن شأن هذا النوع من الشجر أنه إذا يبس ابيضت أغصانه، والعرب تشبه الشيب به.

(٨) إسناده صحيح. ورواه أحمد (٦/ ٣٤٩_٣٥٠)، والحاكم (٣/ ٤٦_٤٧)، وابن حبان (١٧٠٠ - موارد)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ٨٨_٨٩) (ح٢٣٦) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٧٤) رواه أحمد والطبرانى ورجالهما ثقات.

**دخول مكة:** قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرق جيشه من ذى طوى، أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدَى، وكان الزبير على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدَاء.[1]

قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا، قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين ـ قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب ـ فقال يا رسول الله: اسمع ما قال سعد ابن عبادة، مانأمن أن يكون له فى قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب: أدركه، فخذ الراية منه فكن أنت الذى تدخل بها.[2]

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى عبدالله بن أبى نجيح فى حديثه: أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد، فدخل من الليط، أسفل مكة، فى بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب. وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدى رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، وضربت له هناك قبته.[3]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبدالله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر: أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا، وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بنى بكر، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ، ويصلح منه، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء، قال: والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إن يُقبلوا اليوم فما لى عله ... هذا ســــلاح كامل وأله[4]

وذو غرارين سريع السَّله[5]

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال، فقتل كرز بن جابر، أحد بنى محارب بن

---

(١) كداء بالفتح: مكا بأعلى مكة. وكُدى: مكان من ناحية عرفة.
(٢) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٥٦) من طريق ابن إسحاق.
(٣) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٥٧) من طريق ابن إسحاق.
(٤) الألة: الحربة لها سنان طويل.
(٥) ذو غرارين: يعنى به سيفاً. والغرار: الحد

فهر، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بنى منقذ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا، قتل حنيس بن خالد قبل كرز بن جابر، فجعله كرز بن جابر بين رجليه، ثم قاتل عنه حتى قتل، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت صفراء من بنى فهِر نقيـة الوجـه نقيـة الصدرْ

لأضربن اليوم عن أبى صَخرْ

قال ابن هشام: وكان خنيس يكنى أباصخر، قال ابن هشام بن خالد، من خزاعة.

قال ابن إسحاق: حدثنى عبدالله بن أبى نجيح وعبدالله بن بكر، قالا: وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء، من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين ناس قريب من أثنى عشر رجلا، أو ثلاثة عشر رجلا، ثم انهزموا، فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته، ثم قال لأمرأته، أغلقى على بابى، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يـوم الخندمة إذ فر صفوان وفـر عكرمة
وأبو يزيد قائـم كالموتمه واستقبلهم بالسيوف المسلمه[1]
يقطعن كل ساعـد وجمجمه ضربا فلا يسمع إلا غمغمه[2]
لهم نَهيتُ خلـفنا وهمهمه[3] لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه[4]

قال ابن هشام: أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله: «كالموتمه» وتروى للرعاش الهذلى.

**شعار المسلمين يوم فتح مكة:** وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف، شعار المهاجرين، يابنى عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يابنى عبدالله، وشعار الأوس: يابنى عبيد الله.

**من أمر النبى بقتلهم:** قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى امرائه من المسلمين، حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد، أخو بنى عامر بن لؤى.

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ

---

(١) المؤتمة: هى التى قتل زوجها فبقى لها أولاد أيتام. والمسلمة: أراد بها المسلمين.
(٢) الجمجمة: الرأس. والغمغمة: أصوات الأبطال فى الحرب.
(٣) النهيت: نوع من صياح الأسد. والهمهمة: صوت فى الصدر.
(٤) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٥٧-٥٨) من طريق ابن إسحاق.

الوحى، فارتد مشركا راجعا إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن أطمأن الناس وأهل مكة، فاستأمن له: فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلا، ثم قال: نعم، فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه؛ لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلى يارسول الله؟ قال: إن النبى لا يقتل بالإشارة.[1]

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خطل، رجل من بنى تيم بن غالب: إنما أمر بقتله أنه كان مسلماً فبعثه رسول الله ﷺ مصدقا، وبعث معه رجلا من الأنصار، وكان معه مولى له، يخدمه، وكان مسلما، فنزل منزلا، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، فيصنع له طعاماً، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركا.

وكانت له قينتان: فرتنى وصاحبتها، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه.

والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصى، وكان ممن يؤذيه بمكة.

قال ابن هشام: وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم، ابنتى رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث بن نقيذ، فرمى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحاق ومقيس بن حبابة: وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركا: وسارة، مولاة لبعض بنى عبد المطلب، وعكرمة بن أبى جهل، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ، فأمنه فخرجت فى طلبة إلى اليمن، حق أتت به رسول الله ﷺ، فأسلم. وأما عبد الله بن خطل، فقتله سعيد بن حُريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى، اشتركا فى دمه، وأما مقيس بن حبابة فقتله نميلة بن عبد الله، رجل من

---

(١) رواه بنحوه أبو داود(٢٦٨٣)، وابن أبى شيبة(٨/ ٥٣٥- ٥٣٦)، والنسائى(٧/ ١٠٦)، وأبو يعلى(٧٥٧)، والبيهقى فى«السنن»(٧/ ٤٠)، والبزار(١٨٢١)، والطحاوى فى «شرح معانى الآثار»(٣/ ٣٠٠)، والحاكم (٣/ ٤٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وعزاه الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ١٦٩) إلى أبى يعلى والبزار وقال: رجالهما ثقات. وصححه الألبانى فى«صحيح سنن أبى داود»(٢/ ٥١١).

قومه، فقالت أخت مقيس فى قتله:

لعمرى لقد أخزى نميلة رهطه    وفجع أضياف الشتاء بمقيس

فلله عينا من رأى مثل مقيس    إذا النفساء أصبحت لم تخرس [1]

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمنها، وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى وطأها رجل من الناس فرسا فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها، وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب.

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن أبى هند، عن أبى مرة، مولى عقيل ابن أبى طالب، أن أم هانئ بنت أبى طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فر إلى رجلان من أحمائى، من بنى مخزوم، وكانت عند هبيرة ابن أبى وهب المخزومى، قالت: فدخل علىّ علىٌّ بن أبى طالب أخى، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلى، فقال: مرحبا وأهلا يا أم هانئ ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على؛ فقال: قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما.[2]

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة.

**الرسول يدخل الحرم:** قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور، عن صفية بنت شيبة، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن فى يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف[3] له الناس فى المسجد[4].

قال ابن إسحاق: فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب

---

(١) لم تخرس: أى لم يصنع لها طعام عند ولادتها. وذلك كناية عن الجدب وعسر الحال، والطعام الذى يصنع لنفساء يسمى الخرس.

(٢) إسناده صحيح. ورواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٨/ ٥٣٩) من طريق ابن إسحاق، ورواه بنحوه مختصرًا: البخارى (١/ ٣٨٧)، ومسلم (٧٤٨) والترمذى (٢٧٣٤)، والنسائى (١/ ١٢٦)، وابن ماجه (٤٦٥).

(٣) استكف: اجتمع.    (٤) إسناده صحيح

الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها: يا معشر قريش؛ إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: **﴿يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**. . . الآية كلها[1]. ثم قال يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم؟» قالوا: خيرا، أخ كريم؛ وابن أخ كريم؛ قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2].

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد؛ فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده؛ فقال يارسول الله؛ اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك؛ فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له. فقال: هاك مفتاحك ياعثمان؛ اليوم يوم بر ووفاء.

قال ابن هشام: وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله ﷺ قال لعلى: إنما أعطيكم ما تُرزءون لا ما تَرْزَءون»[3].

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح؛ فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم؛ فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً فى يده الأزلام[4] يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام! **﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين﴾**[5]. ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.[6]

قال ابن هشام: وحدثنى أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال، ثم خرج رسول الله ﷺ وتخلف بلال، فدخل عبد الله بن عمر على بلال، فسأله: أين صلى رسول الله ﷺ؟ ولم يسأله كم صلى؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبلِ

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) أورد الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٦٠) إسناد ابن إسحاق لهذه الرواية. وهو إسناد مرسل لأن الذى حدَّث به هو قتادة وهو مع إرساله ففيه عمرو بن موسى بن وجيه وهو متروك. وقال ابن عدى هو ممن يضع الحديث متناً وإسناداً. وقال البخارى: منكر الحديث كما فى«الميزان» للذهبى(٣/ ٢٢٤) و«الكامل»لابن عدى(٥/ ٩).

(٣) أى إنما أعطيتكم ما تمنُّون كالسقاية التى تحتاج إلى مؤن، فأما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها. يعنى كسوة البيت. وقال عبد الرزاق كما فى«المجمع»(٦/ ١٧٧) أعطيكم السقاية لأنكم تغرمون فيها ولم أعطكم البيت أى إنهم يأخذون من هديته. وقال الهيثمى: رواه الطبرانى مرسلاً ورجاله رجال الصحيح.

(٤) الأزلام: السهام التى كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية.

(٥) آل عمران: ٦٧.

(٦) رواه ابن أبى شيبة فى«المصنف»(٨/ ٥٤٣) من حديث جابر رضى الله عنه وإسناده حسن.

وجهه، وجعل الباب قبل ظهره، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ثم يصلى، يتوخى بذلك الموضع الذى قال له بلال.

قال ابن هشام، وحدثنى: أن رسول الله ﷺ؛ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمرة أن يؤذن، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث ابن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئا، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى، فخرج عليهم النبى ﷺ، فقال: قد علمت الذى قلتم، ثم ذكر لهم؛ فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول أخبرك.

قال ابن إسحاق: حدثنى سعيد بن أبى سندر الأسلمى، عن رجل من قومه، قال: كان معنا رجل يقال له: أحمر بأسا، وكان رجلا شجاعا، وكان إذا نام غط[١] غطيطا منكرا لايخفى مكانه، فكان إذا بات فى حيه بات معتنزا[٢]، فإذا بيت الحى[٣] صرخوا يا أحمر، فيثور مثل الأسد، لايقوم لسبيله شىء: فأقبل غزى[٤] من هذيل يريدون حاضره[٥]؛ حتى إذا دنوا من الحاضر، قال ابن الأثوع الهذلى: لاتعجلوا على حتى أنظر، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم، فإن له غطيطا لايخفى، قال: فاستمع، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره، ثم تحامل عليه حتى قتله، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا ياأحمر ولاأحمر لهم؛ فلما كان عام الفتح، وكان الغد من يوم الفتح، أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسال عن أمر الناس، وهو على شركه، فرأته خزاعة، فعرفوه، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة، يقولون: أأنت قاتل أحمر؟ قال: نعم، أنا قاتل أحمر فمه[٦]؟ قال: إذا أقبل خراش بن أمية مشتملا على السيف، فقال هكذا عن الرجل، ووالله مانظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه. فلما انفرجنا عنه حمل عليه، فطعنه بالسيف فى بطنه، فوالله لكأنى أنظر إليه وحشوته[٧] تسيل من بطنه، وإن عينيه لترنقان[٨] فى رأسه، وهو يقول: أقد فعلتموها يامعشر خزاعة؟ حتى انجعف[٩] فوقع. فقال رسول الله ﷺ: يامعشر

(١) الغطيط: ما يسمع من صوت الآدميين إذا ناموا، وهو صوت فى الحلق.
(٢) معتنزًا: أى فى ناحية من الحى، ويقال: هذا بيت معتنز، وإذا كان خارج عن بيوت الحى.
(٣) بيت الحى: جاءهم الغزاة فى وقت البيات.
(٤) الغزى: جماعة القوم الغزاة.
(٥) الحاضر: الذين ينزلون على الماء
(٦) فمه: أى فما الذى تريدون أن تصنعوا
(٧) الحشوة: ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها
(٨) ترنقان: يريد أنهما قريبتان أن تنغلقا.
(٩) انجعف: أى سقط سقوطا شديداً

خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلا لأدينه.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى، عن سعيد بن المسيب، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية، قال: إن خراشا لقتال؛ يعيبه بذلك.

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى شريح الخزاعى، قال: لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير، جئته، فقلت له: يا هذا، إنا كنا مع رسول الله ﷺ، حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا، فقال: يأيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة؛ فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك فيها دما. ولا يعضد[1] فيها شجراً لم تحلل لأحد كان قبلى، ولا تحل لأحد يكون بعدى، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة، غضبا على أهلها. ألا، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله قاتل فيها، فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله، ولم يحللها لكم، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلا لأدينه، فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين. إن شاءوا فدم قاتله، وإن شاءوا فعقله: ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة، فقال عمرو لأبى شريح: انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بحرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالع طاعة، ولا مانع جزية، فقال أبو شريح: إنى كنت شاهدا وكنت غائبا، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا، وقد أبلغتك، فأنت وشأنك[2].

قال ابن هشام: وبلغنى أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جنيدب ابن الأكوع، قتلته بنو كعب، فوداه بمائة ناقة.

**تخوف الأنصار من بقاء الرسول بمكة:** قال ابن هشام: وبلغنى عن يحيى بن سعيد: أن النبى ﷺ حين فتح مكة ودخلها، قام على الصفا يدعو الله، وقد أحدقت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: أترون رسول الله ﷺ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده

(١) يعضد: يقطع.

(٢) اسناده صحيح. ورواه بنحوه البخارى(١/ ١٩٧ـ١٩٨) كتاب العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب. ومسلم(٣٢٤٦) كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها، والترمذى(٨٠٩) كتاب الحج، باب: ما جاء فى حرمة مكة.

يقيم بها؟ فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال النبي ﷺ: معاذ الله! المحيا محياكم، والممات مماتكم.[1]

**كسر الأصنام**: قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص؛ فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾[2] فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع[3]، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم ... لمن يرجو الثواب أو العقابا

**إسلام فضالة**: قال ابن هشام: وحدثني: أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: أفضالة؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي ﷺ، ثم قال: استغفر الله ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه[4]. قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث، فقلت: لا: وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام

لوما رأيت محمد وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

**الأمان لصفوان بن أمية**: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر، عن عروة ابن الزبير قال: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير ابن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربا منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك، قال: هو آمن، قال: يا رسول الله فأعطني

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٥٢٧) من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح.
(٢) الإسراء: ٨١.
(٣) قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٧٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات. ورواه البزار باختصار.
(٤) خبر فضالة، ذكره ابن عبد البر في «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص٢٢٢)، وذكره بنحوه القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٦٩٢).

آية يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التى دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب فى البحر، فقال: يا صفوان فداك أبى وأمى، الله الله فى نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به، قال: ويحك! اغرب عنى فلا تكلمنى، قال: أى صفوان، فداك أبى وأمى، أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إنى أخافه على نفسى، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم. فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى قال: صدق، قال: فاجعلنى فيه بالخيار شهرين، قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر.(١)

قال ابن هشام: وحدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعمير: ويحك! اغرب عنى، فلا تكلمنى، فإنك كذاب، لما كان صنع به، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر.

**إسلام رؤوس أهل مكة:** قال ابن إسحاق: وحدثنى الزهرى: أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وفاختة بنت الوليد - وكانت فاختة عند صفوان بن أمية، وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل - أسلمتا، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة، فأمنه فلحقت به باليمن، فجاءت به، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول.

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: قال: رمى حسان: ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد مازاده عليه:

لا تعدمن رجلا أحلك بغضه ... نجران فى عيش أحذ لئيم(٢)

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فقال حين أسلم:

يا رسول المليك إن لسانى ... راتق ما فتقت إذا أنا بور(٣)
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغى ... ومن مال ميله مثبور(٤)
آمن اللحم والعظام لربى ... ثم قلبى الشهيد أنت النذير
إننى عنك زاجر ثم حيا ... من لؤى وكلهم مغرور

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعرى أيضا حين أسلم:

---

(١) إسناده مرسل. (٢) عيش أحذ: هو القليل.
(٣) راتق: ساد، تقول: رتق الفتق إذا سده ومعناه يصلح ما كنت أفسدته. والبور: الهلك.
(٤) أبارى: أعارض. والسنن: وسط الطريق. ومثبور: هالك.

منع الرقاد بلابل وهموم ... والليل معتلج الرواق بهيم[1]
مما أتانى أن أحمد لامنى ... فيه فبت كأننى محموم
يا خير من حملت على أوصالها ... عيرانة سرح اليدين غشوم[2]
إنى لمعتذر إليك من الذى ... أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم[3]
أيام تأمرنى بأغوى خطة ... سهم وتأمرنى بها مخزوم
وأمُد أسباب الردى ويقودنى ... أمر الغواة وأمرهم مشئوم[4]
فاليوم آمن بالنبى محمد ... قلبى ومخطىء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها ... ودعت أواصر بيننا وحلوم[5]
فاغفر - فدى لك والداى كلاهما ... زللى، فإنك راحم مرحوم
وعليك من عِلم المليك علامة ... نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه ... شرفا وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق ... حق وأنك فى العباد جسيم[6]
والله يشهد أن أحمد مصطفى ... مستقبل فى الصالحين كريم[7]
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرع تمكن فى الذرا وأروم[8]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

**هبيرة يبقى على كفره:** قال ابن إسحاق: وأما هبيرة بن أبى وهب المخزومى فأقام بها حتى مات كافرا، كانت عنده أم هانئ بنت أبى طالب، واسمها هند، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانئ:

أشاقتك هند أم أتاك سؤالها ... كذاك النوى أسبابها وانفتالها[9]
وقد أرقت فى رأس حصن ممنع ... بنجران يسرى بعد ليل خيالها[10]

---

(١) البلابل: الوساوس المختلة والأحزان ومعتلج: مضطرب يركب بعضه بعضا. والبهيم: الذى لا ضياء فيه.
(٢) العيرانة: الناقة التى تشبه العير (وهو حمار الوحش) فى شدته ونشاطه. وسرح اليدين: خفيفة اليدين. وغشوم: ظلوم يعنى أن مشيها فيه خفاء .
(٣) أسديت: صنعت، وأراد بالذى صنعه ما كان يقول من الشعر فى هجاء النبى وأصحابه يوم كفره. وأهيم: أذهب على وجهى متحيراً
(٤) الردى: الهلاك . .
(٥) الأواصر: جمع آصرة، وهى قرابة الرحم بين الناس، والحلوم: جمع حلم وهو العقل . .
(٦) جسيم: عظيم. (٧) مستقبل: ملحوظ منظور إليه كأن كل أحد قد جعله قبالته . .
(٨) قرم: أصله الفحل من الإبل، والمراد به السيد. والذرا: الأعالى. والأروم: الأصول
(٩) انفتالها: تقلبها . . (١٠) أرقت: أزالت النوم. ونجران: بلد. ويسرى: يسير ليلاً

وعاذلة هبت بليل تلومنى ... وتعذلنى بالليل ضل ضلاها[١]

وتزعم أنى أطعت عشيرتى ... سأردى وهل يردين إلا زيالها[٢]

فإنى لمن قوم إذا جد جدهم ... على أى حال أصبح اليوم حالها

وإنى لحام من وراء عشيرتى ... إذا كان من تحت العوالى مجالها[٣]

وصارت بأيديها السيوف كأنها ... مخاريق ولدان ومنها ظلالها[٤]

وإنى لأقلى الحاسدين وفعلهم ... على الله رزقى نفسها وعيالها[٥]

وإن كلام المرء فى غير كنهه ... لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها[٦]

فإن كنتِ قد تابعت دين محمد ... وعطفت الأرحام منك حبالها

فكونى علَى أعلى سحيق بهضبة ... ململمة غبراء يبس بلالها[٧]

قال ابن إسحاق: ويروى: «وقطعت الأرحام منك حبالها».

**عدة من فتح مكة:** قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف. من بنى سليم سبعمائة. ويقول بعضهم: ألف. ومن بنى غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة؛ ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.

**ما قيل من الشعر فى فتح مكة:** وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء[٨]

ديار من بنى الحسحاس قفر ... تعفيها الروامس والسماء[٩]

وكانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء[١٠]

---

(١) هبت: استيقظت من نومها. وضل ضلالها: دعاء عليها بالضلال.

(٢) أردى: أى أهلك. وزيالها: ذهابها. (٣) العوالى: جمع عالية، وهى أعلى الرمح.

(٤) مخاريق: جمع مخراق، وهو منديل يمسكه الصبى بيده ويضرب به، شبه السيوف به.

(٥) أقلى: أبغض (٦) فى غير كنهه: أى فى غير حقيقته. والنصال: حديد السهم.

(٧) السحيق: البعيد. والهضبة: الكدية العالية. والململمة: المستديرة. والغبراء: التى علاها الغبار. واليبس: اليابس.

(٨) عفت: درست وتغيرت. وذات الأصابع والجواء: موضعان فى بلاد الشام بأكناف الشام. وعذراء: موضع على بريد من دمشق، وهذه المواضع كانت بها منازل بنى جفنة ملوك غسان الذين كان ينتجعهم حسان رضى الله عنه فى أيام الجاهلية، فهو لايفتأ يذكرها. ومنزلها إنما أفرده لأنه حين أضافه فقد آذن بعمومه. وخلاء: قفر خال.

(٩) الحسحاس: ههنا وصف وليس علماً. والحسحاس: الرجل الجواد الذى يطرد الجوع بسخائه. وقفر: موحشة خالية. والروامس: الرياح التى تثير التراب. فترمس به الآثار: أى تطمسها وتعفيها. والسماء: أراد به ههنا المطر.

(١٠) المروج: جمع مرج وهو الأرض الواسعة ذات الكلأ. والنعم: الإبل وهم يخصون الإبل بهذا الاسم لأنها أكثر أموالهم. والشاء: الغنم.

عفت ذات الأصابع فالجواء … إلى عذراء منزلها خلاء[٤]

ديار من بنى الحسحاس قفر … تعفيها الروامس والسماء[٥]

وكانت لا يزال بها أنيس … خلال مروجها نعم وشاء[٦]

فدع هذا، ولكن من لطيُف … يؤرقنى إذا ذهب العشاء[٧]

لشعثاء التى قد تيمته … فليس لقلبه منها شفاء[٨]

كأنه خبيئة من بيت رأس … يكون مزاجها عسل وماء[٩]

إذا ما الأشربات ذُكرن يوما … فهن لطيب الراح الفداء[١]

نوليها الملامة إن ألمنا … إذا ما كان مغث أو لحاء[٢]

ونشربها فترّكنا ملـــــوكا … وأسداً ما ينهنهنا اللقاء[٣]

عدمنا خيلنا إن لم تروهَا … تثير النقع موعدها كداء[٤]

ينازعن الأعنة مصغيات … على أكتافها الأسل الظماء[٥]

تظل جيادنا متمطرات … يلطمهن بالخمر النساء[٦]

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا … وكان الفتح وانكشف الغطاء[٧]

وإلا فاصبروا لجلاد يوم … يعين الله فيه من يشاء[٨]

وجبريل رسول الله فينا … وروح القدس ليس له كفاء[٩]

وقال الله قد أرسلت عبداً … يقول الحق إن نفع البلاَء[١٠]

شهدت به فقوموا صدقوه … فقلتم لا نقوم ولا نشاء

---

(١) الطيف: الخيال الذى يلم فى النوم. ويؤرقنى: يسهرنى ويذهب نومى وإذا ذهب العشاء، أراد إذا حان موعد النوم.

(٢) شعثاء: قيل هى بنت سلام بن مشكم، وقيل: هى امرأة من خزاعة وتيمته: أى استولت على قلبه وذللته وذهبت به كل مذهب.

(٣) خبيئة: مخبوءة. والمراد الخمر. وبين رأس: موضع بالأردن مشهور بالخمر

(٤) يريد إذا ذكرت الأشربة فهذه الخمر أفضلها.

(٥) ألمنا: أتينا ما نلام عليه. والمغث: الضرب بالكف. واللحاء: السباب والشتم، يقول: إننا ننسب إلى الخمر ما يكون منا إذا شربناها مما يستحق اللوم.

(٦) ينهنهنا: يزجرنا ويردنا. واللقاء: أراد به لقاء الأعداء والمراد أنهم إذا شربوها لم يهابوا لقاء العدو.

(٧) النقع: الغبار. وكداء: الثنية العليا بمكة مما يلى المقابر وهى المعلى.

(٨) ينازعن: المراد أن الخيل تجارى الأعنة، وذلك كناية عن لينها وسرعة انقيادها. ومصغيات: مستمعات. والأسل: الرماح. والظماء: العطاش

(٩) متمطرات: ذاهبة مسرعة يسبق بعضها بعضاً. ويلطمهن: تضرب خدودهن لتردهن. والخمر: جمع خمار وهو ما تغطى به المرأة وجهها، وقد روى أن نساء مكة يوم الفتح ظللن يضربن بخمرهن وجوه الخيل ليرددنها.

(١٠) اعتمرنا: أدينا مناسك العمرة. وانكشف الغطاء: ظهر ما كان خافياً.

(١١) الجلاد: المضاربة بالسيوف.

(١٢) المراد بروح القدس جبريل عليه السلام. وليس له كفاء: أى ليس له نظير.

(١٣) أراد بالعبد: رسول الله ﷺ. والبلاء: الإختبار

وقال الله قد سيرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء[١]

لنا فى كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء

فنحكم بالقوافى من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء[٢]

ألا أبلغ أبا سفيان عنى ... مغلغلة فقد برح الخفاء[٣]

بأن سيوفنا تركتك عبداً ... وعبدُ الدار سادتها الإماء

هجوت محمداً وأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء[٤]

أتهجُوه ولستَ له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء[٥]

هجوت مباركا برا حنيفا ... أمين الله شيمته الوفاء[٦]

أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء؟![٧]

فإن أبى ووالده وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء

لسانى صارم لا عيب فيه ... وبحرى لا تكدره الدلاء[٨]

قال ابن هشام: قالها حسان يوم الفتح. ويروى: «لسانى صارم لاعتب فيه».[٩]

وبلغنى عن الزهرى أنه قال: لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه.[١٠]

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زنيم الديلى يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى:

أأنت الذى تهدى معد بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك أشهد

وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد[١١]

أحث على خير وأسبغ نائلا ... إذا راح كالسيف الصقيل المهند[١٢]

---

(١) عرضتها اللقاء: أراد عادتها التى جرت على أن تتعرض لعملها. (٢) نحكم: نمنع.

(٣) المغلغلة: الرسالة التى ترسل من بلد إلى بلد.

(٤) الجزاء: المكافأة على الشىء سواء كان خيراً أم شراً

(٥) فشركما لخيركما الفداء: فى ظاهر اللفظ بشاعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفى كليهما شر، وكذلك: شر منك، ولكن العرب تقول: مررت برجل شرمنك: إذا نقص عن أن يكون مثله، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول. ونحو منه قول النبى ﷺ: «**وشر صفوف الرجال آخرها**»، يريد نقصان حظهم عن حظ الأول ويجوز أن يريد التفضيل فى الشر والله أعلم.

(٦) الحنيف: المسلم. وشيمته: طبيعته.

(٧) يريد لن من يهجو رسول الله ومن يمدحه سواء، بدليل الإخبار عنه بسواء التى لا يخبر بها إلا عن متعدد.

(٨) أصل الصارم: السيف القاطع فشبه به لسانه.

(٩) لا عتب فيه: يريد لا لوم، لأنه إنما يرد عليكم ويهجوكم وأنتم لذلك أهل ..

(١٠) إسناده ضعيف للجهالة. (١١) الذمة: العهد

(١٢) أسبغ: أكمل وأخفى. والنائل: العطاء. والمهند: الصارم.

وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابق المتجرد[١]
تعلم رسول الله أنك مدركى ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليد[٢]
تعلم رسول الله أنك قادر ... على كل صرم متهمين ومنجد[٣]
تعلم بأن الركب ركب عويمر ... هم الكاذبون المخلفون كل موعد
ونبوا رسول الله أنى هجوته ... فلا حملت سوطى إلىّ إذن يدى
سوى أننى قد قلت ويل أم فتية ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد[٤]
أصابهم من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزت عبرتى وتبلدى[٥]
فإنك قد أخفرت إن كنت ساعيا ... بعبد بن عبد الله وابنة مهود[٦]
ذويب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعا فإلا تدمع العين أكمد[٧]
وسلمى، وسلمى ليس حى كمثله ... وإخوته وهل ملوك كأعبد؟!
فإنى لا دينا فتقت ولا دما ... هرقت تبين عالم الحق واقصد

فأجابه بديل بن عبد مناف بن أم أصرم، فقال:

بكى أنس رزَنا فأعوله البكا ... فألا عديا إذا تطل وتبعد[٨]
بكيت أبا عَبس لقرب دمائها ... فنعذر إذا لا يوقد الحرب موقد
أصابهم يوم الخنادم فتية ... كرام فسل، منهم نفيل ومعبد[٩]
هنالك إن تسفح دموعك لاتُلم ... عليهم وإن لم تدمع العين فاكمَدوا[١٠]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح:

ففى أهل الحبلق كل فج ... مزينة غدوة وبنو خُفاف[١١]
ضربناهم بمكة يوم فتح النـــ ... ـبى الخير بالبيض الخفاف

---

(١) الخال: ضرب من برود اليمن. وابتذاله: استعماله حتى يبتذل. والسابق: ههنا الفرس. والمتجرد: أراد به الذى يسبق الخيل.
(٢) تعلم: معناه أعلم. والوعيد: التهديد
(٣) صرم: البيوت المجتمعة. ومتهمين: أى يسكنون تهامة. والمنجد: الذى يسكن نجداً، وأراد بتهامة المنخفض من الأرض وبنجد المرتفع منها.
(٤) طلق: يقال: يوم طلق، إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شىء يؤذى.
(٥) كفاء: أراد نظيراً ومكافئاً. وعزت: اشتدت حتى غلبتنى. ومنه قوله تعالى: ﴿وعزنى فى الخطاب﴾ والعبرة: الدمعة. وتبلدى: تحيرى.
(٦) أخفرت: نقضت العهد. . (٧) أكمد: هو من الكمد وهو الحزن .
(٨) العويل: رفع الصوت بالبكاء، وأعوله: صيره ذا عويل. وتطل: تهدر دماؤها وتبطل ولا تؤخذ بثأرها.
(٩) يوم الخنادم: أراد يوم الخندمة. (١٠) تسفح: تسيل. وأكمدوا: هو من الكمد وهو الحزن.
(١١) الحبلق: أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . وأصل الحبلق: الغنم الصغار، ولعله أراد بقوله أهل الحبلق أصحاب الغنم

صبحناهم بسبع من سليم ... وألف من بنى عثمان واف
نطا أكتافهم ضربا وطعنا ... ورشقا بالمريشة اللطاف[1]
ترى بين الصفوف لها حفيفا ... كما انصاع الفواق من الرصاف[2]
فرحنا والجياد تجول فيهم ... بأرماح مقـــــومة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا ... وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا ... مواثقنا على حسن التصافى[3]
وقد سمعوا مقالتنا فهموا ... غداة الروع منا بانصراف[4]

قال ابن هشام: وقال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة:

منا بمكة يوم فتح محمد ... ألف تسيل به البطاح مسوم[5]
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه ... وشعاهم يوم اللقاء مقدم[6]
فى منزل ثبتت به أقدامهم ... ضنك كأن الهام فيه الحنتم[7]
جرت سنابكها بنجد قبلها ... حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له وأذله ... حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه ... متطلع ثُغر المكارم خِضرم[8]

**إسلام عباس بن مرداس** : قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مرداس، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده، وهو حجر كان يقال له ضمار، فلما حضر مرداس قال لعباس: أى بنى، اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك، فبينا يوما عند ضمار إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول:

قل للقبائل من سليم كلها ... أودى ضمار وعاش أهل المسجد[9]
إن الذى ورِث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة ... قبل الكتاب إلى النبى محمـــد

(١) نطا: أراد نطأ، فأبدل الهمزة ألفاً. والرشق: الرمى السريع. والمريشة: أراد بها السهام التى لها ريش.
(٢) الحفيف: الصوت. وانصاع: انشق. والفواق: طرف السهم الذى يلى الوتر. والرصاف: هى العقب الذى يكون على السهم. (٣) التصافى: أراد صفاء القلوب على الطاعة..
(٤) الروع: الفزع. ومنا متعلق بالروع. وانصراف: متعلق بهموا.
(٥) البطاح: جمع بطحاء، وهى الأرض السهلة المتسعة. ومسوم: مرسل ويقال: هو المعلم بعلامة..
(٦) شعارهم: علامتهم فى الحرب.
(٧) ضنك: أى ضيق. والهام ههنا: الرأس. والحنتم: الحنظل، يريد أنها تطيح وتطير كما يطير الحنظل عند حصده.
(٨) العود فى الأصل المسن من الإبل ويريد به هنا أنه قديم فى المجد مطلقا وشامخ: مرتفع. والعرنين: طرف الأنف. والخضرم: الجواد الكثير العطاء.
(٩) أودى: هلك. والمسجد ههنا: مسجد مكة أو مسجد النبى ﷺ بالمدينة

فخرق عباس ضمار، ولحق بالنبى ﷺ فأسلم.

قال ابن هشام: وقال جعدة بن عبد الله الخزاعى يوم فتح مكة:

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل ... لحيْن له يوم الحديد متاح[1]

أتيحت له من أرضه وسمائه ... لتقتله ليلا بغير سلاح

ونحن الألى سدت غزال خيولنا ... ولِفتا سددناه وفج طلاح[2]

حظرنا وراء المسلمين بجحفل ... ذوى عضد من خيلنا ورماح[3]

وهذه الأبيات فى أبيات له:

وقال بجيد بن عمران الخزاعى.

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ... ركام صحاب الهيدب المتراكب[4]

وهجرتنا فى أرضنا عندنا بها ... كتاب أتى من خير مُمل وكاتب

ومن أجلنا حلت بمكة حرمة ... لندرك ثأراً بالسيوف القواضب[5]

## مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة[6]
## ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا، ولم يبعثه مقاتلا، فوطىء بنى جذيمة، فأصاب منهم.

قال ابن هشام: وقال عباس بن مرداس السلمى فى ذلك:

فإن تك قد أمرت فى القوم خالداً ... وقدمــــته فإنـــه قد تقدما

بجـــند هـــداه الله أنـــت أميـــره ... نصيب به فى الحق من كان أظلما

قال ابن هشام: وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها.

قال ابن إسحاق: فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنَيْف، عن أبى جعفر

---

(١) الحين: الهلاك. ومتاح: مهيأ ومقدر..

(٢) الألى: أى الذين. وغزال: اسم موضع. ولفت: اسم موضع أيضاً. وفج طلاح: اسم موضع أيضاً.

(٣) حظرنا: معناه منعنا. والشىء المحظور: هو الممنوع. والجحفل: الجيش الكثير العدد.

(٤) الركام: المتراكب الذى يركب بعضه بعضا. والهيدب: القريب من الأرض.

(٥) القواضب: القواطع. واحدها: قضب، والقضب: القطع.

(٦) وتعرف بغزوة الغميط، وهو اسم ماء لبنى جذيمة كما ذكر السهيلى فى «الروض الأنف» (٤/ ١٢٠)

محمد بن على، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا، ولم يبعثه مقاتلا، ومعه قبائل من العرب: سليم بن منصور، ومدلج بن مرة، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا.(١)

قال ابن إسحاق: فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة، قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بنى جذيمة! إنه خالد والله! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحى أبدا. قال: فأخذه رجال من قومه، فقالوا: ياجحدم، أتريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح، ووضعت الحرب، وأمن الناس. فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد.

قال ابن إسحاق: فحدثنى حكيم بن حكيم، عن أبى جعفر محمد بن على، قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ، رفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد.(٢)

**الرسول يتبرأ من فعل خالد:** قال ابن هشام: حدثنى بعض أهل العلم، أنه حدث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى، قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت كأنى لقمت لقمة من حيس(٣) فالتذذت طعمها، فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها، فأدخل على يده فنزعه؛ فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: يا رسول الله، هذه سرية من سراياك تبعثها، فيأتيك منها بعض ماتحب، ويكون فى بعضها اعتراض، فتبعث عليا فيسهله.(٤)

قال ابن هشام: وحدثنى أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره

---

(١) إسناده مرسل.

(٢) إسناده مرسل. وروى البخارى(٨/ ٥٦ـ٥٧) فى كتاب المغازى، باب: بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة. عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: «بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا، صبأنا. فجعل خالدٌ يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالدٌ أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت: والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل رجل من أصحابى أسيره حتى قدمنا على النبى ﷺ فذكرناه، فرفع النبى ﷺ يديه فقال: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين» اهـ. ومعنى قولهم: صبأنا: أى أسلمنا، وكانت قريش تقول لمن أسلم: صبأ، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لأن قولهم صبأنا أى خرجنا من دين إلى دين ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام. ومعنى قول النبى ﷺ: «اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد» قال الخطابى: أنكر عليه العجلة وترك التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم: صبأنا، وانظر «الفتح» (٨/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٣) الحيس: تمر يخلط بسمن ودقيق ويعجن.

(٤) إسناده ضعيف للجهالة والإرسال.

الخبر، فقال رسول الله ﷺ: هل أنكر عليه أحد؟ فقال: نعم، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة[١]، فنهمه[٢] خالد، فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب[٣]، فراجعه، فاشتدت مراجعتهما؛ فقال عمر بن الخطاب: أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله، وأما الآخر فسالم، مولى أبى حذيفة.[٤]

قال ابن إسحاق: فحدثنى حكيم بن حكيم، عن أبى جعفر محمد بن على قال: ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه، فقال: يا على، اخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر فى أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك؛ فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدى لهم ميلغة الكلب[٥]، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا. قال: فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطا لرسول الله ﷺ، مما يعلم ولا تعلمون، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر: فقال أصبت وأحسنت! قال: ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه، حتى إنه ليرى مما تحت منكبيه، يقول: اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات.[٦]

قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالدا إنه قال: ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى، وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدنى: لما أتاهم خالد، قالوا: صبأنا صبأنا[٧].

قال ابن إسحاق: وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببنى جذيمة: يا بنى جذيمة، ضاع الضرب، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه. قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف، فيما بلغنى، كلام فى ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام. فقال: إنما ثأرت بأبيك. فقال

---

(١) الربعة من الرجال: الذى بين الطويل والقصير.
(٢) نهمه: زجره.
(٣) مضطرب: أى ليس مستوى الخلق.
(٤) إسناده ضعيف للجهالة.
(٥) الميلغة: خشبة تحضر ثم تتخذ ليلغ فيها الكلب.
(٦) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/٦٧-٦٨) من طريق ابن إسحاق.
(٧) صبأنا صبأنا: أى دخلنا فى دين محمد. وكانوا يسمون النبى ﷺ الصابئ لأنه خرج من دينهم.

عبد الرحمن: كذبت، قد قتلت قاتل أبى، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: مهلا يا خالد، دع عنك أصحابى، فوالله لو كان لك أحُد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحته.(١)

**ما كان بين قريش وبنى جذيمة فى الجاهلية:** وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله ﷺ بن عمر بن مخزوم، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة، وعفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجارا إلى اليمن، ومع عفان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر، كان هلك باليمن، إلى ورثته، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقتل عرف، والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة، فقالت بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال، فقبلت قريش ذلك، ووضعوا الحرب.

وقد قال قائل من بنى جذيمة، وبعضهم يقول: امرأة يقال لها سلمى:

| | |
|---|---|
| ولولا مقال القوم للقوم أسلموا | للاقت سليم يوم ذلك ناطحا |
| لماصعهم بُسر وأصحاب جحدم | ومُرة حتى يتركوا البرك ضابحا(٢) |
| فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى | أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا(٣) |
| ألظت بخطاب الأيامى وطلقت | غداتئذ منهن من كان ناكحا(٤) |

(١) إساده مرسل فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى سلمة كما فى «تاريخ الطبرى»(٣/ ٦٨) قلت: والثابت فى الصحيح أنه كان هناك شىء بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد وليس فى الروايات الصحيحة التصريح بهذا الخلاف.

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شىء. فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**» رواه البخارى(٦٣٧٠) كتاب الفضائل، باب: «تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم» واللفظ له، وأحمد(٣/ ١١، ٥٤)، وأبو داود(٤٦٥٨)، والترمذى(٣٨٦١)، وأبو يعلى(١٠٨٧، ١١٧١، ١١٩٨) وابن أبى شيبة(٧/ ٥٤٨)، وابن ماجه(١٦١)، والنسائى فى«الكبرى»كما فى«تحفة الأشراف»(٣/ ٣٤٣).

(٢) المصاع والمماصعة: المضاربة بالسيوف. والبرك: الإبل باركة. وضابحاً: صائحاً.

(٣) الغميصاء: بلد. (٤) ألظت : لزمت. والأيامى: جمع أيم، وهى التى لا زوج لها

قال ابن هشام: قوله: «بسر»، «وألظت بخطاب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمى:

دعى عنك تقوال الضلال كفى بنا ... لكبش الوغى فى اليوم والأمس ناطحا[1]
فخالد أولى بالتعذر منكم ... غداة علا نهجا من الأمر واضحا
مُعانا بأمر الله يزجى إليكم ... سوانح لاتكبو له وبوارحا[2]
نَعَوْا مالكا بالسهل لما هبطنه ... عوابس فى كابى الغبار كوالحا[3]
فإن نك أثكلناك سلمى فمالك ... تركتم عليه نائحات ونائحا[4]

وقال الجحاف بن حكيم السلمى:

شهـــدن مـــع النبى مسومات ... حنينـــا وهـــى دامـــية الكلام[5]
وغزوة خالد شهدت وجرت ... سنابـــكهن بالبـــلد الحرام[6]
نعرض للطعان إذا التقينا ... وجـــوها لا نعـــرض للكام
ولســـت بخـــالع عنى ثيابى ... إذا هـــز الكـــماة ولا أرامى
ولكـــنى يجـــول المهر تحتى ... إلى العلوات بالعضب الحسام

**خبر ابن أبى حدرد بنى جذيمة:** قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزهرى، عن ابن أبى حدرد الأسلمى، قال: كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد، فقال لى فتى من بنى جذيمة، وهو فى سنى، وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى؛ فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة، فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة، ثم تردنى بعد، فتصنعوا بى ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله ليسير ما طلبت. فأخذت برمته فقدته بها، حتى وقف عليهن، فقال: اسلمى حبيس، على نفد من العيش:

---

(١) الكبش ههنا: الرجل السيد. والوغى: الحرب.

(٢) يزجى: يسوق. والسوانح: جمع سانح وأصله من الطير ما مر من مياسرك إلى ميامنك، ولا تكبوا: معناه لا تسقط. والبوارح: جمع بارح وهو من الطير ما مر من ميامنك إلى مياسرك. وكانوا يتيامنون بالسوانح ويتشاءمون بالبوارح، وأراد ههنا الخيل تحدق بهم وتجيئهم من كل جهة.

(٣) عوابس: جمع عابس، وهو الذى انقبضت شفاهه فظهرت أسنانه.

(٤) أثكلناك: أى فقدناك. وسلمى: منادى.

(٥) مسومات: أراد بها الخيل من التسويم وهو التعليم بعلامة. والكلام: جمع كلم وهو الجرح.

٦) السنابك: جمع سنبك، وهو مقدم طرف الحافر، وبالبلد الحرام: المراد به مكة.

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم ... بحلية أو ألفيتكم بالخوانق[١]
لم يك أهلا أن ينول عاشق ... تكلف إدلاج السرى والودائق[٢]
فلا ذنب لى قد قلت إذ أهلنا معا ... أثيبى بود قبل إحدى الصفائق[٣]
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى ... وينأى الأمير بالحبيب المفارق[٤]
فإنى لا ضيعت سر أمانة ... ولا راق عينى عنك بعدك رائق[٥]
سوى أن ما نال العشيرة شاغل ... عن الود إلا أن يكون التوامق[٦]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منها له.

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الأسلمى قال: قالت: وأنت فحييت سبعا وعشرا، وترا وثمانيا تترى[٧]. قال: ثم انصرفت به. فضربت عنقه.[٨]

قال ابن إسحاق: فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى، عن أشياخ منهم، عمن كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضربت عنقه، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده.

قال ابن إسحاق: وقال رجل من بنى جذيمة:

جزى الله عنا مدلجا حيث أصبحت ... جزاءة بؤسى حيث سارت وحلت
أقاموا على أقضاضنا يقسمونها ... وقد نهلت فينا الرماح وعلت[٩]
فوالله لولا دين آل محمد ... لقد هربت منهم خيول فشلت
وما ضرهم أن لا يعينوا كتيبة ... كرجل جراد أرسلت فاشمعلت[١٠]
فإما ينيبوا أو يثوبوا لأمرهم ... فلا نحن نجزيهم بما قد أضلت[١١]

---

(١) حلية والخوانق: اسما موضعين.

(٢) الإدلاج: السير من أول الليل. والودائق جمع وديقةوهى شدة الحر، وأراد بالإدلاج ههنا مجرد السير، والسرى: أصله السير ليلا، فأراد منه ههنا الليل، يقول: تكلفت السير فى الليل وفى شده الحر.

(٣) الصفائق: أراد بها النوائب.

(٤) تشحط: تبعد، وينأى: يبعد أيضاً.

(٥) راق: أعجب، يريد لم يعجبنى بعدك أحد.

(٦) التوامق: الحب.

(٧) ثمانيا تترى: أى تتوالى.

(٨) إساده صحيح. وقال الحافظ فى«الفتح»(٨/ ٥٨) وقد روى النسائى والبيهقى فى«الدلائل» بإسناد صحيح من حديث ابن عباس نحو هذه القصة وقال فيها:«فقال إنى لست منهم إنى عشقت امرأة منهم فدعونى أنظر إليها نظرة - قال فيه - فضربوا عنقه فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت فذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: **«أما كان فيكم رجل رحيم؟»**.

(٩) الأقضاض: جمع قض، وأراد به ههنا المال المجتمع. ونهلت: من النهل وهو الشرب الأول. وعلت من العلل وهو الشرب الثانى..

(١٠) اشمعلت: تفرقت.

(١١) يثوبوا: يرجعوا.

فأجابه وهب، رجل من بنى ليث، فقال:

دعونا إلى الإسلام والحق عامراً ... فما ذنبنا فى عامر إذ تولت
وما ذنبنا فى عامر لا أبا لهم ... لأن سفهت أحلامهم ثم ضلت

وقال رجل من بنى جذيمة:

ليهنىء بنى كعب مقدم خالد ... وأصحابه إذ صبحتنا الكتائب
فلا ترة يسعى بها ابن خويلد ... وقد كنتَ مكفيا لو أنك غائب[1]
فلا قومنا ينهون عنا غواتهم ... ولا الداء من يوم الغميصاء ذاهب[2]

وقال غلام من بنى جذيمة، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد:

رخين أذيال المروط وأربعن ... مَشْيَ حييات كأن لم يفزعن[3]
إن تمنع اليوم نساء تمنعن

وقال غلمة من بنى جذيمة، يقال لهم بنو مساحق، يرتجرون حين سمعوا مخالد فقال أحدهم:

قد علمت صفراء بيضاء الإطل ... يجوزها ذو ثلة وذو إبل[4]
لأغنين اليوم ما أغنى رجل

وقال الآخر:

قد علمت صفراء تلهى العرسا ... لا تملأ الحيزوم منها نهسا[5]
لأضربن اليوم ضربا وعساً ... ضرب المحلين مخاضا قعسا[6]

وقال الآخر:

أقسمت ما إن خادر ذو لبده ... شثن البنان فى غداة برده[7]

---

(١) الترة: العداوة وطلب الثأر.
(٢) الغواة: السفهاء جمع غوى.
(٣) المروط: جمع مرط وهو كساء من خز. وأربعن: أقمن على ذلك.
(٤) الإطل: الخاصرة. والثلة بفتح الثاء المثلثة ـ القطيع من الغنم.
(٥) الحيزوم: أسفل عظام الصدر، وهو ما يقع عليه الحزام، وأراد به بطنها. والنهس: أكل اللحم بمقدم الأسنان، يريد أنها قليلة الأكل.
(٦) ضرباً وعساً: أى سريعاً، والمواعسة: السرعة فى الشىء. والمحلون: هم الذين خرجوا من الحرم إلى الحل. والمخاض: الإبل الحوامل. والقعس التى تتأخر وتأبى أن تمشى.
(٧) الخادر: الأسد الداخل فى الخدر، والخدر: الأجمة التى يسكنها الأسد. واللبدة: الشعر الذى يكون فوق كتفيه. وشثن: غليظ. والبنان: الأصابع. وفى غداة بردة: أى باردة.

جهم المحيا ذو سبـــال ورده يرزم بين أيكة وجــحده[١]

ضار بتأكال الرجــال وحده **بأصدق** الغداة منى نـجده[٢]

**خالد يهدم العزى:** ثم بعث رسول **الله** ﷺ **خالد** بن الوليد إلى العزى وكانت بنخلة[٣]، وكانت بيتا يعظمه هذا الحى **من قريش وكنانة** ومضر كلها، وكانت سدنتها[٤] وحجابها بنى شيبان من بنى سليم **حلفاء بنى هاشم**، فلما سمع صاحبها السلمى بمسير خالد إليها، علق عليها سيفه، وأسند فى الجبل[٥] الذى هى فيه وهو يقول:

أيا عز شدى شدة لا شوى لها على خالد ألقى القناع وشمرى[٦]

يا عز إن لم تقتلى المرء خالـدا فبوئى بإثم عاجل أو تنصـــرى[٧]

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثنى ابن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة.

قال ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان.

*****

## غزوة حنين فى سنة ثمان ـ بعد الفتح

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النصرى، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بنى هلال، وهم قليل، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير، ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا، وفى ثقيف سيدان لهم، فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبيع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى. فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم

---

(١) جهم: أى عابس. والمحيا: الوجه. وذو سبال: المراد به الشعر الذى حول فمه. ويرزم: أى يصوت. والأيكة: الشجرة الكثيرة الأغصان، والجحدة: القليلة الورق والأغصان.

(٢) ضار: أى مسعور. والتأكال: الأكل. والنجدة: الشجاعة.

(٣) نخلة: اسم موضع.

(٤) سدنتها: جمع سادن وهو خادم بيت العبادة.

(٥) أسند فى الجبل: ارتفع وعلا فيه.

(٦) لا شوى لها: يريد لا تبقى على شىء.

(٧) بوئى: ارجعى.

وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس[١] اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمة فى شجار له[٢] يقاد به، فلما نزل قال: بأى واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس قال: نعم مجال الخيل! لا حرن ضرس، ولا سهل دهس[٣]، مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير. وبكاء الصغير، ويعار[٤] الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودعى له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام. مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، قال: فانقض به[٥]. ثم قال: راعى ضأن، والله! وهل يرد المنهزم شىء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد[٦] والجد، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالو: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان[٧] من عامر، لاينفعان ولا يضران؛ يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة[٨] بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم، ثم الق الصباء[٩] على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر عقلك. ، والله لتطعيننى يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى. وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى؛ فقالوا: أطعناك؛ فقال دريد بن الصمة: هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى:

يالیتنى فيها جذع ... أخب فيها وأضع[١٠]

---

(١) أوطاس: اسم الموضع الذى كانت فيه الغزوة.

(٢) الشجار: شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

(٣) الحزن: المرتفع الغليظ من الأرض. والضرس: الذى فيه حجارة محددة، والسهل: المطمئن من الأرض. والدهس: اللين الكثير التراب .

(٤) يعار الشاء: صوتها.

(٥) انقض به: زجره كما تُزجر الدابة.

(٦) الحد: يريد الشجاعة والحدة. .

(٧) الجذعان: يريد أنهما ضعيفان بمنزلة الجذع فى سنه .

(٨) البيضة: جماعة القوم وأصلهم.

(٩) الصباء: جمع صابئ، وكانوا يسمون المسلمين صباء.

(١٠) ياليتنى فيها جذع: يتمنى أن يكون فى هذه الحرب شاباً . وأخب: من الخبب. وأضع: من الوضع. والخبب والوضع: ضربان من السير.

أقود وطفاء الزمع          كأنها شاة صدع[1]

قال ابن هشام: أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله:

«يا ليتنى فيها جذع»

قال ابن إسحاق: ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد.

قال: وحدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدث: أن مالك ابن عوف بعث عيونا من رجاله، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم، فقال: ويلكم! ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالا بيضا على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبى الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى، وأمره أن يدخل فى الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم. فانطلق ابن أبى حدرد، فدخل فيهم، فأقام فيهم، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر؛ فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبى حدرد. فقال ابن أبى حدرد: إن كذبتنى فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير منى. فقال عمر: يارسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد؟ فقال رسول الله ﷺ: قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر.[2]

**استعارة أدراع صفوان:** فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا له وسلاحا، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا، فقال صفوان: أغصبا يا محمد؟ قال: بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك[3]، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل.

---

(١) الوطفاء: الطويلة الشعر. والزمع: الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة، يريد فرساً هذه صفتها. والشاة ههنا: الوعل (وهو تيس الجبل) وصدع: وسط بين العظم والحقير.

(٢) رواه الحاكم(٣/ ٤٨-٤٩) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى.

(٣) رواه الحاكم(٣/ ٤٩) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى.

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثنى عشر ألفا، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة، أميراً على من تخلف عنه من الناس، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن.

**قصيدة ابن مرداس:** فقال عباس بن مرداس السلمى:

أصابت العام رِعلا غولُ قومهم ... وسط البيوت ولون الغول ألوان[1]
يالهف أم كلاب إذ تبيتهم ... خيل ابن هوذة لا تنهى وإنسان[2]
لا تلفظوها وشدوا عقد ذمتكم ... أن ابن عمكم سعد ودهمان[3]
لن ترجعوها وإن كانت مجللة ... ما دام فى النعم المأخوذ ألبان[4]
شنعاء جلل من سوآتها حضن ... وسال ذو شوغر منها وسلوان[5]
ليست بأطيب مما يشتوى حذف ... إذ قال: كل شواء العير جُوفان[6]
وفى هوازن قوم غير أن بهم ... داء اليمانى فإن لم يغدروا خانوا
فيهم أخ لو وفوا أو بر عهدهم ... ولو نهكناهم بالطعن قد لانوا[7]
أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها ... منى رسالة نصح فيه تبيان
أنى أظن رسول الله صابحكم ... جيشاً له فى فضاء الأرض أركان
فيهم أخوكم سليم غير تارككم ... والمسلمون عباد الله غسان
وفى عضادته اليمن بنو أسد ... والأجربان بنو عبس وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبته ... وفى مقدمه أوس وعثمان

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان: قبيلا مزينة.

قال ابن هشام: من قوله: «أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها» إلى آخرها، فى هذا اليوم، وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم، وهما مفصولتان، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة.

**ذات أنواط:** قال ابن إسحاق: وحدثنى ابن شهاب الزهرى، عن سنان ابن أبى سنان الدؤلى، عن أبى واقد الليثى، أن الحارث بن مالك، قال خرجنا مع رسول الله

---

(١) رعل: اسم قبيلة. والغول: أصله فى زعمهم ساحرة الجن، وأراد منه ههنا الداهية العظيمة.
(٢) إنسان ههنا: اسم قبيلة فى هوازن. (٣) سعد ودهمان: قبيلتان من هوازن.
(٤) مجللة: مغطاة. (٥) حضن: جبل بنجد. وذر شوغر وسلوان: واديان.
(٦) حذف: هو اسم رجل. وجوفان: أراد أنه لا يساغ فيبقى البطن معه خالياً.
(٧) نهكناهم: أذللناهم وبالغنا فى ضرهم.

ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حنين، قال: وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوما. قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺسدرة خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله ﷺ: الله أكبر، قلتم، والذى نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى: ﴿**اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون**﴾. إنها السُّنن، لتركبن سنن من كان قبلكم.[1]

**ثبات الرسول وبعض الصحابة:** قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف حطوط، إنما ننحدر فيه انحداراً، قال: وفى عماية الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى، فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين، لا يلوى أحد على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: أين أيها الناس؟هلموا إلى، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله. قال: فلا شيء، حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل ابن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد. وأيمن بن عبيد، قتل يومئذ.[2]

قال ابن هشام: اسم ابن أبى سفيان بن الحارث جعفر، واسم أبى سفيان المغيرة، وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس، ولا يعد ابن أبى سفيان.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن ابن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه.

---

(١) إسناده صحيح. ورواه البيهقى فى «دلائل النبوة» (٥/ ١٢٤ـ ١٢٥) من طريق ابن إسحاق. ورواه أحمد (٥/ ٢١٨) والترمذى (٢٢٨٥) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٧٦).

(٢) إسناده صحيح. ورواه أحمد(٣/ ٣٧٦) وأبو يعلى(١٨٦٢) والبزار (١٨٣٤) باختصار.

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن[١]، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام[٢] لمعه فى كنانته. وصرخ جبلة بن الحنبل - قال ابن هشام؛ كلدة بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك[٣]، فوالله لأن يربّنى[٤] رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن.[٥]

**حسان يهجو كلدة:** قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة:

| | |
|---|---|
| رأيت سواداً من بعيد فراعنى | أبو حنبل ينزو على أم حنـــبل |
| كأن الذى ينزو به فوق بطنها | ذراع قلوص من نتاج ابن عزهل |

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية، وكان أخا كلدة لأمه.

**شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول:** قال ابن إسحاق: وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة. أخو بنى عبد الدار: قلت: اليوم أدرك ثأرى، وكان أبوه قتل يوم أحد، اليوم أقتل محمدا. قال: فأدرت برسول الله لأقتله، فأقبل شىء حتى تغشى فؤادى، فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع منى.[٦]

قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أهل مكة، أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكة إلى حنين، ورأى كثرة من معه من جنود الله: لنْ نغلب اليوم من قلة.[٧]

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها.

**النصر:** قال ابن إسحاق: وحدثنى الزهرى، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب، قال: إنى لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها، قال: وكنت امرءا جسيما شديد الصوت، قال. ورسول الله ﷺ يقول

---

(١) الضغن: العدواة.
(٢) الأزلام: السهام التى يستقسمون بها
(٣) فض الله فاه: أى كسر أسنانه.
(٤) يربنى يكون لى رباً: أى ملكاً على.
(٥) إساده صحيح. ورواه أحمد(٣/ ٣٧٦)، وأبو يعلى(١٨٦٣).
(٦) ذكره الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ١٨٤) بسياق أطول مما هنا وقال: رواه الطبرانى وفيه أبو بكر الهذلى وهو ضعيف. اهـ.
(٧) إسناده ضعيف للجهالة. وذكره الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ١٧٨) عن أنس قال: قال غلام منا من الأنصار يوم حنين: لن نغلب اليوم من قلة، وبعد أن ذكر الهيثمى بقية الحديث قال: رواه البزار وفيه على بن عاصم بن صهيب وهو ضعيف لكثرة غلطه وتماديه فيه وقد وثق وبقية رجاله ثقات.

حين رأى ما رأى من الناس: أين أيها الناس؟ فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: يا عباس اصرخ، يا معشر الأنصار: يا معشر أصحاب السمرة، قال: فأجابوا: لبيك، لبيك! قال فيذهب الرجل ليثنى بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه، فيقذفها فى عنقه، ويأخذ سيفه وترس ويقتحم عن بعيره، ويخلى سبيله، فيؤم الصوت، حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ. حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدعوى أول ما كانت: يا للأنصار. ثم خلصت أخيرا: يا للخزرج. وكانوا صبراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ فى ركائبه. فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون، فقال: الآن حمى الوطيس.[١]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه، فضرب عرقوبى الجمل، فوقع على عجزه[٢]، ووثب الأنصارى على الرجل، فضربه ضربة أطن قدمه[٣] بنصف ساقه، فانجعف عن رحله، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ.

قال: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ، وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثفر بغلته، فقال من هذا؟ قال: أنا ابن أمك يا رسول الله.[٤]

**أم سليم فى المعركة:** قال ابن إسحاق: قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر: أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سليم بنت ملحان وكانت مع زوجها أبى طلحة وهى حازمة وسطها ببرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة، ومعها جمل أبى طلحة، وقد خشيت أن يعزها الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها فى خزامته[٥] مع الخطام، فقال لها رسول الله ﷺ: أم سليم؟ قالت: نعم، بأبى أنت وأمى يا رسول الله، اقتل

---

(١) إسناده صحيح. ورواه مسلم(٤٥٣٢) كتاب المغازى، باب: فى غزوة حنين، وعبد الرزاق(٩٧٤١)، وأحمد(١/ ٢٠٧). وأصل الوطيس فى اللغة: التنور وأراد منه ههنا الحرب نفسها.

(٢) أعلى عجزه: أى على مؤخره.

(٣) أطن قدمه: أى أطارها حتى سمع لضربته طنين، أى صوت ودوى.

(٤) إسناده صحيح. ورواه بنحوه أحمد(٣/ ٣٧٦ـ٣٧٧) وأبو يعلى(١٨٦٣)، وأراد أبو سفيان بن الحارث أن يتقرب إلى النبى ﷺ بقوله: «أنا ابن أمك يا رسول الله» والمراد بالأم ههنا الجدة.

(٥) الخزامة: حلقة تصنع من شعر وتجعل فى أنف البعر.

هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله ﷺ: أو يكفى الله يا أم سُليم؟ قال: ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته[١] به قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرُميصاء[٢].

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ، حين وجه إلى حنين، قد ضم بنى سليم الضحاك بن سفيان الكلابى، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه:

أقدم محاج إنه يوم نكر ... مثلى على مثلك يحمى ويكر[٣]
إذا أضيع الصف يوما والدُبر ... ثم احزألت زمر بعد زمر[٤]
كتائب يكل فيهن البصر ... قد أطعن الطعنة تقذى بالسبر[٥]
حين يذم المستكين المنجحر ... وأطعن النجلاء تعوى وتهر[٦]
لها من الجوف رشاش منهمر ... تفهق تارات وحينا تنفجر[٧]
وثعلب العامل فيها منكسر ... يا زيد يابن هَمْهَم أين تفر[٨]
قد نفد الضرب وقد طال العمر ... قد علم البيض الطويلات الخمر[٩]
أنى فى أمثالها غير غمر ... إذ تخرج الحاضن من تحت الستر[١٠]

وقال مالك بن عوف أيضا:

أقدم محاجُ إنها الأساوره ... ولا تغرنك رجل نادره[١١]

(١) بعجته به: أى شققت بطنه.
(٢) إسناده مرسل. ورواه بنحوه مسلم(٤٦٠٠)وأحمد(٣/١٠٨ـ١٠٩) وأبو داود(٢٧١٨) من حديث أنس رضى الله عنه. والرميصاء: مصغر الرمصاء، والرمصاء: التى يخرج القذى من عينها.
(٣) محاج: اسم فرس مالك. ويوم نكر: شديد، ينكر فيه الناس بعضهم بعض.
(٤) احزألت: ارتفعت، وأراد فرت. والزمر: جمع زمرة وهى الجماعة من الناس.
(٥) كتائب: جمع كتيبة وهى الجماعة من الجيش، ويكل فيهن البصر: أى يعيا، وأراد أنها كثيرة العدد. والسبر: ما يسبر به غور الجرح ليعرف أغائر هو أم غير غائر
(٦) المستكين: الذليل. والمنجحر: المتباعد. النجلاء: الطعنة الواسعة. وتعوى وتهر: أراد أنه يسمع لها صوت كالعواء والهرير.
(٧) الجوف: الباطن، يريد أن طعنته تصل إلى جوف المطعون. ورشاش: أراد به الدم. ومنهمر: منصب. وتفهق: تنفتح. وتنفجر: يسيل منها الدماء.
(٨) الثعلب: ما دخل فى السنان من عصا الرمح. والعامل: أعلى الرمح.
(٩) نفد: فنى. والبيض: جمع بيضاء. والخمر: جمع خمار وهو ما تستر به المرأة وجهها.
(١٠) الغمر: الرجل الذى لم يجرب الأمور. والحاضن: أراد به المرأة التى تحضن ولدها. والستر: جمع ستار
(١١)قال الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ١٨٥): رواه الطبرانى عن خليفة بن خياط عن محمد بن سلام الجمحى وكلاهما ثقة. اهـ. والأساورة: جمع أسوار، وهو الرامى من القوس. ونادرة: أى قد انقطعت وبعدت.

قال ابن هشام: وهذا البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم.

**من قتل قتيلا له سلبه:** قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر، أنه حدث عن أبى قتادة الأنصارى قال: وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا، عن نافع مولى بنى غفار أبى محمد عن أبى قتادة، قالا: قال أبو قتادة: رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان: مسلما ومشركا، قال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم. قال: فأتيته، فضربت يده فقطعتها، واعتنقنى بيده الأخرى، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم - ويروى: ريح الموت، فيما قال ابن هشام - وكاد يقتلنى، فلولا أن الدم نزفه لقتلنى، فسقط، فضربته فقتلته، وأجهضنى عنه القتال، ومر به رجل من أهل مكة فسبله، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم، قال رسول الله ﷺ: من قتل قتيلا فله سَلَبَه، فقلت: يارسول الله، والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب، فأجهضنى عنه القتال، فما أدرى من استلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله، وسلب ذلك القتيل عندى، فأرضه عنى من سلبه، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: لا والله، لا يرضيه منه، تعمد إلى أسد من أسد الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سلبه؟! اردد عليه سلب قتيله، فقال رسول الله ﷺ: صدق فاردد عليه سلبه. فقال أبو قتادة: فأخذته منه، فبعته، فاشتريت بثمنه مخرفا[1] فإنه لأول مال اعتقدته.[2]

قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم، عن أبى سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة، عن أنس بن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا.[3]

**الملائكة تحضر القتال:** قال ابن إسحاق: وحدثنى أبى إسحاق بن يسار، أنه حُدث عن جبير بن مطعم، قال: لقد رأيت - قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون - مثل البجاد[4] الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبثوث[5]، قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.[6]

قال ابن إسحاق: ولما هزم الله المشركين من أهل حنين، وأمكن رسوله ﷺ

---

(١) مخرفاً: يريد به نخلاً وإنما سماه مخرفاً لأنه يخترف ثمره أى يجنيه.

(٢) فى إسناده من لم يسم. ورواه بنحوه البخارى(٦/ ٢٧) ومسلم(٤٤٨٧) وأبو داود(٢٧٧) والترمذى(٥٦٢) وابن ماجه(٢٨٣٧)، وقوله: أول مال اعتقدته: أى اتخذته عقدة، والعقدة: الضيعة.

(٣) أورد الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٧٧) هذه الرواية من طريق ابن إسحاق وهو إسناد صحيح. ورواه بنحوه أبو داود(٢٧٨) والدارمى(٢٤٨٤).

(٤) البجاد: الكساء.

(٥) مبثوث: متفرق ومنتشر.

(٦)فى إسناده جهالة. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٧٧)من طريق ابن إسحاق. وقال الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ١٨٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسنادين فى أحدهما عباد بن آدم ولم يوثقه أحد وم يجرحه. اهـ.

منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خيل الله خيل اللات والله أحـــــــــق بالثبـــــــات

قال ابن هشام: أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر:

غلبت خـيل الله خـيل اللات وخـــــيله أحـــــــق بالثبات

قال ابن إسحاق: فلما انهزم هوزان استحر القتل[1] من ثقيف فى بنى مالك، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبدالله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، وكانت رايتهم مع ذى الخمار، فلما قتل أخذها عثمان بن عبدالله، فقاتل بها حتى قتل.

قال ابن إسحاق: وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود، قال، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ قتله، قال: أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشا.

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل[2]، قال: فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد يسلبه، فوجده أغرل، قال: فصاح بأعلى صوته: يامعشر العرب: يعلم الله أن ثقيفا غرل. قال المغيرة بن شعبة: فأخذت بيده، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب، فقلت: لا تقل ذاك، فداك أبى وأمى، إنما هو غلام لنا نصرانى. قال ثم جعلت أكشف له على القتلى وأقول له: ألا تراهم مختتنين كما ترى.

قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف، فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين: رجل من غيره، يقال له وهب، وآخر من بنى كبة، يقال له الجلاح: فقال رسول الله حين بلغه قتل الجلاح: قتل اليوم سيد شباب ثقيف، إلا ما كان من ابن هنيدة، يعنى هنيدة الحارث بن أويس.

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب الأسود وفراره من بنى أبيه، وذا الخمار وحبسه قومه للموت:

ألا من بلغ غيلان عنى وسوف - إخال - يأتيه الخبير
وعروة إنما أهدى جوابا وقولا غير قولكما يسير
بأن محمداً عـبـد رسـول لرب لا يضل ولا يجور

(١) استحر القتل: اشتد وقوى.

(٢) أغرل: أى غير مختتن..

وجدناه نبيا مثل موسى ... فكل فتى يخايره مخير[١]

وبئس الأمر أمر بنى قسى ... بوج إذ تقسمت الأمور[٢]

أضاعوا أمرهم ولكل قوم ... أمير والدوائر قد تدور

فجئنا أسد غابات إليهم ... جنود الله ضاحية تسير[٣]

يؤم الجمع جمع بنى قسى ... على حنق نكاد له نطير[٤]

وأقسم لو هم مكثوا لسرنا ... إليهم بالجنود ولم يغوروا[٥]

فكنا أسد لية ثم حتى ... أبحناها وأسلمت النصور[٦]

ويوم كان قبل لدى حنين ... فأقلع والدماء به تمور[٧]

من الأيام لم تسمع كيوم ... ولم يسمع به قوم ذكور

قتلنا من الغبار بنى حطيط ... على راياتها والخيل زور[٨]

ولم يك ذو الخمار رئيس قوم ... لهم عقل يعاقب أو مكير

أقام بهم على سنن المنايا ... وقد بانت لمبصرها الأمور[٩]

فأفلت من نجا منهم جريضاً ... وقتل منهم بشرٌ كثير[١٠]

ولا يغى الأمور أخو التوانى ... ولا الغلق الصريرة الحصور[١١]

أحانهم وحان وملكوه ... أمورهم وأفلتت الصقور[١٢]

بنو عوف تميح بهم جياد ... أهين لهاالفصافص والشعير[١٣]

فلولا قارب وبنو أبيه ... تقسمت المزارع والقصور

ولكن الرياسة عمموها ... على يمن أشار به المشير[١٤]

أطاعوا قاربا ولهم جدود ... وأحلام إلى عز تصير

---

(١) يخايرة: يغالبه فى الخير، أى يقول له أنا خير منك . ومخير: اسم مفعول، من خاره يخيره إذا غلبه فى الخير.

(٢) قسى: اسم ثقيف. ووج: اسم موضع.

(٣) غابات: جمع غابة، وهى مكان الأسد. وضاحية: معناه بارزة لا يخفى مكانها.

(٤) نؤم: نقصد. والحنق: الغضب.

(٥) لم يغوروا: لم يذهبوا.

(٦) لية: موضع قريب من الطائف. والنصور: قيل إنها جمع ناصر وقيل هم بنو نصر من هوازن، رهط مالك بن عوف النصرى يقال لهم النصور.

(٧) تمور: تسيل.

(٨) زور: مائلة.

(٩) سنن المنايا: طريقها.

(١٠) الجريض: المختنق بريقه.

(١١) التوانى: الفتور فى الأمر. والغلق: ضيق الخلق. والصريرة: مصغر الصرورة: وهو الذى لم يتزوج. والمصور: الذى لا يأتى النساء.

(١٢) أحانهم: أهلكهم، يريد أنه عرضهم للهلاك وهلك معهم.

(١٣) تميح بهم: تمشى بهم مشياً حسناً. والفصافص: جمع فصفصة وهى بقلة تأكلها الدواب.

(١٤) عمموها: أسندت إليهم وقدموا لها

فإن يهدؤا إلى الإسلام يلفوا | أنوف الناس ما سمر السمير[١]
وإن لم يسلموا فهم أذان | بحرب الله ليس لهم نصير
كما حكّت بنى سعد وحرب | برهط بنى غزية عنقفير[٢]
كأن بنى معاوية بن بكر | إلى الإسلام ضائنة تخور[٣]
فقلنا أسلموا إنا أخوكم | وقد برأت من الإحن الصدور[٤]
كأن القوم إذ جاءوا إلينا | من البغضاء بعد السلم عور[٥]

قال ابن هشام: غيلان: غيلان بن سلمة الثقفى، وعروة: عروة بن مسعود الثقفى.

**مقتل دريد**: قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك فى نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

فأدرك ربيعة بن رُفَيع بن أهيان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال ابن عوف ابن امرىء القيس، وكان يقال له ابن الدغنة وهى أمه، فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لذعة فيما قال ابن هشام - دريد بن الصمه، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه فى شجار له[٦]، فإذ برجل، فأناخ به، فإذا شيخ كبير، وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بى؟ قال: أقتلك قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمى، ثم ضربه بسيفه، فلم يغن شيئا، فقال: بئس ماسلحتك أمك! خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل، وكان الرحل فى الشجار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب والله يوم قد منعتُ فيه نساءك، فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشف، فإذا عجانه[٧] وبطون فخذية مثل القرطاس، من ركوب الخيل أعراء[٨]؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا.

فقالت عمرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريدا:

---

(١) أنوف الناس: سادتهم والمقدمين عليهم. والسمير: جماعة السمار وهو الذين يتحدثون ليلاً.
(٢) العنقفير: الداهية. (٣) تخور: تصيح. (٤) الاحن: الأحقاد والبغض.
(٥) عور: جمع أعور، يريد أنهم ينظرون إليهم بجهة وذلك نظر المتكبر
(٦) الشجار: شِبَه الهودج. (٧) العجان: ما بين الفرجين.
(٨) أعراء: جمع عر، وهو هنا الفرس الذى لا سرج له.

لعمرك ما خشيت على دريد ... ببطن سُميْرة جيش العناق[1]
جزى عنه الإله بنى سليم ... وعقتهم بما فعلوا عقاق[2]
وأسقانا إذا قدنا إليهم ... دماء خيارهم عند التلاقى
فرب عظيمة دافعت عنهم ... وقد بلغت نفوسهم التراقى[3]
ورب كريمة أعتقت منهم ... وأخرى قد فككت من الوثاق
ورُب منوّه بك من سليم ... أجبت وقد دعاك بلا رماق[4]
فكان جزاؤنا منهم عقوقا ... وهمّا ماع منه مخ ساقى[5]
عفت آثار خيلك بعد أين ... بذى بقر إلى فيف النهاق[6]

وقالت عمرة بنت دريد أيضاً:

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا ... فظل دمعى على السربال ينحدرأت
لولا الذى قهر الأقوام كلهم ... سليم وكعب كيف تأتمر
إذن لصبحهم غبا وظاهرة ... حيث استقرت نواهم جحفل ذَفر[7]

قال ابن هشام: ويقال اسم الذى قتل دريدا: عبد الله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى، فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال[8] فرمى أبو عامر بسهم فقتل؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى، وهو ابن عمه فقاتلهم، ففتح الله على يديه وهزمهم. فيزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم، فأصاب ركبته، فقتله، فقال:

إن تسألوا عنى فإنى سلمه ... ابن سمادير لمن توسمه[9]
أضرب بالسيف رؤوس المسلمة

---

(١) سميرة: واد قرب حنين. والعناق: الأمر الشديد. (٢) عقاق: أى العقوق وهو ضد البر.
(٣) التراقى: جمع ترقوة، وهى عظام الصدر.
(٤) المنوه: إذا ناداك نداء ظاهراً بأشهر أسمائك والرماق: بقية الحياة. (٥) ماع: سال.
(٦) عفت: درست وتغيرت. وذو بقر: موضع. والفيف: الفقر. والنهاق: موضع.
(٧) الغب: هو أن ترد الإبل الماء يوماً وتدعه يوماً. والظاهرة: أن ترده كل يوم، وقد أرادت أنه يكثر عليهم الغارة، فضربت ذلك مثلاً. والجحفل: الجيش الكثير . وذفر: رائحة كريهة من طول لبس السلاح.
(٨) ناوشوه القتال: أى قاتلوه بعض قتال.
(٩) سمادير ههنا: اسم أمه. ولمن توسمه: أى لمن نظر إليه وأراد أن يستدل عليه.

وسمادير: أمه.

واستحر القتل من بنى نصر فى بنى رئاب، فزعموا أن عبدالله بن قيس - وهو الذى يقال له ابن العوراء، وهو أحد بنى وهب بن رئاب - قال: يارسول الله هلكت بنو رئاب. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اجبر مصيبتهم.

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف فى فوارس من قومه، على ثنية[1] من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم، وتلحق أخراكم. فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس؛ فقال مالك بن عوف فى ذلك:

| | |
|---|---|
| ولولا كرتان على مُحاج | لضاق على العضاريط الطريق[2] |
| ولولا كر دهمان بن نصر | لدى النخلات مندفع الشديق[3] |
| لآبت جعفر وبنو هلال | خزايا محقبين على شقوق[4] |

قال ابن هشام: هذه الأبيات لمالك بن عوف فى غير هذا اليوم. وما يدلك على ذلك قول دريد بن الصمة فى صدر هذا الحديث: ما فعلت كعب وكلاب؟ فقالوا له: لم يشهدها منهم أحد، وجعفر بن كلاب. وقال مالك ابن عوف فى هذه الأبيات: «لآبت جعفر وبنو هلال».

قال ابن هشام: وبلغنى أن خيل طلعت ومالك وأصحابه على الثنية، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى قوما واضعى رماحهم بين أذان خيلهم، طويلة بوادهم[5]؛ فقال: هؤلاء بنو سليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى. ثم طلعت خيل أخرى تتبعها؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوما عارضى رماحهم، أغفالا[6] على خيلهم فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم. فلما انتهوا إلى الثنية سلكوا طريق بنى سليم. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: نرى فارسا طويل الباد، وضعا رمحه على عاتقه، عاصبا رأسه بملاءة حمراء فقال هو الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم، فاثبتوا له، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم، فصمد لهم[7]، فلم يزل يطاعنهم

(١) الثنية: موضع مرتفع بين جبلين. (٢) محاج: اسم فرسه. والعضاريط: الأتباع.

(٣) الشديق: واد من وديان الطائف. (٤) محقبين: مردفين لمن انهزم منهم. وعلى شقوق: أراد على مشقة.

(٥) البواد: جمع باد وهو لحم الفخذ.

(٦) أغفالا: جمع غفل وهو الذى لا علامة له، يريد أنهم لم يتخذوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

(٧) صمد لهم: قصد ناحيتهم.

حتى أزاحهم عنها[١].

قال ابن إسحاق: وقال سلمة بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم:

نسيتني ما كنت غير مصابية ... ولقد عرفت غداة نعف الأظرب[٢]
أني منعتك والركوب محبب ... ومشيت خلفك مثل مشي الأنكب[٣]
إذ فر كل مهذب ذي لمة ... عن أمه وخليله لم يعقب[٤]

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أن أبا عامر الأشعرى لقى يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فقتله أبو عامر؛ ثم حمل عليه آخر، فحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم أشهد عليه، فقتله أبو عامر: ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقى العاشر؛ فحمل على أبى عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: الله أشهد عليه؛ فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليّ، فكف عنه أبو عامر، فأفلت؛ ثم أسلم بعد فحسن إسلامه. فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبى عامر. ورمى أبا عامر أخوان العلاء وأوفى ابنا الحارث، من بنى جشم بن معاوية، فأصاب أحدهما قلبه، والآخر ركبته، فقتلاه، وولى الناس أبو موسى الأشعرى فحمل عليهما فقتلهما، فقال رجل من بنى جشم بن معاوية يرثيهما:

إن الرزية قتل العلاء ... وأوفى جميعاً ولم يسندا[٥]
هما القاتلان أبا عامر ... وقد كان ذا هبة أربدا[٦]
هما تركاه لدى معرك ... كأن على عطفه مجسدا[٧]
فلم تر فى الناس مثليهما ... أقل عثاراً وأرمى يدا

**المنهى عن قتلهم:** قال ابن إسحاق: وحدثنى بعض أصحابنا: أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون[٨] عليها فقال: ما هذا؟

---

(١) أزاحهم عنها: أزالهم. (٢) النعف: أسفل الجبل. والأظرب: الجبل الصغير.
(٣) الأنكب: المائل إلى جهة.
(٤) المهذب: الخالص من العيوب، أو هو المسرع فى السير. وخليله: هو صاحبه. ولم يعقب: أى لم يرجع.
(٥) لم يسندا: لم يبق فيها رمق. (٦) ذا هبّة: له سيف ذو هبّة، والهبة: الاهتزاز. والأربد: الذى فيه طرائق.
(٧) المعرك: موضع العراك، وهو الحرب. والمجسد: الثوب المصبوغ بالزعفران، يريد أن دمه سال حتى صبغ ثوبه.
(٨) متقصفون: يريد أنهم مجتمعون عليها..

فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد: فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: أدرك خالداً، فقل له: إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفا[٢].

**الشيماء أخت الرسول**: قال ابن إسحاق، وحدثني بعض بنى سعد بن بكر: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: إن قدرتم على بجاد، رجل من بنى سعد بن بكر، فلا يُفْلِتَنَّكُم، وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنفُوا عليها فى السياق: فقالت للمسلمين: تعلموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة؛ فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ.[٢]

قال ابن إسحاق: فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى، قال: فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ، قالت: يارسول الله، إنى أختك من الرضاعة، قال: وملا علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك[٣] قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وخيرها، وقال: إن أحببت فعندى محبة مكرمة؛ وإن أحببت أن أمتعك[٤] وترجعى إلى قومك فعلت، فقالت بل تمتعنى وتردنى إلى قومى فمتعها رسول الله ﷺ، وردها إلى قومها: فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول، وجارية، فزوجت أحدهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية.[٥]

**ما أنزل الله فى حنين**: قال ابن هشام: وأنزل الله عز وجل فى يوم حنين: **﴿ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾** إلى قوله: **﴿وذلك جزاء الكافرين﴾**[٦].

**شهداء حنين**: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين:

من قريش ثم من بنى هاشم: أيمن بن عبيد.

ومن بنى أسد بن عبد العزى: يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، جمح به فرس له يقال له الجناح، فقتل.

---

(١) العسيف: الأجير..

(٢) فى سنده جهالة. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٨٠) من طريق ابن إسحاق.

(٣) متوركتك: جعلتك تتورك على.. (٤) أمتعك: أعطيك ما يكون لك متاعاً.

(٥) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٨١)من طريق ابن إسحاق، وأخرجه المستغفرى من طريق سلمة ابن الفضل عن ابن إسحاق هكذا كما فى «الإصابة» لابن حجر(٤/ ٣٤٤).

(٦) التوبة: ٢٥ـ ٦٢.

ومن الأنصار: سراقة بن الحارث بن عدى، من بنى العجلان.

ومن الأشعريين: أبو عامر الأشعرى.

**سبايا حنين وأموالها:** ثم جمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة، فحبست بها.

**ماقيل من الشعر يوم حنين:** وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم حنين:

لولا الإله وعبده وليتم ... حين استخف الرعب كل جبان[1]

بالجِزع يوم حبا لنا أقراننا ... وسوابح يكبُون للأذقان[2]

منْ بين ساع ثوبه فى كفه ... ومقطر بسنابك ولبان[3]

والله أكرمنا وأظهر ديننا ... وأعزنا بعبادة الرحمن

والله أهلكهم وفرق جمعهم ... وأذلهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام: ويروى فيها بعض الرواة:

إذ قام عم نبيكم ووليه ... يدعون: يا لكتيبة الإيمان

أين الذين هم أجابوا ربهم ... يوم العريض وبيعة الرضوان[4]

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس فى يوم حنين:

إنى والسوابح يوم جمع ... وما يتلو الرسول من الكتاب[5]

لقد أحببت ما لقيت ثقيف ... بجنب الشعب أمسّ من العذاب

هم رأس العدو من أهل نجد ... فقتلهم ألذ من الشراب

هزمنا الجمع بنى قسى ... وحكت بركها ببنى رئاب[6]

وصرما من هلال غادرتهم ... بأوطاس تعفر بالتراب[7]

---

(١) استخف: دعاهم إلى الخفة وطاشت به حلومهم. والرعب: الفزع والخوف.

(٢) الجزع: ما انعطف من الوادى. وحبا: اعترض، يقال حبا الشىء إذا اعترض. والسوابح: هى الخيل كأنها تسبح فى الماء لسهولة سيرها. ويكبون: يخرجون ويسقطون. والأذقان: جمع ذقن.

(٣) مقطر: مرمى على قطره، يريد واقعاً على جنبه. والسنابك: جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر. واللبان: الصدر.

(٤) العريض: موضع. (٥) يوم جمع: هو يوم مزدلفة وهى المشعر الحرام أيضاً.

(٦) البرك: الصدر، والضمير يعود إلى الحرب المفهومة من كلامه. ولهذا ساغ له إضمارها وإن لم يجر لها ذكر صريح، ويريد بحكة بركها: شدة وطأة الحرب.

(٧) الصرم: جماعة بيوت انقطعت عن الحى الكبير. وتعفر بالتراب: كناية عن وقوعهم مجدلين فوق التراب.

ولو لاقين جمع بنى كلاب ... لقام نساؤهم والنقع كابى

ركضنا الخيل فيهم بين بس ... إلى الأورال تنحط بالنهاب[١]

بذى لجَبٍ رسولُ الله فيهم ... كتيبتهُ تَعرَّض للضِّراب[٢]

قال ابن هشام: قوله «تعفر بالتراب»: عن غير ابن إسحاق.

فأجابه عطية بن عفيف النصرى، فيما حدثنا ابن هشام، فقال:

أفاخرة رفاعة فى حنـــين ... وعباس بن راضعة اللجاب

فإنك والفجار كذات مرط ... لربتها وترفل فى الإهــاب

قال ابن إسحاق: قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن فى يوم حنين. ورفاعة من جهينة.

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضا:

يا خاتم النُّباء إنك مرسل ... بالحق كل هدى السبيل هداكا

إن الإله بنى عليك محبة ... فى خلقه ومحمداً سماكا

ثم الذين وفوا بما عاهدتهم ... جند بعثت عليهم الضحاكا

رجُلا به ذرب السلاح كأنه ... لما تكنفه العدو يراكا[٣]

يغشى ذوى النسب القريب وإنما ... يبغى رضا الرحمن ثم رضاكا

أنبيك أنى قد رأيت مكره ... تحت العجاجة يدمغ الإشراكا[٤]

طورا يعانق باليدين وتارة ... يفرى الجماجم صارما بتاكا[٥]

يغشى به هام الكماة ولو ترى ... منه الذى عاينت كان شفاكا[٦]

وبنو سليم معنقون أمامه ... ضرباو طعنا فى العدو دراكا[٧]

يمشون تحت لوائه وكأنهم ... أسد العرين أردن ثم عراكا[٨]

---

(١) تنحط: تخرج نفسها عالياً. والنهاب: جمع نهب، وهو ما ينتهب من الغنائم.

(٢) بذى لجب: أراد به جيشاً كثير العدد. واللجب: صوته.

(٣) به ذرب السلاح: صرامته وحدته. وتكنفه: أحاط به.

(٤) أنبيك: أراد أنبئك فخفف الهمزة، ومعناه أخبرك. ومكره: مصدر ميمى بمعنى الكر، والعجاجة: الغبرة. ويدمغ الإشراك: يضرب دماغه، وأراد أهل الإشراك.

(٥) يقرى: معناه يطعم. والصارم: السيف القاطع. والبتاك: الشديد القطع.

(٦) الهام: الرؤوس. والكماة: الشجعان. ومعنى لوترى... إلخ أنك لو رأيت شجاعته التى عاينتها أنا لسرك ذلك منه فكان شفاء لنفسك.

(٧) معنقون: مسرعون. ودراك: متتابع.

(٨) العرين: موضع الأسد. والعراك: المدافعة فى الحرب.

ما ير تجون من القريب قرابة ... إلا لطاعة ربهم وهواكا
هذى مشاهدنا التى كانت لنا ... معروفة وولينا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضا:

إما تَرَىْ يا أم فروة خيلنا ... منها معطلة تقاد وظلع[١]
أوهى مقارعة الأعادى دمها ... فيها نوافذ من جراح تنبع[٢]
فلرب قائلة كفاها وقعنا ... أزم الحروب فسربها لا يفزع[٣]
لا وفد كالوفد الأولى عقدوا لنا ... سببا بحبل محمد لايقطع[٤]
وفد أبو قطن حزابة منهم ... وأبو الغيوث وواسع والمقنع
والقائد المائة التى وفى بها ... تسع المئين فتم ألف أقرع[٥]
جمعت بنو عوف ورهط مخاشن ... وأجلب من خفاف أربع[٦]
فهناك إذ نصر النبى بألفنا ... عقد النبى لنا لواء يلمع
فزنا برايته وأورث عقده ... مجد الحياة وسودداً لا ينزع
وغداة نحن مع النبى جناحه ... ببطاح مكة والقنا يتهزع[٧]
كانت إجابتنا لداعى ربنا ... بالحق منا حاسر ومقنع[٨]
فى كل سابغة تخير سردها ... داود إذ نسج الحديد وتبع[٩]
ولنا على بئرى حنين موكب ... دمغ النفاق وهضبة ما تقلع[١٠]
نصر النبى بنا وكنا معشراً ... فى كل نائبة نضر وننفع
ذدنا غداتئذ هوازن بالقنا ... والخيل يغمرها عجاج يسطع[١١]
إذ خاف حدهم النبى وأسندوا ... جمعا تكاد الشمس منه تخشع[١٢]

---

(١) الظلع: العرج.
(٢) أوهى: أضعف. ومقارعة الأعادى: محاربتهم. ودمها: معناه تسويتها بالعمل والصنعة لها حتى استوى لحمها، تقول دمت الأرض إذا سويتها. وتنبع: تسيل.
(٣) أزم الحرب: شدتها. وسربها: نفسها. ولا يفزع: أى لا يعتريه الفزع والخوف.
(٤) الألى: الذين. والسبب: الحبل، وأراد هنا الألفة. (٥) ألف أقرع: أى ألف بالتمام.
(٦) أجلب: معناه جمع مع حركة وصوت. وخفاف: اسم رجل تنسب إليه القبيلة.
(٧) يتهزع: يضطرب.
(٨) الحاسر: الذى لا درع له. والمقنع: الذى يلبس المغفر على رأسه.
(٩) السابغة: الدرع الكاملة. وسردها: نسجها. وداود: النبى داود وكان يصنع الدروع. وتبع: ملك من ملوك اليمن.
(١٠) الموكب: الجماعة من الخيل. ودمغ النفاق: أصاب دماغه. والهضبة: الكدية.
(١١) العجاج: الغبار. ويسطع: يعلو ويتفرق. (١٢) تخشع: أراد ههنا بالخشوغ نقصان ضيائها.

تدعى بنو جشم وتدعى وسطه … أفناء نصـــــــــر والأسنة شرع[1]
حتى إذا قال الرسول محمد … أبنى سليم قد وفيتم فارفعوا
رحنا ولولا نحن أجحف بأسهم … بالمؤمنين وأحرزوا ماجمعوا[2]

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين:

عفا مجدل من أهله فمتالع … فمطلا أريكِ قد خلا فالمصانع[3]
ديار لنا يا جُمْل إذ جل عيشنا … رخى وصرفَ الدار للمحى جامع[4]
حبيبة ألوت بها غربة النوى … لبين فهل ماض من العيش راجع[5]
فإن تبتغى الكفار غير ملومة … فإنى وزير للنبى وتابع
دعانى إليهم خير وفد علمتهم … خزيمة والمرار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم … لبوس لهم من نسج داود رائع[6]
نبايعه بالأخشبين وإنما … يد الله بين الأخشبين نبايع[7]
فجسنا مع المهدى مكة عنوة … بأسيافنا والنقع كاب وساطع[8]
عدنية والخيل يغشى متونها … حميم وآن من دم الجوف ناقع[9]
ويوم حنين حين سارت هوازن … إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع[10]
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا … قراع الأعادى منهم والوقائع[11]
أمام رسول الله يخفق فوقنا … لواء كخذروف السحابة لامع[12]
عشية ضحاك بن سفيان معتص … بسيف رسول الله والموت كانع[13]

---

(١) الأفناء: الجماعة التى تجتمع من قبائل شتى. وشرع: مائلة للطعن: أى منتصبة مرفوعة.
(٢) أجحف: نقص وضر. وأحرزوا: جعلوه فى حرز ومنعة.
(٣) عفا: تغير ودرس. وأصل المجدل: القصر أو الحصن، وهو ههنا مكان. ومتالع: جبل. والمطلاء: الأرض التى يستقر فيها الماء. وأريك: موضع. والمصانع: ما يجتمع فيها ماء المطر كالأحواض.
(٤) جمل: اسم امرأة. وجل عيشنا: أكثره. ورخى: ناعم.
(٥) حبيبة: تصغير حبيبة. وألوت بها: غيرتها عما كنا نعدها عليه. والنوى والبين: الفراق.
(٦) لبوس من نسج دواد: أراد الدروع. ورائع: معجب يروعك بحسنه وجماله.
(٧) الأخشبان: جبلان بمكة.
(٨) جسنا: وطئنا. والمهدى: النبى ﷺ. وعنوة: القهر والغلبة. والنقع: الغبار. وكاب: موجع. وساطع: متفرق.
(٩) المتون: الظهور. والحميم: هنا العرق. والآنى: الحار. وناقع: معناه كثير.
(١٠) الأضالع: جمع ضلع.
(١١) لا يستفزنا: لا يستخفنا. وقراع الأعادى: مقارعتهم بالسيوف وحربهم. والوقائع: جمع وقيعة.
(١٢) خذروف السحابة: طرفها، وأراد ههنا السرعة فى تحرك هذا اللواء واضطرابه.
(١٣) معتص: ضارب. والموت كانع: أى دان، نقول كنع الموت إذا دنا وقرب.

نذود أخـان عن أخينـا ولـو نرى مـصالا لـكـنا الأقـربـين نـتابـع
ولـكـن ديـن الله دين مـحـمـد رضيـنا بـه، فيـه الهدى والشـرائع
أقـام بـه بعـد الـضـلالة أمـرنـا ولـيس لأمـر حـمـه الله دافـع[1]

وقال عباس بن مرداس أيضا في يوم حنين:

تـقـطـع باقـى وصـل أم مـؤمـل بعـاقبـة واستـبدلـت نيـة خُلفـا[2]
وقد حلـفت بالله لا تقطـع القوى فما صـدقت فيه ولا برت الحـلفا[3]
خفـافيـة بطن الـعقـيق مصـيفـهـا وتحتل فـى البادين وجرة فالـعرفا[4]
فـإن تـتـبـع الكـفـار أم مـؤمـل فقد زودت قلبى علـى نأيها شغفا[5]
وسـوف ينـبـيـهـا الخـبـيـر بأنـنـا أبينا ولـم نطلب سوى ربنـا حلفا[6]
وأنـا مع الـهادى الـنبى مـحـمـد وفيـنا ولـم يسـتوفهـا معـشر ألـفا
بفتيان صدق من سـليم أعزةخفاف أطاعوا فـما يعصون من أمـره حرفا
وذكـوان وعـوف تـخـالـهـم مصاعب زافت فى طـروقتها كُلفا[7]
كأن النسيج الشهب والبيض ملبس أسوداً تلاقت فى مراصدها غُضفا[8]
بـنـا عـز ديـن الله غيـر تـنـحـل وزدنا على الحى الذى مـعه ضعفا[9]
بمـكـة إذ جـئـنـا كـأن لـواءنـا عقـاب أرادت بعد تحـليقـها خطـفا
على شُخصِ الأبصار تحسب بينها إذا هى جالت فى مـراودها عزفا[10]
غـداة وطئـنا المـشركـين ولم نجـد لأمـر رسـول الله عدلا ولا صـرفـا
بمعـترك لا يـسمـع القـوم وسطـه لنـا زجمة إلا الـتذامـر والنقـفا[11]

---

(١) حمه الله: قدره وهيأ أسبابه. (٢) النية: ما ينويه الإنسان ويقصده. وخلف: خلف الوعد وهو عدم إنجازه.
(٣) القوى: أسباب المودة. ولا برت الحلفا: هو من الحلف الذى هو اليمين.
(٤) خفافية: منسوبة إلى بنى خفاف، وهم حى من سليم. والعقيق: واد بالمدينة. ومصيفها: المكان الذى تقيم فيه زمن الصيف. ووجرة والعرف: موضعان.
(٥) النأى: البعد، والشغف: شدة الحب.
(٦) الحلف: تحالف القوم على أن يكونوا يداً واحدة فى جميع أمورهم.
(٧) مصاعب: جمع مصعب، وهو الفحل. وزافت: سارت ومشت. والطروقة: الناقة التى يطرقها الفحل. والكلف: جمع أكلف وهو الأسود.
(٨) النسيج: ههنا الدروع. والمراصد: جمع مرصد وهو المكان الذى يرصد فيه بعض الناس بعضا. والغضف: جمع أغضف وهو المسترخى الأذنين.
(٩) التنحل: الكذب.
(١٠) شخص: جمع شاخص، وتقول: شخص بصره، إذا ارتفع. والمراود: جمع مرود وهو الوتر. والعزف: الصوت والحركة.
(١١) الزجمة: الصوت. والتذامر: أن يحض بعضهم بعضاً على القتال. والنقف: الضرب الشديد..

ببيض نطير الهام عن مستقرها ... ونقطف أعناق الكماة بها قطفا[1]
فكائن تركنا من قتيل ملحب ... وأرملة تدعو على بعلها لهفا[2]
رضا الله ننوى لا رضا الناس نبتغى ... ولله ما يبدو جميعا وما يخفى

وقال عباس بن مرداس أيضا:

ما بال عينك فيها عائر سهر ... مثل الحماطة أغضى فوقها الشُّفُرُ[3]
عين تأوبها من شجوها أرق ... فالماء يغمرها طوراً وينحدر[4]
كأنه نظم در عند ناظمة ... تقطع السلك منه فهو منتثر[5]
يا بعد منزل من ترجو مودته ... ومن أتى دونه الصّمان فالحفر[6]
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ... ولى الشباب وزار الشيب والزعر[7]
واذكر بلاء سليم فى مواطنها ... وفى سليم لأهل الفخر مفتخر[8]
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا ... دين الرسول وأمر الناس مشتجر[9]
لا يغرسون فسيل النخل وسطهمإلا ... ولا تخاور فى مشتاهم البقر[10]
سوابح كالعقبان مقربة ... دارة حولها الأخطار والعكر[11]
تدعى خُفاف وعوف فى جوانبها ... وحى ذكوان لا ميل ولا ضجر[12]
الضاربون جنود الشرك ضاحية ... ببطن مكة والأرواح تبتدر[13]

---

(١) أراد بالبيض: السيوف. والهام: هى الرؤوس. ومستقرها: مكان استقرارها. ونقطف: نقطع. والكماة: الشجعان.
(٢) كائن: أى كثيراً. وملحب: أى مقطع اللحم. والأرملة: التى مات زوجها.
(٣) العائر: وجع العين. والسهر: الامتناع عن النوم، وأراد سهر صاحبه. والحماطة: شدة تكون فى جفن العين. والشفر: أجفان العين.
(٤) تأوبها: جاءها مع الليل، أو راجعها مرة بعد مرة. والشجو: الحزن. والأرق: السهر. فالماء يغمرها: أراد بالماء ههنا الدمع، يريد أنه يغطيها. وينحدر: يسيل.
(٥) السلك: هو الخيط الذى ينظم فيه الدر. ومنتثر: متفرق.
(٦) الصمان والحفر: اسما موضعين.
(٧) الزعر: قلة الشعر، وهو من علامات الكبر أيضاً.
(٨) بلاء سليم: عظيم صنعها. والمواطن: جمع موطن، وأراد به مواقع الحروب. ومفتخر: أراد موضع فخر.
(٩) أمر الناس مشتجر: مختلف. والاشتجار: الاختلاف وتداخل الحجج بعضا على بعض.
(١٠) الفسيل: صغار النخل. وتخاور: هو من الخوار وهو صوت الأبقار.
(١١) سوابح: جمع سابح، وهو الفرس الذى كأنه يعوم فى الماء عند جريه. ومقربة: التى تربط قريباً من بيوت أصحابها محافظة عليها. والأخطار: الجماعات من الإبل. والعكر: الإبل الكثيرة.
(١٢) الميل: جمع أميل وهو الذى لا سلاح معه. والضجر: جمع ضجر وهو المتبرم الذى ساء احتماله وضاق صدره.
(١٣) ضاحية: منكشفة بارزة للشمس.

حتى دفعنا وقتلاهم كأنهم ... نخل بظاهرة البطحاء منقعر[1]

ونحن يوم حنين كان مشهدنا ... للدين عزاً وعند الله مدخر

إذ نركب الموت مخضراً بطائنه ... والخيل ينجاب عنها ساطع كدر[2]

تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا ... كما مشى الليث فى غاباته الخدر[3]

فى مأزق من مجر الحرب كلكلها ... تكاد تأفل منه الشمس والقمر[4]

وقد صبرنا بأوطاس أسنتنا ... لله ننصر من شئنا وننتصر

حتى تأوب أقوام منازلهم ... لولا المليك ولولا نحن ما صدروا[5]

فما ترى معشراً قلوا ولا كثروا ... إلا قد أصبح منا فيهم أثر

وقال عباس بن مرداس أيضا:

يأيها الرجل الذى تهوى به ... وجناء مجمرة المناسم عرمس[6]

إما أتيت على النبى فقل له ... حقا عليك إذا اطمأن المجلس

يا خير من ركب المطى ومن مشى ... فوق التراب إذا تُعد الأنفس

إنا وفينا بالذى عاهدتنا ... والخيل تقدع بالكماة وتضرس[7]

إذا سال من أفناء بهثة كلها ... جمع تظل به المخارم ترجس[8]

حتى صبحنا أهل مكة فيلقا ... شهباء يقدمها الهمام الأشوس[9]

من كل أغلب من سليم فوقه ... بيضاء محكمة الدخال وقونس[10]

يُروى القناة إذا تجاسر فى الوغى ... وتخاله أسداً إذا ما يعبس

يغشى الكتيبة معلما وبكفه ... عضب يقد به ولدن مدعس[11]

---

(١) منقعر: منقلع من أصله. (٢) ساطع: هو الغبار المتفرق. والكدر: المتغير إلى السواد.

(٣) الخدر: الأسد الداخل فى خدره أى موضعه.

(٤) المأزق: المكان الضيق. والكلكل: الصدر. وتأفل: تغيب.

(٥) تأوب: أراد رجع. وصدر: رجع أيضاً.

(٦) تهوى به: تسرع به. والوجناء: الناقة الضخمة. والمناسم: جمع منسم، وهو طرف خف البعير. وعرمس: شديدة.

(٧) تقرع: تكف وتزجر. والكماة: الشجعان . وتضرس: تجرح

(٨) سال: أراد ارتفع. وبهثة: حى من سليم. والمخارم: الطرق فى الجبال. وترجس: تهتز وتتحرك، وأراد تموج بالسائرين فيها.

(٩) صبحنا: أتينا صباحاً، وأراد ههنا الغارة. والفيلق: الجيش. والشهباء: الكثيرة السلاح. والهمام: السيد والأشوس: الذى ينظر نظر المتكبر.

(١٠) الأغلب: الشديد الغليظ. ومحكمة الدخال: أى النسج، وأراد الدرع. والقونس: أعلى بيضة الحديد.

(١١) العضب: السيف القاطع. واللدن: اللين، وأراد به الرمح. والمدعس: الطعان، نقول: دعسته بالرمح إذا طعنته به.

وعلى حنين قد وفى من جمعنا ... ألف أمد به الرسول عرندس[1]
كانوا أمام المؤمنين دريئة ... والشمس يومئذ عليهم أشمس[2]
نمضى ويحرسنا الإله بحفظه ... والله ليس بضائع من يحرس
ولقد حبسنا بالمناقب محبسا ... رضى الإله به فنعم المحبس
وغداة أوطاس شددنا شدة ... كفت العدو وقيل منها: يا حبسوا
تدعو هوازن بالإخاوة بيننا ... ثدى تمد به هوازن أيبس
حتى تركنا جمعهم وكأنه ... عير تعاقبه السباع مفرس[3]

قال ابن هشام: أنشدنى خلف الأحمر قوله: «وقيل منها يا احبسوا».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضا:

نصرنا رسول الله من غضب له ... بألف كمى لا تعد حواسره[4]
حملنا له فى عامل الرمح راية ... يذود بها فى حومة الموت ناصره
ونحن خضبناها دما فهو لونها ... غداة حنين يوم صفوان شاجره[5]
وكنا على الإسلام ميمنة له ... وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة ... يشاورنا فى أمره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدما ... وكنا له عونا على من يناكره[6]
جزى الله خيرا من نبى محمداً ... وأيده بالنصر والله ناصره

قال ابن هشام: أنشدنى من قوله: «وكنا على الإسلام» إلى آخرها، بعض أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذى أوله: «حملنا له فى عامل الرمح راية». وأنشدنى بعد قوله: «وكان لنا عقد اللواء وشاهره»، «ونحن خضبناه دما فهو لونه».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

من مبلغ الأقوام أن محمداً ... رسول الإله راشد حيث يمما

---

(١) العرندس: الشديد.
(٢) دريئة: أى مدافعة، نقول درأت عنه، إذا دفعت.
(٣) العير: حمار الوحش. ومفرس: معقور قد افترسته السباع.
(٤) حواسره: جمع حاسر، وهو الذى لا درع له، يريد لا تعد جموعه الذين لا دروع لهم..
(٥) شاجره: مخاصمة ومخالطة.
(٦) الشعار: الثياب التى تلى الجسد، كناية عن القرب.

دعا ربه واستنصر الله وحده ... فأصبح قد وفى إليه وأنعما

سرينا وواعدنا قديداً محمداً ... يؤم بنا أمراً من الله محكما

تماروا بنا فى الفجر حتى تبينوا ... مع الفجر فتيانا وغابا مقوما[1]

على الخيل مشدودا علينا دروعنا ... ورجلا كدفاع الأتى عرمرما[2]

فإن سراة الحى إن كنت سائلا ... سليم وفيهم منهم من تسلما

وجند من الأنصار لا يخذلونه ... أطاعوا فما يعصونه ما تكلما

فإن تك قد أمرت فى القوم خالداً ... وقدمته فإنه قد تقدما

بجند هداه الله أنت أميره ... تصيب به فى الحق من كان أظلما

حلفتُ يميناً برة لمحمد ... فأملتها ألفا من الخيل ملجما

وقال نبى المؤمنين تقدموا ... وحُب إلينا أن نكون المقدما

وبتنا بنهى المستدير ولم يكن ... بنا الخوف إلا رغبة وتحزما[3]

أطعناك حتى أسلم الناس كلهم ... وحتى صبحنا الجمع أهل يلملما[4]

يضل الحصان الأبلق الورد وسطه ... ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما[5]

سمونا لهم ورد القطا زفّه ضحى ... وكل تراه عن أخيه قد احجما[6]

لدن غدوة حتى تركنا عشية ... حنينا وقد سالت دوافعه دما[7]

إذا شئت من كل رأيت طمرة ... وفارسها يهوى ورمحا محطما[8]

وقد أحرزت منا هوازن سربها ... وحب إليها أن نخيب ونحرما[9]

قال ابن إسحاق: وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب ابن مالك بن عوف ابن يقظة بن عصية السلمى فى يوم حنين: وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد، فقتل به محجنا وابن عم له، وهما من ثقيف:

---

(١) تماروا: شكوا فينا. والغاب ههنا: الرماح.

(٢) الأتى: السيل يأتى من بلد إلى بلد، والعرمرم: الكثير الشديد.

(٣) النهى: الغدير من الماء.

(٤) يلملم: موضع.

(٥) الحصان: الفرس الذكر. ويسوم: يعلم نفسه بعلامة يعرف بها.

(٦) زفه: ساقه سوقاً سريعاً . وأحجم: رجع وانقبض، ويقال أحجم بمعنى تأخر.

(٧) دوافعه: مجارى السيول فيه.

(٨) طمرة: فرس سريعة وثابة. ومحطم: مكسر.

(٩) السرب: المال الراعى.

نحن جلبنا الخيل من غير مجلب ... إلى جرش من أهل زيان والفم[1]
نقتل أشبال الأسود ونبتغي ... طواغي كانت قبلنا لم تهدم[2]
فإن تفخروا بابن الشريد فإنني ... تركت بوج مأتما بعد مأتم[3]
أباتهما بابن الشريد وغره ... جواركم وكان غير مذمم[4]
تصيب رجالا من ثقيف رماحنا ... وأسيافنا يكلمنهم كل مكلم[5]

وقال ضمضم بن الحارث أيضًا:

أبلغ لديك ذوى الحلائل آية ... لا تأمنن الدهر ذات خمار[6]
بعد التي قالت لجارة بيتها ... قد كنت لو لبث الغزيُّ بدار[7]
لما رأت رجلا تسفع لونه ... وغْر المصيفة والعظام عوارى[8]
مُشط العظام تراه آخر ليله ... متسربلا في درعه لغوار[9]
إذ لا أزال على رحالة نهدة ... جرداء تلحق بالنجاد إزارى[10]
يوما على أثر النهاب وتارة ... كتبت مجاهدة مع الأنصار[11]
وزهاء كل خميلة أزهقتها ... مهلا تمهله وكل خبار[12]
كيما أغير مابها من حاجة ... وود أبى لا أؤوب فجار[13]

قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة، قال: أسر زهير بن العجوة الهذلى يوم حنين، فكتف فرآه جميل بن معمر الجمحى، فقال له أأنت الماشى لنا بالمغايظ؟ فضرب عنقه؛ فقال أبو خراش الهذلى يرثيه، وكان ابن عمه:

---

(١) مجلب: مكان الجلب. وجرش: اسم موضع. وزيان: جبل. والفم: موضع.
(٢) طواغى: جمع طاغية والمراد بها ههنا البيوت التى كانوا يتعبدون فيها فى الجاهلية ويعظمونها سوى البيت الحرام. وتهدم: تكسر ويزول أثرها. .
(٣) وج: موضع بالطائف. والمأتم: جماعة النساء يجتمعن فى الخير والشر، وأراد به ههنا اجتماعهن فى الحزن.
(٤) أباتهما بابن الشريد: أى جعلتها بواء به، والبواء: السواء، والمراد أنه قتلهما.
(٥) يكلمنهم: يجرحنهم.
(٦) الحلائل: جمع حليلة، وهى الزوجة. والآية: العلامة. وذات خمار: امرأة.
(٧) الغزى: الجماعة الذين يغزون. .
(٨) تسفع لونه: غيره إلى السفعة، وهى سواد بحمرة. والوغر: شدة الحر. والمصيفة: الأرض شديدة الحرارة.
(٩) مشط العظام: قليل اللحم الذى على العظام. لغوار: للإغارة.
(١٠) الرحالة: السرج. والنهدة: الغليظة وأراد بها فرساً. والجرداء: قصيرة الشعر. والنجاد: حمائل السيف.
(١١) النهاب: جمع نهب، وهو ما يغنم وينهب.
(١٢) الخميلة: الرملة الطيبة ينبت فيها شجر. والخبار: أرض لينة التراب.
(١٣) أؤوب: أرجع. وفجار: من الفجور.

عجّف أضيافي جميل بن معمر ... بذي فجر تأوي إليه الأرامل[١]
طويل نجيا السيف ليس بجيدر ... إذا اهتز واسترخت عليه الحمائل[٢]
تكاد يداه تسلمان إزاره ... من الجود لما أذلقته الشمائل[٣]
إلى بيته يأوي الضريك إذا شتا ... ومستنبح بالي الدريسين عائل[٤]
تروح مقرورا وهبت عشية ... لها حدب تحتشه فيوائل[٥]
فما بال أهل الدار لم يتصدعوا ... وقد بان منها اللوذعي الحلاحل[٦]
فأقسم لو لاقيته غير موثق ... لآبك بالنعف الضباع الجيائل[٧]
وإنك لو واجهته إذ لقيته ... فنازلته أو كنت ممن ينازل
لظل جميل أفحش القوم صرعة ... ولكن قرن الظهر للمرء شاغل[٨]
فليس كعهد الدار يا أم ثابت ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالشيخ ليس بفاعل ... سوى الحق شيئا واستراح العواذل[٩]
وأصبح إخوان الصفاء كأنما ... أهال عليهم جانب التراب هائل[١٠]
فلا تحسبي أني نسيت لياليا ... بمكة إذ لم نعد عما نحاول[١١]
إذ الناس ناس والبلاد بغرة ... وإذا نحن لا تثنى علينا المداخل[١٢]

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره:

منع الرقاد فما أغمض ساعة ... نعَم بأجزاع الطريق مخضرم[١٣]

---

(١) عجف: أضعف وأهزل. والأرامل: جمع أرملة، وهي المرأة التي لا زوج لها.

(٢) الجيدر: القصير.

(٣) يريد أنه من كثرة سخائه يوشك أن يتجرد من إزاره يعطيه سائله. والشمائل: الرياح الباردة التي تأتي من ناحية الشمال. وأذلقته: أجهزته.

(٤) الضريك: الفقير. والمستنبح: الذي يضل بالليل ويتحير فينبح فتجيبه الكلاب فيقصدها. والدريسين: الثوب الخلق، وأراد بالدريسين إزاره ورداءه. والعائل: الفقير.

(٥) المقرور: الذي أصابه القر، وهو البرد. والحدب: الارتفاع. وتحتشه: تسوقه سوقاً سريعاً. ويوائل: يطلب موئلاً وهو الملجأ.

(٦) لم يتصدعوا: لم يتفرقوا. وبان: بعد. واللوذعي: الذكي. والحلاحل: السيد.

(٧) لآبك: رجع إليك وزارك. والنعف: أسفل الجبل. والضباع: نوع من السباع. والجيائل: جمع جيأل وهو الضبع أيضاً.

(٨) صرعة: من الصرع. وقرن الظهر: هو الذي يأتيه من وراء ظهره من حيث لا يراه.

(٩) العواذل: اللوائم.

(١٠) أهال: هو في التراب مثل صب الماء.

(١١) نَعْد: نشتغل ونمتنع.

(١٢) بغرة: بغفلة. ولا تثنى: لا تعطف.

(١٣) النعم: الإبل. وأجزاع الطريق: ما انعطف منه. ومخضرم: قد قطع من آذانه ليكون ذلك علامة له.

سائل هوزان هل أضر عدوها ... وأعين غارمها إذا ما يغرم
وكتيبة لبستها بكتيبة ... فئتين منها حاسر وملأم[(١)]
ومُقدم تعيا النفوس لضيقه ... قدمته وشهود قومى أعلم[(٢)]
فوردته وتركت إخوانا له ... يردون غمرته وغمرته الدم[(٣)]
فإذا انجلت غمراته أورثتنى ... مجد الحياة ومجد غنم يقسم[(٤)]
كلفتمونى ذنب آل محمد ... والله أظلم من أعق وأظلم
وخذلتمونى إذ أقاتل واحداً ... وخذلتمونى إذ تقاتل خثعم
وإذا بنيت المجد يهدم بعضكم ... لا يستوى بان وآخر يهدم
وأقب مخماص الشتاء مسارع ... فى المجد ينمى العلى متكرم[(٥)]
أكرهت فيه ألة يزنية ... سحماء يقدمها سنان سلجم[(٦)]
وتركت حَنته ترد وليه ... وتقول ليس على فلانة مقدم[(٧)]
ونصبت نفسى للرماح مدججا ... مثل الدرية تستحل وتشرم[(٨)]

قال ابن إسحاق: وقال قائل فى هوزان أيضا، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه:

أذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا ... ومالك فوقه الرايات تختفق
ومالك مالك ما فوقه أحد ... يوم حنين عليه التاج يأتلق[(٩)]
حتى لقوا الناس حين الباس يقدمهم ... عليهم البيض والأبدان والدرق[(١٠)]
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً ... حول النبى وحتى جنه الغسق[(١١)]
ثمت نزل جبريل بنصرهم ... من السماء فمهزوم ومعتنق
منا ولو غير جبريل يقاتلنا ... لمنعتنا إذن أسيافنا العتق[(١٢)]
وفاتنا عمر للفاروق إذ هزموا ... بطعنة بل منها سرجه العلق[(١٣)]

---

(١) الملأم: الذى لبس اللأمة، وهى الدرع.
(٢) مقدم: الموضع الذى لا يتقدم فيه إلا الشجعان.
(٣) غمرته: معظمه.
(٤) المجد: الشرف.
(٥) أقب: ضامر الخصر. ومخماص: ضامر البطن.
(٦) الألة: الحربة. ويزنية: منسوبة إلى ذى يزن وهو أحد ملوك حمير. وسحماء: سوداء. وسلجم: طويل.
(٧) حنته: زوجته، سميت بذلك لأنها تحن إليه ويحن هو إليها.
(٨) مدججاً: كامل السلاح. والدرية: حلقة تنصب ليتعلم الطعن فيها. وتشرم: تقطع.
(٩) يأتلق: يلمع.
(١٠) البيض: جمع بيضة الحديد. والأبدان: الدروع. والدرق: جمع درقة.
(١١) جنه: ستره. والغسق: الظلمة، وأراد بها ظلمة الغبار.
(١٢) العتق: القديمة.
(١٣) العلق: الدم.

وقالت امرأة من بنى جشم ترثى أخوين لها أصيبا يوم حنين:

أعينى جودا على مالك ... معا والعلاء ولا تجمدا
هما القاتلان أبا عامر ... وقد كان ذا هبة أربدا
هما تركاه لدى مجسد ... ينوء نزيفا وما وسدا[(١)]

وقال أبو ثواب بن صحار، أحد بنى سعد بن بكر:

ألا هل أتاك أن غلبت قريش ... هوازنَ والخطوب لها شروط
وكنا يا قريش إذا غضبنا ... يجىء من الغضاب دم عبيط[(٢)]
وكنا يا قريش إذا غضبنا ... كأن أنوفنا فيها سعوط[(٣)]
فأصبحنا تسوقنا قريش ... سياق العير يحدوها النبيط[(٤)]
فلا أنا إن سئلت الخسف آب ... ولا أنا أن ألين لهم نشيط[(٥)]
سينقل لحمها فى كل فج ... وتكتب فى مسامعها القطوط[(٦)]

ويروى «الخطوط»، وهذا البيت فى رواية أبى سعد.

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثواب زياد بن ثواب. وأنشدنى خلف الأحمر قوله: «يجىء من الغضاب دم عبيط»، وآخرها بيتا عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم، ثم من بنى أسيد، فقال:

بشرط الله نضرب من لقينا ... كأفضل ما رأيت من الشروط
وكنا ياهوازن حين نلقى ... نبل الهام من علق عبيط[(٧)]
بجمعكم وجمع بنى قسى ... نحك البرك كالورق الخبيط[(٨)]

---

(١) ينوء: ينهض متثاقلاً. والنزيف: الذى سال دمه حتى ضعف.
(٢) الدم العبيط: الطرى.
(٣) السعوط: ما يجعل فى الأنف، وهو ما يعرف بالنشوق.
(٤) النبيط: قوم من العجم كانوا يسكنون سواد العراق
(٥) الخسف: الذل والهوان. وآب: ممتنع.
(٦) القطوط: الكتب التى تجمع فيها الأعمال.
(٧) الهام: الرؤوس. والعلق: الدم. والعبيط: الطرى، يريد أنهم يقتلون من يحاربونهم.
(٨) بنوقسى: هم ثقيف. والبرك: الصدر. والورق الخبيط: هو الذى يخبط بالعصا ليسقط فتأكله الماشية.

أصبنا من سراتكم وملنا ... بقتل فى المباين والخليط

به الملتات مفترش يديه ... يمج الموت كالبكر النحيط[1]

فإن تك قيس عيلان غضابا ... فلا ينفك يُرغمهم سعوطى

وقال خديج بن العوجاء النصرى:

لما دنونا من حنين ومائه ... رأينا سواداً منكر اللون أخصفا[2]

بملمومة شهباء لو قذفوا بها ... شماريخ من عزوى إذن عاد صفصفا[3]

ولو أن قومى طاوعتنى سراتهم ... إذن ما لقينا العارض المتكشفا[4]

إذن ما لقينا جند آل محمد ... ثمانين ألفا واستمدوا بخندفا[5]

*******

## ذكر غزوة الطائف بعد حنين فى سنة ثمان

ولما قدم فَل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال: ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود، ولا غيدن بن سلمة، كانا بُجرش يتعلمان صنعة الدبابات[6] والمجانيق والضبور.

**ما قيل من الشعر فى غزوة الطائف**: ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين؛ فقال كعب بن مالك، حين أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف:

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف:

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجمعنا السيوفا[7]

نخيرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن: دوسا أو ثقيفا

---

(١) الملتات: اسم رجل. والبكر: الفتى من الإبل. والنحيط: هو الذى يردد النفس فى صدره حتى يسمع له صوتاً، وذلك إذا ذبح.

(٢) السواد: أراد به أشخاصاً ظهروا من بعيد. والأخصف: الذى فيه ألوان.

(٣) ملمومة: كتيبة مجتمعة. وشهباء: يريد أن لونها الشهبة من كثرة السلاح. والشماريخ: أعالى الجبال. وعزوى: اسم جبل. والصفصف: المستوى من الأرض.

(٤) العارض: السحاب. (٥) الخندق: اسم قبيلة، سميت بأمها.

(٦) الدبابات: آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ثم يدخل فيها الرجال.

(٧) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز. والريب: الشك. وأجمعنا: أرحنا..

فلست لحاضن إن لم تروها ... بساحة داركم منا ألوفا[١]
وتنتزع العروش ببطن وج ... وتصبح دوركم منكم خلوفا[٢]
ويأتيكم لنا سرعان خيل ... يغادر خلفه جمعا كثيفا[٣]
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم ... لها مما أناخ بها رجيفا[٤]
بأيديهم قواضب مرهفات ... يزرن المصطلين بها الحتوفا[٥]
كأمثال العقائق أخلصتها ... قيون الهند لم تضرب كتيفا[٦]
تخال جدِّية الأبطال فيهم ... غداة الزحف جاديا مدوفا[٧]
أجدهم أليس لهم نصيح ... من الأقوام كان بنا عريفا[٨]
يخبرهم بأنا قد جمعنا ... عتاق الخيل والنجب الطروفا[٩]
وأنا قد أتيناهم بزحف ... يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم النبى وكان صلبا ... نقى القلب مصطبراً عزوفا[١٠]
رشيد الأمر ذو حكم وعلم ... وحلم لم يكن نزقا خفيفاً[١١]
نطيع نبينا ونطيع ربا ... هو الرحمن كان بنا رءوفا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل ... ونجعلكم لنا عضداً وريفا[١٢]
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر ... ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا[١٣]
نجالد ما بقينا أو تنيبوا ... إلى الإسلام إذعانا مضيفا[١٤]
نجاهد لا نبالى من لقينا ... أأهلكنا التلاد أم الطريفا[١٥]

---

(١) الحاضن: المرأة التى تحضن ولدها. وساحة الدار: وسطها أو فنائها.
(٢) العروش ههنا: سقف البيوت. ووج: موضع. والخلوف: الغائبون هنا.
(٣) السرعان: المتقدمون السابقون. وكثيفاً: أراد كثيراً.
(٤) الرجيف: هو الصوت الشديد مع زلزال، وهو من الرجفة.
(٥) القواضب: السيوف. والمرهفات: المحددة أو القاطعة. والمصطلون بها: المباشرون لها، يريد أعداءهم الذين يضربونهم بها.
(٦) العقائق: جمع عقيقة، وهى هنا شعاع البرق. والكتيف: جمع كتيفة وهى صفائح الحديد التى تضرب للأبواب وغيرها.
(٧) الجدية: الدماء السائلة. وغداة الزحف: أى دنو بعض الناس من بعض، وأراد يوم القتال والحرب. والجادى: هو الزعفران. والمدوف: المختلط.
(٨) العريف: العارف.
(٩) النجب: جمع نجيب، وهو الكريم. والطروف: جمع طرف وهو الكريم من الخيل أيضاً.
(١٠) العزوف عن الشيء: الصابر عليه المنصرف عنه، وأراد أنه عزوف عن كل ما يشين الرجال.
(١١) النزق: الكثير الطيش.
(١٢) الريف: فى الأصل الأرض المخصبة المنزرعة خارج المدن، والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدين عيشهم من ريفهم.
(١٣) الرعش: المتقلب غير الثابت.
(١٤) الإذعان: الانقياد فى ذل. والمضيف: الذى يشفق منه ويخاف.
(١٥) التلاد: المال الموروث. والطريف: المال المستحدث.

وكم من معشر ألبوا علينا | صميم الجذم منهم والحليفا[1]
أتونا لا يرون لهم كفاء | فجدعنا المسامع والأنوفا[2]
بكل مهند لين صقيل | يسوقهم بها سوقا عنيفا[3]
لأمر الله والإسلام حتى | يقوم الدين معتدلا حنيفا
وتُنسى اللات والعزى وود | ونسلبها القلائد والشنوفا[4]
فأمسوا قد أقروا واطمأنوا | ومن لا يمتنع يقبل خسوفا[5]

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فقال:

من كان يبغينا يريد قتالنا | فإنا بدار معلم لا نريمها[6]
وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى | وكانت لنا أطواؤها وكرومها[7]
وقد جربتنا قبل عمر بن عامر | فأخبرها ذو رأيها وحليمها
وقد علمت إن قالت الحق أننا | إذا ما أبت صُعر الخدود نقيمها[8]
نقومها حتى يلين شريسها | ويعرف للحق المبين ظلومها[9]
علينا دلاص من تراث محرق | كلون السماء زينتها نجومها[10]
نرفهها عنا بيبض صوارم | إذا جرت فى غمرة لا نَشِيمُها[11]

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف:

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها | وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
إن التى حُرّقت بالسُّد فاشتعلت | ولم يقاتل لدى أحجارها هدر[12]
إن الرسول متى ينزل بلادكم | يظعن وليس بها من أهلها بشر

(١) ألبوا علينا: جمعوا علينا الناس. والجذم: الأصل.
(٢) جدعنا: قطعنا، وأكثر استعمال هذا اللفظ فى قطع الأنف خاصة.
(٣) العنيف: الذى ليس فيه رفق.
(٤) الشنوف: جمع شنف، وهو القرط الذى يلبس فى الأذن.
(٥) الخسوف: الذل والمهانة.
(٦) دار معلم: مشهورة معروفة. ولا نريمها: لا نبرحها ولا نزول عنها.
(٧) أطواء: جمع طى وهى البئر.
(٨) صعر الخدود: هى المائلة الى جهة من الكبر والعجب.
(٩) الشريس: الشديد الصعب الانقياد.
(١٠) دلاص: هى الدروع اللينة. ومحرق: هو عمرو بن عامر، وهو أول من حرق بالنار من العرب.
(١١) لا نشيمها: أراد ههنا لا نغمدها فى قربها.
(١٢) الهدر: الباطل الذى لا يؤخذ بثأره.

**الطريق إلى الطائف**: قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ على نخلة اليمانية، ثم على قرن، ثم على المليح، ثم على بحرة الرغاء من لية، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عمرو بن شعيب: أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء، حين نزلها، بدم وهو أول دم أقيد به فى الإسلام، رجل، من بنى ليث قتل رجلا من هذيل، فقتله به؛ وأمر رسول الله ﷺ، وهو بلية، بحصن مالك بن عوف فهدم، ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها، فقال: ما اسم هذه الطريق؟ فقيل له الضيقة، فقال: بل هى اليسرى، ثم خرج منها على نخب، حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة، قريبا من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: إما أن تخرج، وإما أن نخرب عليك حائطك؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه.

**القتل**: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من الطائف، فضرب به عسكره، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف، فكانت النبل تنالهم، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم؛ فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة.

قال ابن هاشم: ويقال سبع عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة بنت أبى أمية،[1] فضرب لهما قبتين، ثم صلى بين القبتين. ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجدا، وكانت فى ذلك المسجد سارية، فيما يزعمون، لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض،[2] فحاصرهم رسول الله ﷺ، وقاتلهم قتالا شديداً، وتراموا بالنبل.

قال ابن هشام: ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق. حدثنى من أثق به أن رسول الله ﷺ أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق، رمى أهل الطائف.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه،

---

(١) قال الواقدى: الأخرى زينب بنت جحش «تاريخ الطبرى»(٣/ ٨٣). (٢) النقيض: الصوت.

فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتلوا منهم رجالا، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون.

**أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف:** وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف، فناديا ثقيفا: أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوها، فدعوا نساء من نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما، وهم يحابان عليهن السباء، فأبين، منهن آمنة بنت أبى سفيان، كانت عند عروة ابن مسعود، له منها داود بن عروة.[1]

قال ابن هشام: ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان: وكانت عند أبى مرة بن عروة بن مسعود، فولدت له داود بن مرة.

قال ابن إسحاق، والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة، لها عبد الرحمن بن قارب، والفقيمية أميمة بنت الناسىء أمية بن قلع؛ فلما أبين عليهما، قال لهما ابن الأسود بن مسعود: يا أبا سفيان ويا مغيرة: ألا أدلكما على خير مما جئتما له، إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف، نازلا بواد يقال له العقيق، ليس بالطائف مال أبعد رشاء، ولا أشد مؤنة، ولا أبعد عمارة من مال بنى الأسود، وإن محمدا إن قطعه لم يعمر أبدا، فكلماه فليأخذ لنفسه، أو ليدعه لله والرحم، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يجهل؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم.

**أبو بكر يفسر رؤيا للرسول ﷺ:** وقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا: يا أبا بكر، إنى رأيت أنى أهديت لى قعبة[2] مملوءة زبداً، فنقرها ديك، فهراق ما فيها. فقال أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد. فقال رسول الله ﷺ: وأنا لا أرى ذلك.

**ارتحال المسلمين عن الطائف:** ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية، وهى امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله، أعطنى إن فتح الله عليك الطائف حلى بادية بنت غيلان بن مظعون بن سلمة، أو حلى الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف.

---

(١) إسناده معضل ورواه اطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٨٣ ـ ٨٤) من طريق ابن إسحاق.

(٢) القعبة: القدح.

فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال لها: وإن كان لم يـؤذن لى فى ثقيف يا خويلة؟ فخرجت خويلة، فذكرت ذلك لعمـر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: ماحديث حدثتنيه خويلة زعمت أنك قلته؟ قال: قد قلنه؛ قال أو ما أذن لك فيهم يا رسول الله؟ قال: لا، قال: أفلا أؤذن بالرحيل؟ قال: بلى. قال فأذن عمر بالرحيل.

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسد بن أبى عمرو بن علاج: ألا إن الحى مقيم. قال: يقول عينية بن حصن: أجل، والله مجدة كراما؛ فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة، أتمدح المشركين بالأمتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ! فقال: إنى والله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أتطئها، لعلها تلد لى رجلا، فإن ثقيفا قوم مناكير[1].

**عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين:** قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم، عن عبد الله ابن مكدم، عن رجال من ثقيف: قالوا: لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد، فقال رسول الله ﷺ: لا، أولئك عتقاء الله؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة.[2]

قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد.

**شعر الضحاك بن سفيان وسببه:** قال ابن إسحاق: وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمروان بن قيس الدوسى، وكان قد أسلم، وظاهر رسول الله ﷺ على ثقيف، فزعمت ثقيف، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس: أن رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس: خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه، فلقى أبى بن مالك القشيرى فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله، فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى، فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان، وأطلق لهم أبى بن مالك، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه وبين أبى بن مالك.

أتنسى بلائى يا أُبىّ بن مالك ... غداة الرسول معرض عنك أشوس[3]
يقودك مروان بن قيس بحبله ... ذليلا كما قيد الذلول المخيس[4]

---

(١) إسناده ضعيف للجهالة. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٨٤-٨٥) من طريق ابن إسحاق. والمناكير: جمع منكر: داه فطن ذكى.

(٢) إسناده ضعيف للجهالة.

(٣) البلاء: النعمة. والأشوس: الذى يعرض بنظره إلى جهة أخرى.

(٤) الذلول: الذى تروضه حتى يذل وينقاد. والمخيس: المذلل.

فعـادت عليـك من ثقـيف عصـابة متى يأتـهم مستقبس الشـر يُقبسوا[١]
فكانـوا هم المولى فـعادت حلومـهم عليك وقد كادت بك النفس تيأس[٢]

قال ابن هشام: «يقبسوا» عن غير ابن إسحاق.

الشهداء يوم الطائـف: قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشـهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف.

من قريش، ثم من بنى أمية بن عبد شمس: سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية. وعرفطة ابن جناب، حليف لهم، من الأسد بن الغوث.

قال ابن هشام: ويقال: ابن حُباب.

قال ابن إسـحاق: ومن بنى تـيم بن مرة: عبد الله بـن أبى بكر الصـديق، رمى بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومن بنى مخزوم: عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، من رمية رُميها يومئذ.

ومن بنى عدى بن كعب: عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بنى سهم بن عمرو: السائب بن الحارث بن قيس بن عدى، وأخوه عبد الله ابن الحارث.

ومن بنى سعد بن ليث: جليحة بن عبد الله.

واستشهد من الأنصار: من بنى سلمة: ثابت بن الجذع.

ومن بنى مازن بن النجار: الحارث بن سهل بن أبى صعصعة.

ومن بنى ساعدة: المنذر بن عبد الله.

ومن الأوس: رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية.

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا، سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بنى ليث.

**قصيـدة بجير بن زهـير فى حنين والـطائف:** فلـما انصرف رسـول الله ﷺ عن الطائف بعد القتال والحصار، قال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حنينا والطائف:

---

(١) مسقبس الشر: الذى يطلبه، وأصل المستقبس الذى يطلب قبسًا من النار. ويقبسوا معناه يعطوه ما يطلبه
(٢) الحلوم: العقول.

كانت علالة يوم بطن حنين — وغداة أو طاس ويوم الأبرق[1]
جمعتْ بإغواء هوازن جمعها — فتبددوا كالطائر المتمزق[2]
لم يمنعوا منا مقاما واحداً — إلا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا — فتحصنوا منا بباب مغلق
ترتد حسرانا إلى رجراجة — شهباء تلمع بالمنايا فيلق[3]
ملمومة خضراء لو قذفوا بها — حضنا لظل كأنه لم يخلق[4]
مشى الضراء على الهراس كأننا — قُدر تَفرق فى القياد وتلتقى[5]
فى كل سابغة إذا ما استحصنت — كالنهى هبت ريحه المترقرق[6]
جُدل تمس فضولهن نعالنا — من نسج داود وآل محرق[7]

## أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دَحْنَا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبى كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم أهد ثقيفا وأت بهم**».[8]

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يدرى ما عدته.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا

---

(١) العلالة: التكرار، وأصله الشرب بعد الشرب. والأبرق: اسم موضع
(٢) الاغواء: مصدر أغوى إذا حرض على الغى وهو ضد الرشد.
(٣)حسراناً: جمع حسير وهو الكليل. ورجراجة شهباء: الكتيبة التى يموج بعضها فى بعض. والفيلق: الجيش الكبير.
(٤) ملمومة: مجتمعة. وخضراء: أى تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد. وحضن: اسم جبل.
(٥) الضراء: الكلاب. والهراس: نبات له شوك. والكلاب إذا مشت فى الهراس ابتغت لأيديها موضعا ثم تضع أرجلها موضع أيديها، شبه الخيل بها. والقدر: الوعول المسنة.
(٦) السابغة: الدرع الكاملة. والنهى: الغدير من الماء. والمترقرق: المتحرك.
(٧) الجدل: المنسوجة نسجاً محكماً. وآل محرق: آل عمرو بن عامر.
(٨) روى الترمذى(٣٩٤٢) كتاب المناقب، باب: مناقب فى ثقيف وبنى حنيفة. عن جابر رضى الله عنه قال: قالوا يارسول الله أحْرَقَتْنَا نبال ثقيف فادع الله عليهم. قال: «**اللهم اهد ثقيفًا**» وقال الترمذى: حسن صحيح غريب. اهـ. قلت: فى إسناده «أبو الزبير المكى» وهو مدلس وقد عنعن. ولذا ضعفه الألبانى فى «سنن الترمذى» (٨٣٠) و «المشكاة» (٥٩٨٦).

أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا، من الله عليك.

قال: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بنى سعد بن بكر، يقال له زهير، يكنى أبا صرد، فقال: يا رسول الله، إنما فى الحظائر[1] عماتك وخالاتك وحواضنك[2] اللاتى كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا[3] للحارث بن أبى شمر، أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به، رجونا عطفه وعائدته[4] علينا، وأنت خير المكفولين.

قال ابن هشام: ويروى ولو أنا ما لحنا الحارث بن أبى شمر، أو النعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم؛ فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: وأما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم. فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال: يقول عباس بن مرداس لبنى سليم: وهنتمونى[5].

فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله لكل إنسان ست فرائض، من أول سبى أصيبه. فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم[6].

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى: أن رسول الله ﷺ أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه جارية، يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان ابن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عثمان بن

---

(١) الحظائر: جمع حظيرة، وأصلها ما يصنع للإبل والغنم ليكفها ويمنعها من الانفلات.

(٢) حواضنك: يقصد حليمة السعدية فهى من بنى سعد بن بكر وهم من هوازن.

(٣) ملحنا: أرضعنا. (٤) عائدته: فضله.

(٥) وهنتمونى: أضعفتمونى بمخالفتكم إياى.

(٦) إسناده حسن. ورواه أحمد(٢/ ١٨٤)، والبيهقى فى«السنن»(٦/ ٣٣٦ - ٣٣٧)، والطبرى فى«التاريخ»(٣/ ٨٦-٨٧) من طريق ابن إسحاق. وقال الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ١٨٨) رواه أحمد ورجال أحد إسناديه ثقات. اهـ.

عفان جارية، يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان، وأعطى عمر بن الخطاب جارية، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه.[١]

قال ابن إسحاق: فحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح، ليصلحوا لي منها، ويهيئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها. قال: فخرجت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدون؛ فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا؛ فقلت: تلكم صاحبتكم في بني جمح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها.

قال ابن إسحاق: وأما عيينة بن حصن، فأخذ عجوزا من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزا إني لأحسب لها في الحي نسبا، وعسى أن يعظم فداؤها فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض، أبى أن يردها، فقال له زهير أبو صرد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد[٢]، ولا درها بما كد[٣]. فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال؛ فزعموا أن عيينة لقى الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة،[٤] ولا نصفا وثيرة[٥].

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال رسول الله ﷺ: أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل، فأتى مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر براحلته فهيئت له، وأمر بفرس له، فأتى به إلى الطائف، فخرج ليلا، فجلس على فرسه، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس، فركبها، فلحق برسول الله ﷺ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة، فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه[٦]؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد[٧]

(١) إسناده مرسل. ورواه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٧-٨٨) من طريق ابن إسحاق.
(٢) ولا زوجها بواجد: يريد أن زوجها لا يحزن عليها لأنها عجوز كبيرة.
(٣) ولا درها بماكد: الدر اللبن والماكد ههنا: الغزير.
(٤) الغريرة: المتوسطة في السن من النساء.
(٥) الوثيرة: السمينة اللينة الرطبة.
(٦) إسناده صحيح. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٨٩): رواه الطبراني ورجاله ثقات. اهـ.
(٧) اجتدى: طلبت منه الجدوى وهي العطية.

وإذا الكتيبة عردت أنيابها ... بالسمهرى وضرب كل مهند[١]
فكانه ليث على أشباله ... وسط الهباءة خادر فى مرصد[٢]

فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه؛ وتلك القبائل: ثمالة، وسلمة، وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفا، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى.

هابت الأعداء جانبنا ... ثم تغزونا بنو سلمه
وأتانا مالك بهم ... ناقضاً للعهد والحرمه
وأتونا فى منازلنا ... ولقد كنا أولى نقمه

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حنين إلى أهلها، ركب، واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم، حتى ألجئوه إلى شجرة، فاختطفت عنه رداءه؛ فقال: أدوا على ردائى أيها الناس، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذابا، ثم قام إلى جنب بعير، فأخذ وبرة من سنامه[٣]، فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها، ثم قال: أيها الناس، والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط[٤] والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً[٥] يوم القيامة. قال: فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر: فقال أما نصيبى منها فلك قال: أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها، ثم طرحها من يده.[٦]

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة، وسيفه متلطخ دما. فقالت: إنى قد عرفت أنك قد قاتلت، فماذا أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع منادى رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شيئاً فليرده، حتى الخياط والمخيط. فرجع عقيل، فقال: ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت، فأخذها، فألقاها فى الغنائم.

---

(١) عردت: عرجت ومالت. والسمهرى: الرمح. والمهند: السيف
(٢) الأشبال: جمع شبل، وهو ولد الأسد. والهباءة: الغبرة. والخادر: الداخل فى خدره، والخدر: غابة الأسد، والمرصد: الموضع الذى يرصد منه ويرقب.
(٣) السنام: أعلى ظهر البعير. (٤) الخيام: هو الخيط، والمخيط: الإبرة. (٥) الشنار: أقبح العار.
(٦) هذا جزء من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وقد سبق تخريجه.

قال ابـن إسحاق: وأعطـى رسول الله ﷺ المؤلفـة قلوبهـم، وكانوا أشرافـاً من أشراف الناس، يتألفهـم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيـان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه مـعاوية مائة بعير، وأعطى بـن حزام مائة بعير، وأعطى حـكيم بن حزام مائة بعير وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة، أخا بنى عبد الدار مائة بعير.

قال ابن هشام: نصير بن الحارث بن كلدة، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأعطـى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سـهيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حويطب بن عبد العزى بى أبى قيس مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفى، حليف بنى زهرة مائة بعير، وأعطى عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بـعير، وأعطى الأقرع بـن حابس التمـيمى مائة بـعير. وأعطى مالـك بن عوف النصرى مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالا من قريش، منهم مـخرمة بن نوفل الزهرى، وعمير بن وهب الجمحى، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤى، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنـها دون المائة، وأعـطى سعيـد بن يربوع بـن عنكشـة بن عامر بـن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السهمى خمسين من الإبل.

قال ابن هشام: واسمه عدى بن قيس.

قال ابن إسحاق: وأعطى عـباس بن مرداس أباعر فسخطها، فعـاتب فيها رسول الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ:

كـانت نـهـابا تـلافـيـتهـا ... بكرى على المهر فى الأجرع[1]
وإيقـاظى القوم أن يـرقدوا ... إذا هجـع الناس لم أهـجع[2]
فأصبح نهبى ونـهب العبيـ ... ـد بين عـيينة والأقـــــرع[3]
وقد كنت فى الحرب ذا تدرإ ... فلـم أعط شيـئا ولم أمـنع[4]
إلا أفائل أعطيتهـــــــا ... عديـــــد قوائمها الأربع[5]
وما كان حصـن ولا حابس ... يفوقـان شيخى فـى المجمع[6]
وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تـضع الـيوم لا يـرفع[7]

(١) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغم. والأجزع: المكان السهل.
(٢) هجع: نام (٣) العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس.
(٤) ذا تدرأ: يريد ذا دفع وصد لغارات الأعداء. (٥) أفائل: جمع أفيل، وهو الصغير من الإبل.
(٦) حصن: هو أبو عيينة. وحابس: هو أبو الأقرع، وأراد بشيخه أباه .
(٧) رواه مسلم بنحوه(٢٤٠٤) كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام.

قال ابن هشام: أنشدني يونس النحوى:

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى المجمع

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: اذهبوا به، فاقطعوا عنى لسانه، فأعطوه حتى رضى، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم: أن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أنت القائل:

«فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة»؟

فقال أبو بكر الصديق: بين عيينة والأقرع؛ فقال رسول الله ﷺ: هما واحد؛ فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾**[(1)،(2)].

قال ابن هشام: وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له، عن ابن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم، فأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين.

من بنى أمية بن عبد شمس: أبو سفيان بن حرب بن أمية، وطليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية.

ومن بنى عبد الدار بن قصى: شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبدالعزى بن عثمان بن عبد الدار، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عمُيلة بن السباق بن عبد الدار، وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار.

ومن بنى مخزوم بن يقظة: زهير بن أبى أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والسائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم.

ومن بنى عدى بن كعب: مطيع بن الأسود بن حارثة بن فضلة، وأبوجهم بن حذيفة بن غانم.

ومن بنى جمح بن عمرو: صفوان بن أمية بن خلف، وأحيحة بن أميج ابن خلف، وعمير بن وهب بن خلف.

ومن بن سهم: عدى بن قيس بن حذافة.

---

(1) يس: ٦٩.

(2) إسناده مرسل فقد ذكره ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٤/ ٣٦٠) عن الزهرى.

ومن بنى عامر بن لؤى: حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود وهشام ابن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب.

ومن أفناء القبائل: من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفل بن معاوية ابن عروة ابن صخر بن رزن بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الديل.

ومن بنى قيس، ثم من بنى عامر بن صعصعة، ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بنى عامر بن ربيعة. خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هوذة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بنى نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع.

ومن بنى سُليم بن منصور: عباس بن مرداس بن أبى عامر: أخو بنى الحارث بن بُهثة بن سليم.

ومن بنى غطفان، ثم من بنى فزارة: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر.

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة: الأقرع بن حابس بن عقال، من بنى مجاشع ابن دارم.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى: أن قائلا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يارسول الله، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة، وتركت جعيل بن سراقة الضمرى؟! فقال رسول الله ﷺ: **«أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع[1] الأرض، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، ولكنى تألفتهما، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه»**[2].

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبى القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كَلاب الليثى، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلقا نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمى يوم حنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بنى تميم، يقال له ذو الخويصرة، فوقف عليه وهو يعطى الناس، فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم: فقال رسول الله ﷺ: **«أجل، فكيف رأيت»**؟ فقال: لم أرك عدلت: قال فغضب النبى ﷺ، ثم قال: **«ويحك! إذا**

(١) طلاع الأرض: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل.

(٢) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٩١) وابن الأثير فى«أسد الغابة»(١/ ٣٨٧)من طريق ابن إسحاق.

**لم يكن العدل عندى، فعند من يكون!؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا أقتله؟ فقال: «لا، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية يُنظر فى النصل[1]،فلا يوجد شيء،ثم فى القدح[2]، فلا يوجد شيء،ثم فى الفوق[3]، فلا يوجد شيء، سبق الفرث[4]، والدم»[5].**

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن على بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عبيدة، وسماه ذا الخويصرة.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن أبيه بمثل ذلك.

قال ابن هشام: ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى فى قريش وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئا، قال حسان بن ثابت يعاتبه فى ذلك:

| | |
|---|---|
| زادت هموم فماء العين منحدر | سحا إذا حفلته عَبرة دَرر[6] |
| وجداً بشماء إذ شماء بهكنة | هيفاء لادنس فيها ولا خور[7] |
| دمع عنك شماء إذ كانت مودتها | نزراً وشر وصال الواصل النزر[8] |
| وأت الرسول فقل يا خير مؤتمن | للمؤمنين إذا ما عدد البشر |
| علام تدعى سُليم وهى نازحة | قدام قوم هم آووا وهم نصروا[9] |
| سماهم الله أنصاراً بنصرهم | دين الهدى وعوان الحرب تستعر[10] |
| وسارعوا فى سبيل الله واعترفوا | للنائبات وما خاموا وما ضجروا[11] |
| والناس ألب علينا فيك ليس لنا | إلا السيوف وأطراف القنا وزر[12] |
| نجالد الناس لا نبقى على أحد | ولا نضيع ما توحى به السور |
| ولا تهر جناة الحرب نادينا | ونحن حين تلظى نارها سعر[13] |
| كما رددنا ببدر دون ماطلبوا | أهل النفاق وفينا ينزل الظفر |

(١) النصل: حديد السهم. (٢) القدح: السهم.
(٣) الفوق: طرف السهم. (٤) الفرث: ما يوجد فى الكرش.
(٥) إسناده ضعيف. والحديث صحيح فقد روى نحوه البخارى عن أبى سعيد الخدرى (٦/ ٦١٧ـ ٦١٨) كتاب المناقب، باب: علامات النبوة، ومسلم (٢٤١٧) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.
(٦) السح: الصب. وحفلته: جمعته. والعبرة: الدمعة. ودرر: أى سائلة.
(٧) الوجد: الحزن. وشماء: اسم امرأة. وبهكنة: كثيرة اللحم. وهيفاء: ضامرة البطن. والخور: الضعف.
(٨) نزراً: قليلاً. (٩) نازحة: بعيدة. وقدام: أمام، وأراد بالقوم الذين آووا قومه الأنصار.
(١٠) عوان الحرب: التى قوتل فيها المرة بعد المرة. وتستعر: تلتهب وتشتعل.
(١١) اعترفوا: أراد صبروا. وما خاموا: أى ما جبنوا. وما ضجروا: يريد ما أصابهم ضجر ولا قلق.
(١٢) ألب: متألبون مجتمعون علينا. والوزر: الملجأ.
(١٣) لا تهر: لا تكره. والنادى: المجلس. وسعر: جمع سعير وهو توقد الحرب واشتعالها.

ونحن جـندك يوم النعـف من أحد إذ حزبـت بطـراً أحزابـها مـضر[١]
فمـا ونيـنا وما خـمنـا وما خـبروا منـا عثارا وكل الـناس قد عـثروا[٢]

قال ابـن هشام: حـدثنى زيـاد بن عبد الله، قـال: حدثنـا ابن إسحـاق: قال: وحدثنى عـاصم بن عمر بن قـتادة، عن محمود بـن لبيد، عن أبى سـعيد الخدرى، قال: لما أعـطى رسول الله ﷺ ما أعـطى من تلك الـعطايا، فـى قريش وفى قـبائل العرب، ولم يكن فـى الأنصار منها شىء، وجد هذا الحى من الأنصـار فى أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة[٣]حتى قال قائلهم: لقد لقى والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله: إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم. لما صـنعت فى هذا الفىء. الذى أصبت، قسمـت فى قومك، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب. ولـم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شىء. قال: فأين أنت من ذلك يـا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومـى. قال: فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة[٤]. قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة. فجاء رجال من المهاجـرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم. فلـما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنـى عليه بمـا هو أهله، ثـم قال: **«يا معـشر الأنصار: مـا قالة بلـغتنى عـنكم، وجدة[٥] وجدتموها على فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة[٦] فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!»** قالوا: بلى، الله ورسولـه أمن وأفضل، ثم قال: **«ألا تجيبـوننى يا معشـر الأنصار؟»** قالـوا: بماذا نجيبـك يا رسول الله؟ لله ولرسـوله أَمَنٌ[٧] وأفـضل. قـال ﷺ: **«أما والله لو شـئتم لقلتـم، فلصدقتـم ولصدقتم: أتيـتنا مكذّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرنـاك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك[٨]. أوجدتم يا مـعشر الأنصـار فى أنفسـكم، فى لعـاعة[٩] من الدنـيا تألفـت بها قومـا ليسلـموا، ووكلـتكم إلـى إسلامكـم، ألا ترضون يـا معـشر الأنصـار، أن يذهب الـناس بالـشاة والبعير، وتـرجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فـوالذى نفس محمد بيـده، لولا الهجرة**

(١) النعف: أسفل الجبل. وحزبت: جمعت وأعان بعضها بعضاً.
(٢) ونينا: فترنا وضعفنا. (٣) القالة: الكلام الردئ.
(٤) الحظيرة: هى فى الأصل مكان يتخذ للإبل والغنم يمنعها الانفلات ويمنعها هجمات اللصوص والوحوش.
(٥) الجدة: أراد بها الموجدة، وهى العقاب وأكثر ما تستعمل الجدة فى المال.
(٦) العالة: الفقراء (٧) أمن: هو أفعل تفضيل من المنة وهى النعمة.
(٨) آسيناك: أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.
(٩) اللعاعة: بقلة حمراء ناعمة، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

**لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا[1] وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»** .

قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم[2]، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا.[3]

## عمرة الرسول من الجعرانة

## واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة، وحج عتاب بالمسلمين سنه ثمانى

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمرا، وأمر ببقايا الفىء فحبس بمجنة[4]، بناحية مر الظهران، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل، يفقه الناس فى الدين، ويعلمهم القرآن، واتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفىء.[5]

قال ابن هشام: وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل النبى ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما، فقام فخطب الناس، فقال: أيها الناس، أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقنى رسول الله درهما كل يوم، فليست بى حاجة إلى أحد.

قال ابن إسحاق: وكانت عمرة رسول الله ﷺ فى ذى القعدة، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى بقية ذى القعدة أو ذى الحجة.

قال ابن هشام: وقدم رسول الله ﷺ المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمر المدنى.

قال ابن إسحاق: وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد، وهى سنة ثمان، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع.

## أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبى سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة، ممن كان

---

(١) الشعب: الطريق بين الجبلين. (٢) أخضلوا لحاهم: بلوها بالدموع.

(٣) إسناده صحيح. ورواه أحمد(٣/ ٧٦-٧٧) والطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٩٣-٩٤) من طريق ابن إسحاق.

(٤) مجنة: بالفتح وتشديد النون: بمّر الظهران أسفل مكة.

(٥) رواه الحاكم(٣/ ٢٧٠) عن عروة بن الزبير مرسلاً وفى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

يهجوه ويؤذيه، وأن من بقى من شعراء قريش، ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب، قد هربوا فى كل وجه، فإن كانت لك فى نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض؛ وكان كعب بن زهير قد قال:

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا؟
فبين لنا إن كنت لست بفاعل ... على أى شىء غير ذلك دلكا
على خلق لم ألف يوما أبا له ... عليه وما تلفى عليه أبا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت: لعا لكا[1]
سقاك بها المأمون كأسا روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا[2]

قال ابن هشام: ويروى «المأمور» وقوله: «فبين لنا»: عن غير ابن إسحاق.

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه:

من مبلغ عن بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
شربت مع المأمون كأسا روية ... فنهلك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته ... على أن شىء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت: لعا لكا

قال: وبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع «سقاك بها المأمون»: **صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون**. ولما سمع: «على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه» قال: **أجل، لم يلف عليه أباه ولا أمه.**

ثم قال بجير لكعب:

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلا وهى أحزم
إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه ... ودين أبى سُلمى علىّ محرم

---

(١) بآسف: أراد لست بنادم. ولعاً لك: هذه كلمة تقال للعاثر، يدعى له بها ومعناها قم وانتعش.
(٢) أنهلك: سقاك النهل، وهو الشرب الأول. وعلك: سقاك العلك. والعلك: الشرب الثانى.

قال ابن إسحاق: وإنما يقول كعب؛ «المأمون»، ويقال: «المأمور» في قول ابن هشام لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله ﷺ.

**كعب بن زهير وقصيدته:** قال ابن إسحاق: فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بدا، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جهينة، كما ذكر لى، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فأستامنه فُذكر لى أنه قام إلى رسول الله ﷺ، حتى جلس إليه، فوضع يده فى يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: نعم؛ قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال يا رسول الله، دعنى وعدو الله أضرب عنقه؛ فقال رسول الله ﷺ: دعه عنك فإنه قد جاء تائبا، نازعا عما كان عليه. قال فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار، لما صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله ﷺ:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... مُتيم إثرها لم يفد مكبول[1]

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغنٌ غضيض الطرف مكحول[2]

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يُشتكى قصر منها ولا طول[3]

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منُهَل بالراح معلول[4]

---

(١) البين: الفراق. وبانت: ذهبت وفارقت. وسعاد: اسم امرأة.. ومتبول: أسقمه الحب وأضناه. ومتيم: معبد مذلل. ولم يفد: لم يخلص من الأسر. ومكبول: لا يجد فكاكاً من القيد..

(٢) غداة البين: صبيحة الفراق. والأغن: الصبى الصغير الذى فى صوته غنة، والغنة الصوت الذى يخرج من الخياشيم، وغضيض الطرف: فاتره. ومكحول: أسود الجفون.

(٣) الهيفاء: ضامرة البطن والخصر. والعجزاء: ضخمة العجيزة.

(٤) تجلو: تصقل. والعوارض: الأسنان وذى ظلم: هو الفم، والظلم: ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضاً الثلج شبهت به الأسنان. ومنهل: اسم مفعول من أنهله إذا سقاه نهلاً. والراح: اسم من أسماء الخمر. ومعلول: اسم مفعول من عله إذا سقاه عللاً.

شجت بذى شم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول(١)

تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غادية بيض يعاليل(٢)

فيالها خُلّه لو أنها صدقت ... بوعدها أو لو أن النصح مقبول(٣)

لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديل(٤)

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلوَّن فى أثوابها الغول(٥)

وما تمسك بالعهد الذى زعمت ... إلا كما يمسك الماءَ الغرابيلُ(٦)

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأمانىَّ والأحلام تضليل(٧)

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها إلا الأباطيل(٨)

أرجو وآملُ أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل(٩)

أمست سعاد بأرض لايُبلغها ... إلا العتاق النجيبات المراسيل(١٠)

ولن يُبَلغها إلا عذافرة ... لها على الأين إرقال وتبغيل(١١)

من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت ... عرُضتُها طامس الأعلام مجهول(١٢)

ترمى الغيوب بعينى مفرد لهق ... إذا توقدت الحزان والميل(١٣)

---

(١) شجت: مزجت. وأراد بذى شم الماء البارد. ومحنية: منعطف الوادى ماؤه أصفى وأبرد وألذ. والأبطح: مسيل واسع فيه حصى دقيق. وأضحى: أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد الحر. ومشمول: ضربته ريح الشمال حتى برد.

(٢) تنفى: تبعد. والقذى: كل غريب يقع فى الماء من تبن ونحوه. وأفرطه: سبق إليه وملأه. والصّوب: المطر. والغادية: السحابة التى تمطر بالغدو. واليعاليل: الحباب الذى يعلو وجه الماء وهو رغوة الماء.

(٣) الخلة: ههنا الصديقة والخليلة.

(٤) سيط: خلط. وفجع: إصابة. وولع: كذب فى إخفاء المحبة. وإخلاف: خلف الوعد أى أن هذه الصفات قد خلطت بدمها.

(٥) الغول: ساحرة الجن تظهر فى الفلاة بألوان شتى، تضلل من يتبعها.

(٦) ما تمسك: أى لا تمسك.

(٧) فلا يغرنك، فلا يخدعنك. ما منت: أى ما منتك به من الوصل. والأمانى: ما يرجوه الإنسان عن وجه الصواب.

(٨) عرقوب: اسم رَجل يضرب به المثل فى خلف الوعد. والأباطيل: جمع باطل.

(٩) تدنو: تظهر. إخال: أظن. تنويل: الوصال والعطاء.

(١٠) العتاق: جمع عتيق الكريم. والنجيبات: جمع نجيبة: الخفيفة السريعة. والمراسيل: جمع مرسال السريعة أيضاً.

(١١) العذافرة: الناقة الضخمة القوية. والأين: الفتور والتعب. وإرقال وتبغيل: ضربان من العدو السريع.

(١٢) نضاخة: كثيرة رشح العرق. والذفرى: نقرة توجد خلف أذن الناقة. وعرضتها: همتها. وطامس: دارس. والأعلام: العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى إليها.

(١٣) الغيوب: آثار الطريق الذى غابت معالمها عن العيون. وبعينى مفرد: أراد بعينين مثل عينى ثور مفرد وهو الذى انفرد فى الصحراء. ولهق: هو الشديد البياض. والحزان: جمع حزين، وهو المكان الغليظ الصلب. والميل: الكثبان الضخمة من الرمال.

ضخم مُقلدها فعم مقيدها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيل [(١)]
غلباء وجناء علكوم مذكرة ... في دفها سعة قدامها ميل [(٢)]
وجلدها من أطوم ما يؤيسه ... طِلْح بضاحية المتنين مهزول [(٣)]
حرف، أخوها أبوها من مهجنة ... وعمها خالها قوداء شمليل [(٤)]
يمشي القراد عليها ثم يزلقه ... منها لبان وأقراب زهاليل [(٥)]
عيرانة قذفت بالنحض عن عُرض ... مِرفقها عن بنات الزور مفتول [(٦)]
كأنما فات عينيها ومذبحها ... مَن خطمها ومن اللحيين برطيل [(٧)]
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل ... في غارز لم تخونه الأحاليل [(٨)]
قنواء في حُرَّتَيْها للبصير بها ... عتق مبين وفي الخدين تسهيل [(٩)]
تخدى على يسرات وهي لاحقة ... ذوابل مسُّهُنَّ الأرض تحليل [(١٠)]

(١) مقلد: موضع القلادة من العنق. . وفعم: ممتلئ. ومقيدها: موضع التقييد منها، وأراد به الرجل. وبنات الفحل: الإناث من الإبل المنسوبة إليها.

(٢) الغلباء: الغليظة الرقبة. والوجناء: عظيمة الوجنتين. والعلكوم: الشديدة. ومذكرة: يريد أنها في عظم خلقها تشبه الذكر. والدف: الجنب، وقد أقام هنا الواحد عن المثنى، فهما جنبان. وقدامها ميل: وصف لها بطول العنق.

(٣) يريد أن جلدها قوي شديد الملامسة لسمنها وضخامتها فالقراد المهزول من الجوع لا يثبت عليها ولا يلزق بها. والأطوم: هي الزرافة أو السلحفاة البرية شبهها بإحداهما في الملامسة. ويؤيسه: يذلله ويؤثر فيه. والطلح: القراد. والضاحية: البارزة الظاهرة. وأراد بالمتنين ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم. ومهزول: صفة لطلح.

(٤) الحرف في الأصل حرف الجبل، وهو القطعة الخارجة منه، شبه الناقة به في الصلابة، أو الحرف هو حرف الخط وشبه به الناقة في الهزال والضمور. وأبوها أخوها وعمها خالها: يريد بهذه العبارة أنها مداخلة النسب في الكرم فلم يدخل في نسبها أجنبي. والهجنة: غلظ الخلق والناقة مهجنة: أي كريمة الأبوين. والقوداء: الطويلة الظهر والعنق. وشمليل: سريعة في خفة.

(٥) هذا البيت في معناه تأكيد لقوله: وجلدها من أطوم. ويزلقة: يسقطه واللبان: الصدر. والأقراب: الخواصر. وزهاليل: صفة لأقرب ولبان معاً. وهو جمع زهلول وهو الأملس الناعم، والمعنى أن هذه الناقة لنعومتها لا يثبت القراد على جسدها.

(٦) عيرانة: يريد أنها تشبه عير الوحش في قوته وسرعته ونشاطه. والنحض: اللحم، وأراد من أنها قذفت به أنها ممتلئة الجسم منه. والعرض: الجانب والناحية. والمرفق: موصل الذراع في العضد. وبنات الزور: ما يتصل به مما حول مرفقها من الأضلاع. ومفتول: مدمج محكم.

(٧) فات: تقدم. ومذبحها: مكان الذبح من الرقبة. والخطم: الأنف وما حوله. واللحيان: العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى. والبرطيل: معول من حديد، وهو أيضاً حجر مستطيل، يصفها بكبر الرأس.

(٨) عسيب النخل: جريده الذي ينبت عليه الخوص. والخصل: جمع خصلة وهي اللفافة من الشعر. وأراد بمثل العسيب ذنبها. والغارز: أراد به ضرعها. وتخونه: تنتقصه. والأحاليل: جمع إحليل، وهو مخرج البول. ومخرج اللبن من الثدي أيضاً، يريد أنها حائل لا تحلب وذلك أقوى لها على السير وأنفى للضعف عنها. .

(٩) القنواء: المحدوبة الأنف. والحرتان: الأذنان. وفي حرتيها للبصير بها عتق: أن من رأى أذنيها عرف عتقها وكرمها.

(١٠) تخدى: تسرع. واليسرات: قوائمها، يريد أنها تحسن السير بها كلها. واللاحقة: الضامرة الخفيفة الحم. وذوابل: جمع ذابل، وهو اليابس، وإذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية وذلك أنشط لها وأقوى على السير. ومستهن الأرض تحليل: إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها، يعني أنها إنما تمس بقوائمها الأرض قليلاً كمن يتحلل من يمين.

سمر العجايات يتركن الحصى زيما ... لم يقهن رءوس الأكم تنعيل(١)

كأن أوب ذراعيها وقد عرقت ... وقد تلفع بالقور العساقيل(٢)

يوما يظل به الحرباء مصطخداً ... كأن ضاحيه بالشمس مملول(٣)

وقال القوم حاديهم - وقد جعلت ... ورق الجنادب يركضن الحصا - قيلوا(٤)

شد النهار ذراعاً عيطل نصف ... قامت فجاوبها نكد مثاكيل(٥)

نواحة رخوة الضبعين ليس لها ... لما نعى بكرها الناعون معقول(٦)

تفرى اللبان بكفيها ومدرعها ... مشقق عن تراقيها رعابيل(٧)

تسعى الغواة جنابيها وقولهم ... إنك يا بن أبى سلمى لمقتول(٨)

وقال كل صديق كنت آمله ... لا ألهينك إنى عنك مشغول(٩)

فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول(١٠)

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول(١١)

---

(١) العجايات: الأعصاب المتصلة بالحافر. وزيم: هو المتفرق، يريد أنها لشدة وطئها الأرض تفرق الحصى. والأكم: الأرض المرتفعة. والتنعيل: هو شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة.

(٢) الأوب: سرعة تقلب ورجوع ذراعيها. وتلفع: التحف. والقور: جمع قارة، وهى الجبل الصغير. والعساقيل: السراب.

(٣) الحرباء: نوع من الدواب الصغيرة يستقبل الشمس ويدور معها حيث دارت ويتلون ألواناً. ومصطخداً: أى مصطلياً بحر الشمس. وضاحيه ما برز منه للشمس. ومملول: محروق.

(٤) الحادى: الذى يسوق الإبل. والورق: جمع أورق، وهو الأخضر إلى سواد. والجنادب: جمع جندب، وهو ذكر الجراد، ويركضن الحصى: يدفعنه. وقيلوا: فعل أمر من قال يقيل إذا استراح وقت القيلولة.

(٥) شد النهار: وسطه. . وعيطل: طويلة. والنصف: متوسطة السن وهى ما بين الشابة والكهلة وهو غاية قوتها. والنكد: جمع نكدى وهى الناقة التى لايعيش لها ولد. والمثاكيل: جمع مثكال وهى الكثيرة الثكل: فقد الأولاد.

(٦) نواحة: كثيرة النوح، صيغة مبالغة من نائحة وهى التى تبكى ولدها. ورخوة: مسترخية. والضبعين: مثنى ضبع وهو العضد. والبكر: أول أولادها. والناعون: جمع ناع وهو الذى يخبر بالموت. والمعقول: العقل.

(٧) تفرى: تقطع. واللبان الصدر والمدرع: قيمصها. ومشقق: أراد به شقوق كثيرة. والتراقى: جمع ترقوة وهى عظام الصدر التى تقع عليها القلادة. ورعابيل: قطع، تقول رعبلت اللحم: إذا قطعته. وهكذا استقصى كعب أوصاف الناقة فى الأبيات السابقة وانتقل بعد ذلك إلى قول المرجفين به.

(٨) الغواة: المفسدون. وجنابيها: حواليها. وابن أبى سلمة: أراد به نفسه. ومقتول: متوعد بالقتل.

(٩) لما سمع مقالة الوشاة التى ذكرها فى البيت السابق التجأ إلى إخوانه الذين كانوا موضع آماله ومحط رجائه فتبرءوا منه يأساً من سلامته وخوفاً من غضب النبى ﷺ. وآمله: إنما أراد آمل خيره أو آمل معونته أو نحو ذلك، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ولا ألهينك: معناه لا أشغلك عما أنت فيه بأن أسهله عليك وأسليك عنه فاعمل لنفسك فإنى لا أغنى عنك شيئاً.

(١٠) لما يئس من نصرة خلانه أمرهم أن يخلوا طريقه ولايحبسوه عن المثول بنفسه بين يدى رسول الله ﷺ فيمضى فيه حكمه، فإن نفسه قد أيقنت أن كل شىء قدره الله تعالى واقع لامحالة. وخلوا: اتركوا. والسبيل: الطريق.

(١١) يقول: إذا كان كل إنسان ولدته أنثى وإن عاش زمانا طويلاً سالماً من النوائب فإنه واقع بين مخالب الموت، فليس هناك ما يبيح الجزع وليس هناك ما يفرح الشامتين. والآلة الحدباء: هى النعش الذى يحمل عليه الموتى.

نُبئت أن رسول الله أوعدنى    والعفو عند رسول الله مأمول(١)
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة ال    قرآن فيها مواعيظ وتفصيل(٢)
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم    أذنب ولو كثرت فى الأقاويل(٣)
لقد أقوم مقاما لو يقوم به    أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل(٤)
لظل يرعد إلا أن يكون له    من الرسول بإذن الله تنويل(٥)
حتى وضعت يمينى ما أنازعه    فى كف ذى نقمات قيله القيل(٦)
فلهو أخوف عندى إذ أكلمه    وقيل إنك منسوب ومسئول(٧)
من ضيغم بضراء الأرض مخدره    فى بطن عثر غيل دونه غيل(٨)
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما    لحم من الناس معفور خراديل(٩)
إذا يساور قرنا لا يحل له    أن يترك القرن إلا وهو مفلول(١٠)
منه تظل سباع الجو نافرة    ولا تمشى بواديه الأراجيل(١١)
ولا يزال بواديه أخـــــو ثقة    مضرج البز والدرسان مأكول(١٢)
إن الرسول لنور يستضاء به    مهند من سيوف الله مسلول(١٣)
فى عصبة من قريش قال قائلهم    ببطن مكة لما أسلموا زولوا(١٤)

---

(١) بدأ هنا يذكر مقصده الذى مهد له بما سبق من الغزل والوصف، وقد شرع من هذا البيت فى التنصل مما اتهم به، والاستعطاف. ونبئت ـ بالبناء للمجهول ـ أخبرت وأوعدنى: تهددنى بالقتل. ومأمول: مرجو، يقول: إنه قد ثبت لى وتوافر عندى أن رسول الله ﷺ يعفو عن المسيء.

(٢) هداك: هداك ربك للصفح عنى والعفو، أو زادك هدى. ونافلة: زيادة.

(٣) لم أذنب: لم أخطيء فى حقك.

(٤) مقام: مجلس النبى ﷺ. يقوم: يحضر. والمعنى أن الشاعر حضر مجلسه ﷺ فشعر بالهيبة ولو حضر هذا المجلس الفيل لا ضطرب من شدة الأمر. .

(٥) يرعد: تأخذه الرعدة بسبب الخوف. وتنويل: عطاء.

(٦) لا أنازعه: أى أطيعه. ونقمات: جمع نقمة وهى السطوة. وقيله القيل: أى قوله النافذ.

(٧) أخوف: أى هو ﷺ أشد إخافة وإرهابًا. ومنسوب ومسئول: أى منسوب إلى أشياء قلتها ومسئول عنها. .

(٨) الضيغم: الأسد. وضراء الأرض: الأرض التى بها شجر. ومخدر: غابة الأسد. وعثر: مكان تكثر فيه السباع. والغيل: الأجمة، وهى الشجر الكثير الملتف.

(٩) يغدو: يخرج أول النهار للصيد. ويلحم: يطعم لحماً. وضرغامين: مثنى ضرغام وهو شبل الأسد. ومعفور: ملقى فى التراب. والخراديل: القطع، تقول خردلت اللحم، إذا قطعته قطعاً صغاراً.

(١٠) يساور: يواثب ويصارع. والقرن: المماثل فى الشجاعة. ومفلول: المكسور المهزوم.

(١١) الجو: اسم موضع. وقال ابن هشام الأنصارى: هو البر الواسع. والأراجيل: الجماعات من الرجال.

(١٢) أخو الثقة: الواثق بنفسه. ومضرج: مخضب بالدماء. والبز: السلاح. والدرسان: جمع درس وهو الثوب الخلق.

(١٣) يستضاء به: يهتدى به إلى نور الحق. ومهند: سيف من الهند وسيوف الهند أفضل السيوف. ومسلول: مخرج من غمده

(١٤) العصبة: الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. وزولوا: فعل أمر أى تحولوا وانتقلوا من مكان إلى مكان، ويقصد الهجرة.

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل[١]
شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل[٢]
بيض سوابغ قد شكت لها حلق ... كأنها حلق القفعاء مجدول[٣]
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم ... قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا[٤]
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السود التنابيل[٥]
لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليل[٦]

قال ابن هشام: قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله ﷺ المدينة. وبيته: «حرف أخوها أبوها» وبيته: «يمشى القراد»، وبيته: «عيرانة قذفت»، وبيته: «تمر مثل عسيب النخل»، وبيته: «تفرى اللبان»، وبيته: «إذا يساور قِرنا»، وبيته: «ولا يزال بواديه»: عن غير ابن إسحاق.

**كعب يترض الأنصار بمدحهم:** قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عمر ابن قتادة: فلما قال كعب: «إذا عرد السود التنابيل»، وإنما يريدنا معشر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع، وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته، غضبت عليه الأنصار؛ فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ، وموضعهم من اليمن:

من سره كرم الحياة فلا يزل ... فى مقنب من صالحى الأنصار[٧]

---

(١) الأنكاس: المهانون. والكشف: جمع أكشف، وهو الذى لا ترس معه فى الحرب. والميل: جمع أميل وهو الذي لا سيف معه أو هو الذى لا يحسن ركوب الخيل. والمعازيل: جمع معزال وهو الذى لا سلاح معه.

(٢) الشم: جمع أشم وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه وذلك من علامات السيادة والكرم عندهم. والعرانين: جمع عرنين وهو الأنف. والأبطال: جمع بطل، وهو الرجل الشجاع. ولبوسهم من نسيج داود: أراد لبوسهم الدروع. والهيجا: الحرب. والسرابيل: جمع سربال.

(٣) بيض: جمع أبيض. وسوابغ: طويلة ضافية، وهذان وصفان للسرابيل فى البيت السابق. وشكت: أراد نسجت، وأصل الشك إدخال الشىء فى الشىء. والحلق: جمع حلقة. والقفعاء: شجر ينبسط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع. ومجدول: محكم الصنعة.

(٤) مفاريح: كثيروالفرح وهى جمع مفراح. ونالت: أصابت. ومجازيع: جمع مجزاع أى كثيرو الجزع وكلاهما صيغة مبالغة الأول من الفرح والثانى من الجزع. ونيلوا: أصيبوا. يريد أنهم إذا تغلبوا على عدوهم لم يفرحوا لذلك لأن هذا شيئ قد تعودوه، وإذا غلبهم أحد لم يجزعوا لأنهم يعلمون أن الأمور بيد الله وأنهم منتصرون عليه فى المستقبل.

(٥) الزهر: جمع أزهر وهو الأبيض. ويعصمهم: يمنعهم. وعرد: أعرض عن خصمه. والتنابيل: جمع تنبال وهوالقصير.

(٦) حياض الموت: موارد الهلاك وقصد بها ساحات القتال. وتهليل: فرار. وصفهم بأنهم لا ينهزمون فيقع الطعن فى ظهورهم بل من شأنهم الاقدام على أعدائهم فيقع الطعن فى نحورهم وصدورهم.

(٧) المقنب: جماعة الخيل والمراد به ههنا الأنصار على ظهور خيلهم.

ورثوا المكارم كابراً عن كابر     إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهرى بأذرع     كسوالف الهندى غير قصار[١]
والناظرين بأعين محمرة     كالجمر غير كليلة الأبصار[٢]
والبائعين نفوسهم لنبيهم     للموت يوم تعانق وكرار[٣]
والذائدين الناس عن أديانهم     بالمشرفى وبالقنا الخطار[٤]
يتطهرون يرونه نُسكا لهم     بدماء من علقوا من الكفار[٥]
دربوا كما دربت ببطن خفية     غُلب الرقاب من الأسود ضوارى[٦]
وإذا حللت ليمنعوك إليهم     أصبحت عند معاقل الأعفار[٧]
ضربوا عليا يوم بدر ضربة     دانت لوقعتها جميع نزار[٨]
لو يعلم الأقوام علمى كله     فيهم لصدقنى الذين أمارى[٩]
قوم إذا خوت النجوم فإنهم     للطارقين النازلين مقارى[١٠]
فى الغر من غسان من جرثومة     أعيت محافرها على المنقار

قال ابن هشام: ويقال إن رسول الله ﷺ قال. له حين أنشده: «بانت سعاد فقلبى اليوم متبول»: لولا ذكرت الأنصار بخير، فإنهم لذلك أهل، فقال كعب هذه الأبيات وهى فى قصيدة له.[١١]

قال ابن هشام: وذكر لى عن على بن زيد بن جدعان أنه قال: أنشد كعب بن زهير رسول الله ﷺ فى المسجد:

---

(١) السمهرى: الرمح. والأذرع: جمع ذرراع. وكسوالف الهندى: يريد به حواشى السيوف.
(٢) بأعين محمرة: يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه.
(٣) تعانق: يريد به التحام الشجعان فى ميدان القتال.
(٤) الذائدين: المدافعين. والمشرفى: السيف. والقنا: الرماح. والخطار: المهتز.
(٥) يرونه: يعتقدونه. ونسكًا: عبادة.
(٦) دربوا: تعودوا. وخفية: مكان تنسب إليه الأسود. وغلب الرقاب: غلاظها. وضوار: متعودة.
(٧) معاقل: جمع معقل. وهو الموضع الذى يمتنع فيه من احتله. والأعفار: جمع عفر وهى الوعول الصغيرة يضرب بها المثل لامتناعها فى قمم الجبال.
(٨) ضربوا علياً: أراد به على بن مسعود بن مازن الغسانى. وإليه تنسب بنو كنانة لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته فنسبوا إليه.
(٩) أمارى: أجادل.
(١٠) خوت النجوم: غربت فلم يكن لها تأثير على زعمهم. والطارقين: الذين يأتون ليلاً. والمقارى: جمع مقراة وهى الجفنة التى يصنع فيها الطعام للأضياف.
(١١) ضعيف حيث ذكره ابن هشام بدون إسناد وصدره بصيغة التمريض«يقال» وهى تشعر بالضعف.

«بانت سعاد فقلبى اليوم متبول»[١]

*****

## غزوة تبوك

## فى رجب سنة تسع

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم. وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم من علمائنا، كل حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض: أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك فى زمان من عسرة الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد. وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج فى غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له[٢]، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة[٣]، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذى يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبته، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم.

**ائذن لى ولا تفتنى:** فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بنى سلمة: «**يا جد، هل لك العام فى جلاد بنى[٤] الأصفر؟**» فقال: يا رسول الله، أو تأذن لى ولا تفتنى؟ فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء منى، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «**قد أذنت لك**». ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية: ﴿**ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى، ألا فى الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**﴾[٥]. أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلفه عن رسول الله ﷺ، والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول: ﴿**وإن جهنم لمن ورائه**﴾.[٦]

---

(١) ضعيف للجهالة والإرسال ثم إن على بن زيد ضعيف أيضًا.

(٢) يصمد له: يقصده.　　(٣) الشقة: بعد المسير.

(٤) بنى الأصفر: هم الروم.　　(٥) التوبة: ٤٩.

(٦) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٠١-١٠٢) من طريق ابن إسحاق.

**شأن المنافقين:** وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا فى الحر، زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق، وإرجافا برسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: **﴿وقالوا لا تنفروا فى الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً، جزاء بما كانوا يكسبون﴾**[١].

قال ابن هشام: وحدثنى الثقة عمن حدثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جده، قال: بلغ رسول الله ﷺ، أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى، وكان بيته عند جاسوم[٢]، يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، فبعث إليهم النبى ﷺ طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة. فاقتحم الضحاك بن خلفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه، فأفلتوا.[٣] فقال الضحاك فى ذلك:

| | |
|---|---|
| كادت وبيت الله نار محمد | يشيط بها الضحاك وابن أبيرق[٤] |
| وظلت وقد طبقت كِبس سويلم | أنوء على رجلى كسيراً ومرفقى[٥] |
| سلام عليكم لا أعود لمثلها | أخاف ومن تشمل به النار يحرق |

**حض الأغنياء على الفقة:** قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ جد فى سفره، وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها.

**ما أنفقه عثمان:** قال ابن هشام: حدثنى من أثق به: أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم أرض عن عثمان فإنى عنه راض»**[٦].

**البكاؤون والمعذرون والمتخلفون:** قال ابن إسحاق: ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ، وهم البكاؤون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى

---

(١) التوبة: ٨١ ، ٨٢.
(٢) جاسوم: اسم موضع.
(٣) إسناده ضعيف، فيه مجاهيل.
(٤) يشيط: يحترق.
(٥) طبقت: علوت. والكبس هو البيت الصغير
(٦) ضعيف بهذا اللفظ. ورواه الحاكم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان رضى الله عنه إلى النبى ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة ففرغها عثمان فى حجر النبى ﷺ، قال: فجعل النبى ﷺ يقلبها ويقول: **«ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم»**، قالها مراراً، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبى.

عوف: سالم بن عمير، وعُلبة بن زيد، أخو بنى حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، أخو بنى مازن بن النجار، وعمرو بن حمام بن الجموح، أخو بنى سلمة، وعبد الله بن المغفل المزنى - وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عمرو المزنى - وهرمىّ بن عبد الله أخو بنى وانف، وعرباض بن سارية الفزارى، فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون.

قال ابن إسحاق: فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان، فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه؛ فأعطاهما ناضحا له[1]، فارتحلاه؛ وزودهما شيئا من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وجاءه المعذرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله تعالى. وقد ذكر لى أنهم نفر من بنى غفار.

ثم استتب[2] برسول الله ﷺ سفره، وأجمع السير، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ، حتى تخلفوا عنه، عن غير شك ولا ارتياب؛ منهم: كعب بن مالك بن أبى كعب، أخو بنى سلمة ومرارة بن الربيع، أخو بنى عمرو بن عوف، وهلال بن أمية، أخو بنى واقف، وأبو خيثمة، أخو بنى سالم بن عوف وكانوا نفر صدق، لا يتهمون فى إسلامهم.

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى.

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن أبيه: أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة، مخرجه إلى تبوك، سباع بن عُرفطة.

قال ابن إسحاق: وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه، نحو ذباب، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين. فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبى، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب.

**المنافقون يرجفون بعلى:** وخلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، رضوان

(١) الناضح: الجمل الذى يستقى عليه الماء. (٢) استتب: تتابع واستمر.

الله عليه، إلى أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا استثقالا له، وتخففا منه. فلما قال ذلك المنافقون، أخذ على بن أبى طالب، رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبى الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى؛ فقال: كذبوا، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزله هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبى بعدى، فرجع على إلى المدينة؛ ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلى هذه المقالة[1].

قال ابن إسحاق: ثم رجع على إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

**أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول:** ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياما إلى أهله فى يوم حار، فوجد أمرأتين له فى عريشين[2] لهما فى حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاما. فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ فى الضح[3] والريح والحر، وأبوخيثمة فى ظل بارد، وطعام مهيأ، وامرأة حسناء، فى ماله مقيم، ما هذا بالنصف! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا لى زادا، ففعلتا. ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل بتبوك. وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير ابن وهب الجمحى فى الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك. قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لى ذنبا، فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مُقبل؛ فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة؛ فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له

(١) إسناده صحيح. ورواه البخارى بنحوه(٨/ ١١٢) كتاب المغازى، باب: غزوة تبوك وهى غزوة العسرة، ومسلم (٦١٠١)كتاب الفضائل، باب: فضائل على بن أبى طالب، والترمذى(٣٧٢٤، ٣٧٣١)، والنسائى فى الكبرى كما فى «تحفة الأشراف»(٣/ ٣١٧).

(٢) العريش: شبيه بالخيمة، يظلل فيكون أبرد من الأخبية والبيوت.

(٣) الضح: الشمس.

رسول الله ﷺ: **«أولى لك يا أبا خيثمة»**[1] ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر؛ فقال له رسول الله ﷺ: **«خيرا، ودعا له بخير»**[2].

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة فى ذلك شعرا، واسمه مالك بن قيس:

| | |
|---|---|
| لما رأيت الناس فى الدين نافقوا | أتيت التى كانت أعف وأكرما |
| وبايعت باليمنى يدى لمحمد | فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما |
| تركت خضيبا فى العريش وصرمة | صفايا كراما بُسرها قد تحمما[3] |
| وكنت إذا شك المنافق أسمحت | إلى الدين نفسى شطره حيث يمما |

**ما حدث بالحجر:** قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزلها، واستقى الناس من بئرها. فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: **«لا تشربوا من مائها شيئا، ولا تتوضئوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئا[4]، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له»**. ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر فى طلب بعير له، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح، حتى طرحته بجبلى طيىء. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: **«ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه!»** ثم دعا رسول الله ﷺ للذى أصيب على مذهبه فشفى؛ وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيىء، فإن طيئا أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.[5]

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن قد سمى له العباس الرجلين، ولكنه استودعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسميهما لى.

قال ابن هشام: بلغنى عن الزهرى أنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سجى

---

(١) أولى لك: كلمة فيها معنى التهديد، ومعناها دنوت من الهلكة.

(٢) إسناده مرسل. ورواه الطبرانى فى«الكبير» بنحوه موصولاً(١٩/ ٤٢)(ح٩٠) من حديث كعب بن مالك الطويل فى قصة توبته وإسناده صحيح. وأصل الحديث فى الصحيحين. وانظر «فتح البارى»(٨/ ١١٩).

(٣) الخضيب: المخضوبة، أراد امرأة قد خضبت يديها بالحناء. والصرمة: جماعة النخل. وصفايا: كثيرة الحمل، وأصله فى الإبل. والبسر: التمر قبل أن يطيب. وتحمم: أخذ فى الأرطاب فاسود.

(٤) روى البخارى(٦/ ٣٧٨) كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿إلى ثمود أخاهم صالحًا﴾ عن ابن عمر رضى الله عنهما«أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر فى غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا منها، فقالوا: قد عجنا منها واستقينا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء» وفى رواية للبخارى أيضًا:«وأن يعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كان تَرِدُها الناقة».

(٥) حديث الرجلين إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٠٥) عن ابن إسحاق.

ثوبه[1] على وجهه، واستحث[2] راحلته، ثم قال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون، خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم.[3]

قال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء.[4]

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بنى عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويحك، هل بعد هذا شىء؟! قال: سحابة مارة.

**تقول ابن اللصيت**: قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج أصحابه فى طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له عمارة بن حزم، وكان عقبيا بدريا، وهو عم بنى عمرو بن حزم، وكان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى، وكان منافقا.[5]

قال ابن هشام: ويقال: ابن لُصَيْبٌ (بالباء).

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بنى عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللصيت، وهو فى رحل عمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبى، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: «**إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبى، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها، وهى فى هذا الوادى، فى شعب كذا**

(١) سجى ثوبه: ألقاه على وجهه. (٢) استحث راحلته: استعجلها.

(٣) إسناده مرسل ضعيف. وروى البخارى(٨/ ١٢٥)كتاب المغازى، باب: نزول النبى ﷺ الحجر. عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما مرّ النبى ﷺ بالحجر قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين**» ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادى.

(٤) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٠٥) من طريق ابن إسحاق.

(٥) إسناده ضعيف لجهالة من هو من بنى عبد الأشهل. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٠٥-١٠٦) من طريق ابن إسحاق. وليس فى إسناد الطبرى «عن رجال من بنى عبد الأشهل».

**وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتونى بها»**، فذهبوا، فجاؤوا بها. فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفا، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذى قال زيد بن اللصيت؛ فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى. فأقبل عمارة على زيد يجا فى عنقه ويقول إلى عباد الله، إن فى رحلى لداهية وما أشعر! أخرج أى عدو الله من رحلى، فلا تصحبنى.[1]

قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك؛ وقال بعض الناس لم يزل متهما بشر حتى هلك.

**خبر أبى ذر:** ثم مضى رسول الله ﷺ سائرا، فجعل يتخف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان: فيقول: « **دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**»، حتى قيل؛ يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره؛ فقال: «**دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**»؛ وتلوم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيا. ونزل رسول الله فى بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده؛ فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا ذر**»، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر؛ فقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**».

وقال ابن إسحاق: فحدثنى بريدة بن سفيان الأسلمى، عن محمد بن كعب القرظى، عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة، وأصابه بها قدره؛ لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن اغسلانى وكفنانى، ثم ضعانى على قارعة الطريق، فأول ركب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا ذلك به. ثم وضعاه على قارعة الطريق؛ وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق عمار، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل تطؤها، وقام إليهم الغلام. فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه. قال: فاستهل عبد الله بن مسعود يبكى ويقول: صدق رسول الله ﷺ، تمشى وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك. ثم نزل هو أصحابه فواروه، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه، وما قال له رسول

(١) إسناده ضعيف لجهالة من هم من بنى عبد الأشهل.

الله ﷺ فى مسيره إلى تبوك[1].

**تخويف المنافقين للمسلمين:** قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من المنافقين، منهم وديعة بن ثابت، أخو بنى عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع، حليف لبنى سلمة، يقال له: مخُشِّن بن حمير ـ قال ابن هشام: ويقال مخشى ـ يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بنى أصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟! والله لكأنا بكم غدا مقرنيين فى الحبال، إرجافا وترهيبا للمؤمنين، فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، إنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن. لمقالتكم هذه.

وقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغنى ـ لعمار بن ياسر: «**أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتم كذا وكذا**». فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم: فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة ابن ثابت، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها[2]: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿**ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب**﴾[3]. وقال مخشن بن حمير: يارسول الله، قعد بى اسمى واسم أبى؛ وكأنى الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر.[4]

**الصلح من صاحب أيلة:** ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك، أتاه يحنة ابن رؤبة، صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابا، فهو عندهم.

فكتب ليُحَنَّة بن رؤبة:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر: لهم ذمة الله، وذمة محمد النبى، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه، من بر أو بحر.

---

(١) إسناده ضعيف لضعف بريدة بن سفيان ورواه الحاكم (٣/ ٥٠ ـ ٥١) من طريق ابن اسحاق. وقال: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبى بقوله: فيه إرسال.وحسّنه الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٥/ ٩) وضعفه الحافظ فى «الإصابة» (٤/ ٦٤).

(٢) الحقب: حبل يشد على بطن البعير سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل.

(٣) التوبة: ٦٥.

(٤) ضعيف لذكر ابن إسحاق له بلاغًا وبدون إسناد، وذكره الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٠٨) عن ابن إسحاق.

**خالد وأكيدر دومة**: ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أكيدر دومة[1]، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة كان ملكا عليها، وكان نصرانيا؛ فقال رسول الله ﷺ لخالد: «**إنك ستجده يصيد البقر**». فخرج خالد، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفى ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد. فنزل فأمر بفرسه، فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ يقال به حسان. فركب، وخرجوا معه بمطاردهم. فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ، فأخذته، وقتلوا أخاه؛ وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «**أتعجبون من هذا؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا**»[2].

قال ابن إسحاق: ثم إن خالداً قدم باكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته؛ فقال رجل من طيىء: يقال له بجير بن بجرة، يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد: إنك ستجده يصيد البقر، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته، لتصديق قول رسول الله ﷺ:

تبارك سائق البقـرات إنـى ... رأيت الله يهدى كل هاد

فمن يك حائداً عن ذى تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجـهاد

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة، لم يجاوزها، ثم انصرف قافلا إلى المدينة.

**وادى المشقق وماؤه**: وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل[3]، ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة، بواد يقال له وادى المشقق؛ فقال رسول الله ﷺ: «**من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه**». قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه؛ فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه، فلم ير فيه شيئا. فقال: من سبقنا إلى هذا؟!

(١) دومة: هى دومة الجندل على عشر مراحل من المدينة من جهة الشام وقد افتتحت فى سنة تسع من الهجرة على يد خالد بن الوليد.

(٢) إسناده صحيح ورواه البخارى (٧/ ١٢٢) ومسلم (٦٢٣١) من حديث البراء بن عازب. ورواه من حديث أنس من غير طريق ابن إسحاق أحمد (٣/ ٢٣٤) والترمذى (١٧٢٣) والنسائى (٨/ ١٩٩).

(٢) الوشل: حجر أو جبل يقطر قليلاً. والوشل أيضاً: القليل من الماء.

الماء؟ فقيل له: يا رسول الله، فلان وفلان؛ فقال: أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه! ثم لعنهم رسول الله ﷺ، ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب، ثم نضحه به، ومسحه بيده، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ماإن له حسا كحس الصواعق، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله ﷺ: **«لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه»**[1].

**ذو البجادين ودفنه وتسميته:** قال: وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث، قال: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر، قال: فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ فى حفرته، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه وهو يقول: **«أدنيا إلى أخاكما»**، فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: **«اللهم إنى أمسيت راضيا عنه، فارض عنه»**. قال: يقول عبدالله بن مسعود: ياليتنى كنت صاحب الحفرة[2].

قال ابن هشام: وإنما سمى ذا البجادين، لأنه كان ينازع إلى الإسلام، فيمنعه قومه من ذلك، ويضيقون عليه، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره، والبجاد: الكساء الغليظ الجافى. . . . . فيضرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريبا منه، شق بجاده باثنين، فاتزر بواحد، واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين لذلك، والبجاد أيضا: المسح، قال ابن هشام: قال امرؤ القيس:

كأن أبانا فى عرانين ودقه     كبير أناس فى بجاد مزمل

**حديث أبى رهم فى تبوك:** قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهرى، عن ابن أكيمة الليثى، عن ابن أخى أبى رهم الغفارى، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة، يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله

---

(١) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ١٠٩-١١٠) من طريق ابن إسحاق.

(٢) فى إسناده انقطاع، محمد بن إبراهيم التيمى لم يسمع من ابن مسعود. وأورده الحافظ فى الإصابة بإسناد ابن إسحاق وقال: رواه البغوى بطوله من هذا الوجه ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً وهو كذلك فى السيرة النبوية وأخرجه ابن منده من طريق سعد بن الصلت عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود ا.هـ انظر «الإصابة» (٢/ ٣٣٩).

ﷺ، فيفزعني دنوها منه، مخافة **أن أصيب رجله فى الغرز**[1]، **فطفقت** أحوز راحلتي عنه، حتى غلبتني عيني في **بعض الطريق**، ونحن في بعض الليل، فزاحمت راحلتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله **فى الغرز**، **فما** استيقظت إلا بقوله: حس[2]، فقلت: يا رسول الله، استغفر لى. **فقال: سر، فجعل** رسول الله ﷺ يسألني عمن تخلف من بني غفار، فأخبره به؛ **فقال وهو يسألني**: ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط[3] فحدثته بتخلفهم. قال: **فما فعل النفر** السود الجعاد القصار؟ قال: قلت: والله ما أعرف هؤلاء منا. قال: بلى، الذين لهم نعم بشبكة شدخ[4]؛ فتذكرتهم فى بني غفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أم لهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا، فقلت: يا رسول الله، أولئك رهط من أسلم، حلفاء فينا؛ فقال رسول الله ﷺ: «**ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرءاً نشيطا فى سبيل الله؟ إن أعز أهلى عليّ أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم**»[5].

## أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا، فتصلى لنا فيه؛ فقال: « **إنى على جناح سفر، وحال شغل، أو كما قال صلى الله ﷺ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه**».

فلما نزل بذى أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، أخا بنى سالم بن عوف، ومعن بن عدى، أو أخاه عاصم بن عدى، أخا بنى العجلان فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه، فاهدماه وحرقاه. فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى. فدخل إلى أهله، فأخذ سعفا من النخل، فأشعل فيه نارا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرقاه وهدماه، وتفرقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: **﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقا بين المؤمنين﴾**[6]. . إلى آخر القصة.

---

(١) الغرز للرجل بمنزلة الركاب للسرج. (٢) حس: كلمة تقال عند وجود الألم.
(٣) الثطاط: جمع ثط، وهو القليل شعر اللحية والحاجبين. (٤) شبكة شرخ: موضع من بلاد غفار.
(٥) إسناده ضعيف، ابن أخى أبى رهم غير مسمى ولا يُعرف من هو. ورواه أحمد(٤/ ٣٥٠)من طريق ابن إسحاق.
(٦) التوبة: ١٠٧.

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا: خِذام بن خالد، من بنى عبيد بن زيد، أحد بنى عمرو بن عوف، ومن داره أخْرِج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد، ومعتب بن قشير، من بنى ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر، من بنى ضبيعة بن زيد، وعباد بن حُنيف، أخو سهل ابن حنيف، من بنى عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مجمع بن جارية، وزيد بن جارية، ونبتل بن الحارث، من بنى ضبيعة، ويخرج، من بنى ضبيعة، وبجاد بن عثمان، من بنى ضبيعة، ووديعة بن ثابت، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن عبد المنذر.(١)

**مساجد الرسول**: وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة: مسجد بتبوك، ومسجد بثنية مدران، ومسجد بذات الزّراب، ومسجد بالأخضر، ومسجد بذات الخطمى، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البراء. من ذنب كواكب، ومسجد بالشِّق، شَق تارا، ومسجد بذى الجيفة، ومسجد بصدر حوضى، ومسجد بالحجر، ومسجد بالصعيد، ومسجد بالوادى، اليوم، وادى القرى، ومسجد بالرقعة من الشقة، شقة بنى عذرة، ومسجد بذى المروة، ومسجد بالفيفاء، ومسجد بذى خُشُب.

## أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة**»، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله ﷺ، ولم يعذرهم الله، ولا رسوله. واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة.

قال ابن إسحاق: فذكر الزهرى محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن أباه عبد الله، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره، قال: سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، وحديث صاحبيه، قال: ما تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها قط، غير أنى كنت قد تخلفت عنه غزوة بدر، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد عير قريش، حتى جمع

(١) إسناده مرسل، فقد قال ابن كثير فى «تفسيره» (٢/ ٣٩٦) قال محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمرو بن قتادة وغيرهم قالوا: أقبل رسول الله ﷺ يعنى من تبوك حتى نزل بذى أوان... ثم ذكر القصة. ورواها الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ١١٠) من طريق ابن إسحاق.

الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة، وحين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لى بها مشهد بدر، وإن كانت غزوة بدر هى أذكر فى الناس منها. قال: كان من خبرى تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، واستقبل غزو عدو كثير، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ، يعنى بذلك الديوان، يقول: لا يجمعهم ديوان مكتوب.

قال كعب: فقلّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيُخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحى من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحُبت الظلال، فالناس إليها صُعر[1]؛ فتجهز رسول الله ﷺ، وتجهز المسلمون معه، وجعلت أغدو لأتجهز معهم، فأرجع ولم أقض حاجة، فأقول فى نفسى، أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر الناس بالجد، فأصبح رسول الله ﷺ غاديا، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازى شيئا، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا، وتفرط الغزو[2]، فهممت أن أرتحل، فأدركهم وليتنى فعلت، فلم أفعل، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطفت فيهم، يحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه[3] فى النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرنى رسول الله ﷺ بلغ تبوك، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك: ما فعل كعب ابن مالك. فقال رجل من بنى سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، والنظر فى عطفيه؛ فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً؛ فسكت رسول الله ﷺ.

فلما بلغنى أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك، حضرنى بثى[4]، فجعلت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطة رسول الله ﷺ غدا وأستعين

(١) صعر: جمع أصعر وهو المائل.
(٢) تفرط الغزو: فات وسبقنى
(٣) مغموصاً عليه: مطعوناً عليه.
(٤) بثى: حزنى.

على ذلك كل ذى رأى من أهلى؛ فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل[1] قادما زاح عنى الباطل[2]، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق، فأجمعت أن أصدقه، وصبح رسول الله ﷺ المدينة، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فيقبل منهم رسول الله علانيتهم وإيمانهم، ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت فسلمت عليه، فتبسم تبسم المغضب، ثم قال لى: تعاله فجئت أمشى، حتى جلست بين يديه، فقال لى: ما خلفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك؟ قال: قلت: إنى يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عنى، وليوشكن الله أن يسخطك على، ولئن حدثتك حديثا صدقا تجد على فيه، إنى لأرجو عقباى من الله فيه، ولا والله ما كان لى عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: **«أما هذا فقد صدقت فيه، فقم حتى يقضى الله فيك»**. فقمت، وثار معى رجال من بنى سلمة، فاتبعونى فقالوا لى: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك فوالله ما زالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ، فأكذب نفسى، ثم قلت لهم: هل لقى هذا أحد غيرى؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل مقالتك، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمرى، من بنى عمرو بن عوف، وهلال بن أبى أمية الواقفى؛ فذكروا لى رجلين صالحين، فيهما أسوة، فصمت حين ذكروهما لى، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة، من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت لى نفسى والأرض، فما هى بالأرض التى كنت أعرف، فلبثنا عن ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباى فاستكانا، وقعدا فى بيوتهما، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج، وأشهد الصلوات مع المسلمين، وأطوف بالأسواق، ولا يكلمنى أحد، وآتى رسول الله ﷺ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة، فأقول فى نفسى، هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا؟ ثم أصلى قريبا منه، فأساوقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى، وإذ التفت نحوه أعرض عنى حتى

(١) أظل: أشرف وقرب.

(٢) زاح عنى الباطل: ذهب وزال.

إذ طال ذلك على من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت[1] جدار حائط أبى قتادة. وهو ابن عمى، وأحب الناس إلى، فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله؟ فسكت. فعدت فناشدته، فسكت عنى، فعدت فناشدته، فسكت عنى، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى، ووثبت فتسورت الحائط. ثم غدوت إلى السوق، فبينا أنا أمشى بالسوق، إذا نبطى يسأل[2] عنى من نبط الشام، ممن قدم بالطعام يبيعة بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فجعل الناس يشيرون له إلى، حتى جاءنى، فدفع إلى كتابا من ملك غسان، وكتب كتابا فى سرقة[3] من حرير، فإذا فيه: «أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة. فالحق بنا نواسك». قال: قلت حين قرأتها: وهذا من البلاء أيضا، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك. قال: فعمدت بها إلى تنور، فسجرته[4] بها. فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله يأتينى، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: قلت: أطلقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك، فقلك لامرأتى: الحقى بأهلك، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض. قال: وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له، أفتكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربنك؛ قالت: والله يا رسول الله ما به من حركة إلىّ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوفت على بصره. قال: فقال لى بعض أهلى: لو استأذنت رسول الله لامرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؛ قال: فقلت: والله لا أستأذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله ﷺ لى فى ذلك إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثم صليت الصبح، صبح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا، على الحال التى ذكر الله منا، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وضاقت علىّ نفسى، وقد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سلع، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء الفرج.

(١) تسورت: علوت.
(٢) النبطى: واحد النبط وهم قوم من الأعاجم.
(٣) السرقة: شقة من الحرير.
(٤) سجرته بها: أى أحرقتها وألهبت بها التنور.

قال: وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب نحو صاحبى مبشرون، وركض رجل إلى فرسا، وسعى ساع من أسلم، حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس؛ فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى، نزعت ثوبى، فكسوتهما إياه بشارة، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ، وتلقانى الناس يبشروننى بالتوبة، يقولوا: ليهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله، فحيانى وهنأنى، ووالله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال لى، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: بل من عند الله قال: وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتى إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالى، صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك**». قال: قلت: إنى ممسك سهمى الذى بخيبر؛ وقلت: يا رسول الله، إن الله قد نجانى بالصدق، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما حييت، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلانى الله، والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى.

وأنزل الله تعالى: ﴿**لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم، وعلى الثلاثة الذى خلفوا**﴾.. إلى قوله: ﴿**وكونوا مع الصادقين**﴾[1].

قال كعب: فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظم فى نفسى من صدق رسول الله ﷺ يومئذ، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد، قال: ﴿**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم، إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون. يحلفون لكم لترضوا عنهم. فإن**

---

(١) التوبة: ١١٧ـ ١١٩

**ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾**[1].

قال: وكنا خُلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ليعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا، حتى قضى الله فيه ما قضى، فبذلك قال الله تعالى: **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾**[2].

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا. وإرجائه أمرنا عمن حلف له، واعتذر إليه، فقبل منه[3].

## أمر وفد ثقيف وإسلامها
## فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك فى رمضان، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف.

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم، اتبع أثره عروة ابن مسعود الثقفى[4]، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ - كما يتحدث قومه - إنهم قاتلوك، وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم، فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم.

قال ابن هشام: ويقال: من أبصارهم.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم كذلك محببا مطاعا: فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه، لمنزلته فيهم؛ فلما أشرف لهم على علية له. وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم، يقال له أوس بن عوف، أخو بنى سالم بن مالك. وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم، من بنى عتاب بن مالك. يقال له وهب بن جابر، فقيل لعروة: ما ترى فى دمك؟ قال: كرامة أكرمنى الله بها، وشهادة ساقها الله إلى، فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم،

---

(١) التوبة: ٩٥ـ ٩٦.   (٢) التوبة: ١١٨.

(٣) إسناده صحيح. ورواه البخارى (٨/ ١١٣ـ ١١٦) كتاب المغازى، باب: حديث كعب بن مالك. وقول الله عز وجل **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾** ومسلم (٦٨٧٩) كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه. وأحمد(٣/ ٤٥٦ ـ ٤٥٩)، وعبد الرزاق(٩٧٤٤).

(٤) كان عروة بن مسعود رضى الله عنه شبيهًا بعيسى عليه السلام، ففى صحيح مسلم من حديث جابر مرفوعًا أن النبى ﷺ قال: «... ورأيت عيسى فإذا أقرب من رأيت به شبهًا عروة بن مسعود».

فادفنوني معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: إن مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه.[1]

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن عمرو بن أمية، أخا بني علاج، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو، الذي بينهما شيء، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو، حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك: أخرج إلي. قال: فقال عبد ياليل للرسول: ويلك! أعمرو أرسلك إليّ؟ قال نعم، وها هو ذا واقفاً في دارك، فقال: إن هذا الشيء ما كنت أظنه، لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك، فخرج إليه، فلما رآه رحب به، فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، قد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم. فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها، وقال بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب[2]، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع، فأتمروا بينهم، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلا، كما أرسلوا عروة، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وكان سن عروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه، فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصنع به إذا رجع كما صنع بعروة. فقال: لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وهب ابن معتب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب، ومن بني مالك عثمان ابن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان، أخا بني يسار، وأوس بن عوف، أخا بني سالم بن عوف ونمير بن خرشة بن ربيعة، أخا بني الحارث. فخرج بهم عبد ياليل، وهو ناب القوم[3] وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود، لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه.

فلما دنوا من المدينة، ونزلوا قناة، ألفوا بها المغيرة بن شعبة، يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رعيتها نوبا على أصحابه ﷺ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين، وضبر يشتد[4]، ليبشر رسول الله ﷺ، فأخبره عن ركب

(١) إسناده مرسل. (٢) السرب: المال الراعي. (٣) ناب القوم: أي سيدهم والمدافع عنهم.
(٤) ضبر يشتد: أي وثب، يقال: ضبر الفرس، إذا جمع قوائمه ووثب.

ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطا، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتابا فى قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله ﷺ، حتى أكون أنا أحدثه؛ ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ. فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه، فروح الظهر معهم، وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية. ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد بن سعيد بن العاص، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهى اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله ﷺ أن لايبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة، فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه، فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أمر عليهم عثمان بن أبى العاص، وكان من أحدثهم سنا، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلم القرآن. فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام، وتعلم القرآن.[1]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عيسى بن عبد الله عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى، عن بعض وفدهم. قال: كان بلال يأتينا ـ حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله

---

(١) إسناده منقطع. يعقوب بن عتبة لم يدرك عمرو بن أمية، وروى أحمد(٤/ ٢١٨) والطبرانى فى«الكبير» (٩/ ٤٥) (ح٨٣٧٢)، وأبو داود(٣٠٢٦)، والبيهقى فى«السنن»(٢/ ٤٤٤ـ٤٤٥) عن الحسن عن عثمان بن أبى العاص أن وفد ثقيف قدموا على النبى ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم فاشترطوا على النبى ﷺ أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يجبوا ولا يستعمل عليهم غيرهم فقال: «**لا تحشروا ولا تعشروا ولا تجبوا ولا يستعمل عليكم غيركم**» وقال النبى ﷺ: «**لا خير فى دين لا ركوع فيه**» قال: وقال عثمان بن أبى العاص: يا رسول الله علمنى القرآن واجعلنى إمام قومى. والحديث ضعفه الألبانى بقوله: رجاله ثقات لكن الحسن وهو البصرى مدلس وقد عنعنه. «تحقيق فقه السيرة» للغزالى(ص٤٣٨).

ﷺ ما بقى من رمضان ـ بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسحور، وإنا لنقول: إنا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ يتسحر، لتأخير السحور، ويأتينا بفطرنا، وإنا لنقول: ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد. فيقول: ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده فى الجفنة، فيلتقم منها.[1]

قال ابن هشام: بفطورنا وسحورنا.

قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن أبى هند، عن مُطرف بن عبد الله ابن الشخير، عن عثمان بن أبى العاص، قال: كان من آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ حين بعثنى على ثقيف أن قال: يا عثمان، تجاوز فى الصلاة، واقدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير، والصغير، والضعيف، وذا الحاجة[2].

**هدم اللات**: قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله ﷺ معها أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة، فى هدم الطاغية. فخرجا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: أدخل أنت على قومك؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول، وقام قومه دونه، بنو معتب، خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة، وخرج نساء ثقيف حُسراً[3] يبكين عليها ويقلن:

لتبكين دُفاع ... أسلمها الرَّضَّاع[4]

لم يحسنوا المِصاع[5]

قال ابن هشام: «لتبكين» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واها لك! آها لك! فلما هدمها المغيرة، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبى سفيان وحليها مجموع، وما لها من الذهب والجزع.

وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد

(١) إسناده ضعيف، عيسى بن عبد الله مجهول كما قال ابن المدينى فيما نقله عنه البوصيرى فى«مصباح الزجاجة» (٢/ ٤٠).

(٢) إسناده صحيح. ورواه الطبرانى فى«الكبير»(٩/ ٤١)(ح٨٣٥٨) من طريق ابن إسحاق، ورواه أحمد(٤/ ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨).

(٣) حسراً: جمع حاسرة وهى المكشوفة الوجه. (٤) الرضاع: جمع راضع، وأردن بهم اللئام.

(٥) المصاع: المجالدة والمضاربة بالسيوف.

ثقيف، حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف، وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً، فأسلما؛ فقال لهما رسول الله ﷺ: وخالكما أبا سفيان بن حرب، فقالا: وخالنا أبا سفيان بن حرب.

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية، سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسول الله ﷺ: نعم، فقال له قارب بن الأسود، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه، وعروة والأسود أخوان لأب وأم؛ فقال رسول الله ﷺ: إن الأسود مات مشركا. فقال قارب لرسول الله ﷺ يا رسول الله، لكن تصل مسلما ذا قرابة، يعنى نفسه، إنما الدين على، وإنما أنا الذى أطْلب به، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية؛ فلما جمع المغيرة ما لها قال لأبى سفيان: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما، فقضى عنها.

**كتابه عليه السلام لثقيف:** وكان كتاب رسول الله ﷺ الذى كتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبى، رسول الله، إلى المؤمنين: إن عضاه[1] وج وصيده لا يعضد[2]، من وجد يفعل شيئا من ذلك، فإنه يجلد وتنزع ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبى محمد، وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله.

وكتب خالد بن سعيد: بأمر الرسول محمد بن عبد الله، فلا يتعده أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ.[3]

## حج أبى بكر بالناس سنة تسع

### واختصاص النبى ﷺ على بن أبى طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع، ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم. فخرج أبوبكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين.

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد، الذى

(١) العضاه: شجر له شوك، ووج اسم موضع بالطائف. (٢) يعضد: يقطع.
(٣) إسناده مرسل. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٩٩ ـ ١٠٠) من طريق ابن إسحاق.

كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يُصد عن البيت أحد جاءه، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام. وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص، إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تبوك، وفى قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون، منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا، فقال عز وجل[1]: **﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾**: أى لأهل العهد العام من أهل الشرك **﴿فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر، واعلموا أنكم غير معجزى الله، وأن الله مخزى الكافرين. وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله﴾**: أى بعد هذه الحجة **﴿فإن تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله، وبشر الذى كفروا بعذاب أليم. إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾**: أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى **﴿ثم لم ينقصوكم شيئا، ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليكم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين، فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾**: يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا **﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم على مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم. وإن أحد من المشركين﴾**: أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم **﴿استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾**.

ثم قال: **﴿كيف يكون للمشركين﴾** الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن يخيفوكم ولا يخيفوهم فى الحرمة، ولا فى الشهر الحرام **﴿عهد عند الله وعند رسوله، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾**، وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية، إلى المدة التى كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش، وهى الديل من بنى بكر بن وائل، الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته **﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾**.

ثم قال تعالى: **﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾**: أى المشركون الذى لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام **﴿لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾**.

قال ابن هشام: الإل: الحلف. قال أوس بن حجر، أحد بنى أسيد بن عمرو بن

---

(١) صدر سورة التوبة.

تميم:

لولا بنو مالك والإل مرقبة     ومالك فيهم الآلاء والشرف[1]

وهذا البيت فى قصيدة له. وجمعه: آلال، قال الشاعر:

فلا إل من الآلال بينى     وبينكم فلا تألنُ جهداً

والذمة: العهد. قال الأجدع بن مالك الهمدانى، وهو أبو مسروق الأجدع الفقيه:

وكان علينا ذمة أن تجاوزوا     من الأرض معروفا إلينا ومنكراً

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له، وجمعها: ذمم.

**﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون. اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا، فصدوا عن سبيله، إنهم ساء ما كانوا يعملون. لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة، وأولئك هم المعتدون﴾** أى قد اعتدوا عليكم **﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين، ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**.

**اختصاص على بتأدية براءة:** قال ابن إسحاق: وحدثنى حكيم بن حكيم ابن عباد بن حُنيف، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه، أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج، قيل له: يارسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر، فقال: لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى، ثم دعا بن أبى طالب رضوان الله عليه، فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته، فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقه رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج، التى كانوا عليها فى الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام على بن أبى طالب رضى الله عنه، فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله ﷺ، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته؛ وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم،

(١) الإل: الحلف. ومرقبة: اسم مكان. والآلاء: النعم.

ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان.[1]

ثم قدما على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

**الأمر بجهاد المشركين:** قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أهل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاص، ومن كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدو فيها عاد منهم، فيقتل بعدائه، فقال: **﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنت مؤمنين. قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله﴾**: أى من بعد ذلك **﴿على من يشاء، والله علم حكيم. أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة، والله خبير بما تعملون﴾**.

قال ابن هشام: وليجة: دخيل، وجمعها: ولائج؛ وهو من ولج يلج: أى دخل يدخل، وفى كتاب الله عز وجل: **﴿حتى يلج الجمل فى سم الخياط﴾**[2]: أى يدخل، يقول: لم يتخذوا دخيلا من دونه يسرون إليه غير ما يظهرون، نحو ما يصنع المنافقون، يظهرون الإيمان للذين آمنوا **﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾**[3] قال الشاعر:

---

(١) إسناده مرسل. وقال الألبانى: حسن رواه ابن هشام عن ابن إسحاق عن أبى جعفر محمد بن على مرسلاً، لكن له شواهد يتقوى بها ذكرها ابن كثير فى «تاريخه» (٥/ ٣٧-٣٨). نقلاً عن «تحقيق فقه السيرة» للغزالى ص٤٤٠.. قلت: وروى أحمد (١/ ٧٩) والترمذى (٤/ ١١٦) وصححه عن زيد بن أُثَيع رجل من همدان: سألنا عليًا بأى شىء بعثت؟ يعنى يوم بعثه النبى ﷺ مع أبى بكر فى الحجة قال: « بعثت بأربع: لا يدخلن الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبى ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا». وروى أحمد أيضًا (١/ ٣) عن أبى بكر: أن النبى ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين النبى ﷺ مدةٌ فأجله إلى مدته والله برئ من المشركين ورسولُه، قال: فسار بها ثلاثًا، ثم قال لعلى: الحقه فرد علىّ أبا بكر وبلغها أنت قال: ففعل، قال: فلما قدم على النبى ﷺ أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله حدث فىّ شىء؟ قال: **«ما حدث فيك إلا خير، ولكن أُمرتُ أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل منى»** وإسناده حسن. وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ٢٣٩) رواه أحمد ورجاله ثقات. اهـ.

(٢) الأعراف: ٤٠.　(٣) البقرة: ١٤.

واعلم بأنك قد جعلت وليجة ساقوا إليك الحتف غير مشوب[1]

**القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت:** قال ابن إسحاق: ثم ذكر قول قريش: إنا أهل الحرم، وسقاة الحج، وعمار هذا البيت، فلا أحد أفضل منا؛ فقال: **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾**: أى أن عمارتكم ليست على ذلك، وإنما يعمر مساجد الله أى من يعمرها بحقها **﴿من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾**: أى فأولئك عمارها **﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾** وعسى من الله: حق.

قال تعالى: **﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستون عند الله﴾**.

ثم القصة حتى انتهى إلى ذكر حنين وما كان فيه وتولِّيهم عن عدوهم، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم، ثم قال تعالى: **﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا، وإن خفتم عيلة﴾** وذلك أن الناس قالوا: لتنقطعن عنا الأسواق، فلتهلكن التجارة، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق، فقال الله عز وجل: **﴿وإن خفتم علية فسوف يغنيكم الله من فضله﴾**: أى من وجه غير ذلك **﴿إن شاء، إن الله عليم حكيم، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾**: أى ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجزية.

**ما نزل فى أهل الكتابين:** ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه، حتى انتهى إلى قوله تعالى: **﴿إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾**.

**ما نزل فى النسيء:** ثم ذكر النسيء؛ وما كانت العرب أحدثت فيه. والنسيء ما كان يُحل مما حرم الله تعالى من الشهور، ويحرم مما أحل الله منها؛ فقال: **﴿إن عدة الشهور عتد الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾**: أى لا تجعلوا حرامها حلالا، ولا حلالها حراما: أى كما فعل أهل الشرك **﴿إنما النسيء﴾** الذى كانوا يصنعون **﴿زيادة**

---

(١) الحتف: الهلاك والموت. وغير مشوب: أى غير مخلوط بشىء.

**فى الكفر، يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، زين لهم سوء أعمالهم، والله لا يهدى القوم الكافرين﴾**.

**ما نزل فى تبوك**: ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها، وما أعظموا من غزو الروم، حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى جهادهم، ونفاق من نافق من المنافقين، حين دعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد، ثم ما نعى عليهم من إحداثهم فى الإسلام، فقال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾**، ثم القصة إلى قوله تعالى: **﴿يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم﴾** إلى قوله تعالى: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار﴾**.

**ما نزل فى أهل النفاق**: ثم قال تعالى لنبيه ﷺ، يذكر أهل النفاق: **﴿لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصدا لا تبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم، والله يعلم إنهم لكاذبون﴾**: أى إنهم يستطيعون **﴿عفا الله عنك، لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين»**؟ . . إلى قوله: **﴿لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا، ولأوضعوا خلاكم، يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم﴾**.

قال ابن هشام: أوضعوا خلالكم: ساروا بين أضعافكم، فالإيضاع: ضرب من السير أسرع من المشى؛ قال الأجدع بن مالك الهمدانى:

يصطادك الوحد المدل بشأوه ... بشريج بين الشد والإيضاع[1]

وهذا البيت فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف، فيما بلغنى، منهم: عبدالله بن أبى بن سلول، والجد بن قيس؛ وكانوا أشرافا فى قومهم، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه، فيفسدوا عليه جنده، وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه، لشرفهم فيهم. فقال تعالى: **﴿وفيكم سماعون لهم، والله عليم بالظالمين، لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾**: أى من قبل أن يستأذنوك، **﴿وقلبوا لك الأمور﴾**: أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك **﴿حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. ومنهم من يقول ائذن لى ولاتفتنى ألا فى الفتنة سقطوا﴾**، وكان

---

(١) الوحد: المنفرد، ويعنى به فرسًا. والمدل: إذا تاه وتكبر. والشأو: السبق. والشريج: النوع. والشد: الجرى. والإيضاع: فسره ابن هشام. وقوله: (بين الشد والإيضاع) صفة لشريج، يخاطب صيدًا بأن فرسه التياه سيصطاده بنوع من السير بين الشد والإيضاع.

الذى قال ذلك، فيما سمى لنا، الجد بن قيس، أخو بنى سلمة، حين دعاه رسول الله ﷺ إلى جهاد الروم. ثم كانت القصة إلى قوله تعالى: **﴿لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون. ومنهم من يلمزك فى الصدقات، فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾**: أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم.

**ما نزل فى أصحاب الصدقات:** ثم بين الصدقات لمن هى، وسمى أهلها، فقال: **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب، والغارمين وفى سبيل الله، وابن السبيل، فريضة من الله، والله عليم حكيم﴾**.

**ما نزل فيمن آذوا الرسول:** ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى ﷺ، فقال: **﴿ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين، ورحمة للذين آمنو منكم، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾**. وكان الذى يقول تلك المقالة، فيما بلغنى، نبتل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنما محمد أذن، من حدثه شيئا صدقه. يقول الله تعالى: **﴿قل أذن خير لكم﴾**: أى يسمع الخير ويصدق به.

ثم قال تعالى: **﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾**.

ثم قال: **﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون﴾** . . . إلى قوله تعالى: **﴿إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾**، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت، أخو بنى أمية ابن زيد، من بنى عمرو بن عوف، وكان الذى عفى عنه، فيما بلغنى: مخشن بن حمير الأشجعى، حليف بنى سلمة. وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: **﴿يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير. يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾** . . . إلى قوله: **﴿من ولى ولا نصير﴾**. وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامت، فرفعها عليه رجل كان فى حجره، يقال له عمير بن سعد، فأنكرها وحلف بالله ما قالها، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع، وحسنت حاله وتوبته، فيما بلغنى.

ثم قال تعالى: **﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من**

**الصالحين﴾**، وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب، ومعتِّب بن قشير، وهما من بنى عمر بن عوف.

ثم قال: **﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات، والذين لا يجدون إلا جهدهم، فيسخرون منهم، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾** وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان، وذلك أن رسول الله ﷺ رغّب فى الصدقة، وحض عليها، فقام عبد الرحمن بن عوف، فتصدق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عدى، فتصدق بمائة وسق منتمر، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف، أتى بصاع من تمر، فأفرغها فى الصدقة، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل.

ثم ذكر قول بعضهم لبعض، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد، وأمر بالسير إلى تبوك، على شدة الحر وجدب البلاد، فقال تعالى: **﴿وقالوا لا تنفروا فى الحر؛ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً﴾**. إلى قوله: **﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾**.

**مانزل بسبب الصلاة على ابن أبى:** قال ابن إسحاق: وحدثنى الزهرى عن عبيدالله ابن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفى عبد الله بن أبى، دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحولت حتى قمت فى صدره، فقلت: يا رسول الله، أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبى بن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدد أيامه، ورسوله الله ﷺ يتبسم حتى إذا أكثرت قال: ياعمر، أخر عنى، إنى قد خيرت فاخترت، قد قيل لى: **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾**، فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له، لزدت. قال: ثم صلى رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فرغ منه. قال؛ فعجبت لى ولجرأتى على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم. فوالله ماكان إلايسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان: **﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾** فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى[1].

**ما نزل فى المتأذنين والمعذرين والبكائين ومنافقى الأعراب:** قال ابن إسحاق: ثم

---

(١) إسناده صحيح. ورواه أحمد(١/ ١٦) والترمذى(٣٠٩٧) كلاهما من طريق ابن إسحاق، وقال الترمذى: حسن صحيح غريب، ورواه البخارى بنحوه(٨/ ٣٣) عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن الزهرى به.

قال تعالى: ﴿**وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم**﴾. وكان ابن أبي من أولئك، فنعى الله ذلك عليه، وذكره منه، ثم قال تعالى: ﴿**لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها. ذلك الفوز العظيم. وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله**﴾... إلى آخر القصة. وكان المعذرون، فيما بلغني نفراً من بني غفار، منهم خفاف بن أيماء بن رَحَضة، ثم كانت القصة لأهل العذر، حتى انتهى إلى قوله: ﴿**ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم، قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون**﴾ وهم البكاءون.

ثم قال تعالى: ﴿**إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون**﴾ الخوالف: النساء. ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم، فقال: ﴿**فأعرضوا عنهم**﴾، إلى قوله تعالى: ﴿**فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾.

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال: ﴿**ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق**﴾: أي من صدقة أو نفقة فى سبيل الله ﴿**مغرما ويتربص بكم الدوائر، عليهم دائرة السوء، والله سميع عليم**﴾.

**ما نزل فى المخلصين من الأعراب:** ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم، فقال: ﴿**وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يؤْمِنُ بالله واليَوْم الآخِرِ وَيَتّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرباتٍ عِنْدَ الله وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ، ألا إنَّهَا قربَةٌ لهُمْ**﴾.

**ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار:** ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال: ﴿**رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾، ثم قال تعالى: ﴿**وممَّن حَولَكُم منَ الأعْرابِ مُنافقونَ وَمِنْ أهْلِ المدينة مَرَدُوا على النِّفاق**﴾: أى لجوا فيه، وأبوا غيره ﴿**سنعذبهم مرتين**﴾، والعذاب الذى أوعده الله تعالى مرتين، فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه، عذاب النار والخلد فيه. ثم قال تعالى: ﴿**وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بذُنُوبهمْ، خَلَطُوا عمَلا صَالحا وآخَرَ سيِّئا، عَسَى الله أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إنَّ غَفور رَحِيم**﴾.

ثم قال تعالى: ﴿خذ منْ أموالهمْ صدقة تُطهرهم وتُزكيهم بها﴾ إلى آخر القصة. ثم قال تعالى: ﴿وآخرُونَ مُرْجوْنَ لأمْر الله؛ إمَّا يعذبهُم وإما يتوب عليهمْ﴾، وهم الثلاثة الذين خلفوا، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم. ثم قال تعالى: ﴿والذين اتخذُوا مَسْجداً ضراراً﴾... إلى آخر القصة ثم قال تعالى ﴿إنَّ الله اشترى منَ المُؤمنينَ أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنَّة﴾ ثم كان قصة الخبر عن تبوك، وما كان فيها إلى آخر السورة.

وكانت براءة تسمى فى زمان النبى ﷺ وبعده المبعثرة، لما كشفت من سرائر الناس. وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

## حسان يعدد مغازيه ﷺ شعرا

وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الأنصار مع النبى ﷺ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه: قال ابن هشام: وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان:

ألست خير معد كلها نفراً ... ومعشراً إن هم عُمُّوا وإن حُصلوا[1]

قوم هم شهدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألوا وما خذلوا[2]

وبايعوه فلم ينكث به أحد ... منهم ولم يك فى إيمانهم دَخل[3]

ويوم صبحهم فى الشعب من أحد ... ضرب رصين كحر النار مشتعل[4]

ويوم ذى قرد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خاموا وما نكلوا[5]

وذا العشيرة جاسوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البيض والأسل[6]

ويوم وَدَّان أجلوا أهله رقصا ... بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل[7]

وليلة طلبوا فيها عدوهم ... لله والله يجزيهم بما عملوا

وغزوة يوم نجد ثم كان لهم ... مع الرسول بها الأسلاب والنفل

وليلة بحنين جالدوا معه ... فيها يعلهم بالحرب إذ نهلوا[8]

وغزوة للقاع فرقنا العدو به ... كما تفرق دون المشرب الرسل[9]

ويوم بويع كانوا أهل بيعته ... على الجلاد فآسوه وما عدلوا

(١) حصلوا: أى جمعوا كلهم، وأراد حصلوا بتشديد الصاد
(٢) ألوا: أى قصروا. وخذلوا: تركوا. (٣) دخل: أى فساد.
(٤) ضرب رصين: محكم ثابت. (٥) خاموا: رجعوا. ونكلوا: رجعوا رجوع هيبة وفزع.
(٦) جاسوها: مروا خلالها. والأسل: الرماح.
(٧) الرقص: ضرب من المشى. والحزن: ما ارتفع وغلظ من الارض.
(٨) يعلهم: أراد يكرر عليهم. ونهلوا: شربوا أولاً.
(٩) الرسل: الإبل المرسلة.

وغزوة الفتح كانوا فى سريته ... مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم خيبر كانوا فى كتيبته ... يمشون كلهم مستبسل بطل[١]
بالبيض ترعش فى الأيمان عارية ... تعوج فى الضرب أحيانا وتعتدل
ويوم سار رسول الله محتسبا ... إلى تبوك وهم راياته الأول
وساسة الحرب إن حرب بدت لهم ... حتى بدا لهم الإقبال والقفل[٢]
أولئك القوم أنصار النبى وهم ... قومى أصير إليهم حين أتصل[٣]
ماتوا كراما ولم تنكث عهودهم ... وقتلهم فى سبيل الله إذ قتلوا

قال ابن هشام: عجز آخرها بيتا عن ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

كنا ملوك الناس قبل محمد ... فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل
وأكرمنا الله الذى ليس غيره ... إله بأيام مضت ما لها شكل[٤]
بنصر الإله والرسول ودينه ... وألبسناه اسماً مضى ماله مثل[٥]
أولئك قومى خير قوم بأسرهم ... فما عد من خير فقومى له أهل[٦]
يُربون بالمعروف معروف من مضى ... وليس عليهم دون معروفهم قفل[٧]
إذا اختبطوا لم يفحشوا فى نديهم ... وليس على سؤالهم عندهم بخل[٨]
وإن حاربوا أو سالموا لم يشبهوا ... فحربهم حتف وسلمهم سهل
وجارهم موف بعلياء بيته ... له ـ ماثوى فينا ـ الكرامة والبذل[٩]
وحاملهم مُوف بكل حماته ... تحمل لا غرم عليها ولا خذل[١٠]
وقائلهم بالحق إن قال قائل ... وحلمهم عود وحكمهم عدل[١١]
ومنا أمير المسلمين حياته ... ومن غسلته من جنابته الرُّسل[١٢]

---

(١) المستبسل: الذى وطن نفسه على الموت.
(٢) القفل: الرجوع والأوبة
(٣) حين اتصل: أى حين انتسب.
(٤) شكل الشيء: مثله.
(٥) يريد بالاسم الذى ألبسهم الله إياه (الأنصار).
(٦) أسرهم: كلهم.
(٧) يربون: يصلحون
(٨) اختبطوا: قصدهم قاصد طلباً لنائلهم.
(٩) العلياء: المكان المرتفع. وثوى: أقام. والبذل: العطاء.
(١٠) الحمالة: ما يحمله الإنسان من غرم فى دية. والخذل: الخذلان.
(١١) عود: قديم، والعود أيضاً الذى يتكرر.
(١٢) أمير المسلمين: هو سعد بن معاذ رضى الله عنه. ومن غسلته الرسل: يريد حنظلة الذى استشهد يوم أحد فغسلته الملائكة.

قال ابن هشام: وقوله: «وألبسناه اسما» عن غير ابن إسحاق:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

قـــــومى أولئك إن تسأل ... كرام إذا الضيف يوما ألم[(١)]

عظام القـــــدور لأيسارهم ... يكبون فيها المسن السنم[(٢)]

يؤاسون جارهم فى الغنى ... ويحمون مولاهم إن ظُلم

فكانـــــوا ملوكا بأرضهم ... ينادون عضـــــبا بأمر غشـــم[(٣)]

مُلوكا على الناس، لم يملكوا ... من الدهـــــر يوما كحل القسم

فأنبوا بعـــــاد وأشياعـــــهم ... ثمـــــود وبعض بقايا إرم[(٤)]

بيثرب قد شيدوا فى النخيل ... حصونا ودجَّن فيها النعم[(٥)]

نواضح قد علمتها اليهو ... د: عل - إليك وقولا هلم[(٦)]

وفما اشتهوا من عصير القطا ... ف والعيش رخوا على غيرهم[(٧)]

فســـــرنا إليهم بأثقـــــالنا ... على كل فحل هجان قطم[(٨)]

جنبنا بهن جيـــــاد الخيو ... ل قد جللوها جلال الأدم[(٩)]

فلما أناخوا بجنبى صرار ... وشدوا السروج بلى الحزم

فما راعهم غير معج الخيو ... ل والزحف من خلفهم قد دهم[(١٠)]

فطاروا سراعا وقد أفزعوا ... وجئنا إليهم كأســـــد الأجم

على كل سلهبة فى الصبا ... ن لا يشتكين نحول السأم[(١١)]

وكل كميت مُطار الفؤاد ... أمين الفصوص كمثل الزُّلم[(١٢)]

---

(١) ألم: نزل.

(٢) الأيسار: جمع يسر، وهو الذى يدخل فى الميسر. والمسن: الكبير. والسنم: العظيم السنام وهو أعلى الظهر.

(٣) أمر غشم: هو ما كان فيه أسوأ الظلم.

(٤) أنبوا: أراد أنبثوا. وإرم: عاد الأولى.

(٥) دجن: أسكن واتخذ فى البيوت. والنعم: الإبل.

(٦) النواضح: جمع ناضح، وهو البعير الذى يستقى عليه. وعل: كلمة تزجر بها الإبل. وهلم: أى أقبل.

(٧) القطاف: ما يقطف من العنب وغيره.

(٨) الهجان: الأبيض، وهى من أكرم الإبل عليهم. والقطم: الشهوان الهائج للضراب.

(٩) جنبنا: أراد قدنا. وجللوها: غطوها. والجلال: جمع جل والأدم: الجلد.

(١٠) معج الخيول: سرعتها. ودهم: جاء على غفلة.

(١١) السلهبة: الفرس الطويلة. والصيان: أصله ما يصان فيه الحلى. والسأم: الملل.

(١٢) مطار الفؤاد: أراد ذكى الفؤاد. والفصوص: مفاصل العظام. والزلم: القدح.

عليها فوارس قد عودوا ... قراع الكماة وضرب البهم[1]
ملوك إذا غشموا فى البلاد ... لا ينكلـــون ولكن قُدُم[2]
فأبنا بساداتهم والنساء ... وأولادهم فيهـــم تقتسم[3]
ورثنا مساكنهم بعدهم ... وكنا ملوكا بها لم نرم[4]
فلما أتانا الرسول الرشيد ... د بالحق والنور بعد الظلم
قلنا صدقت رسول المليك ... هلم إلينا وفينا أقم
فنشهد أنك عبد الأله ... أرسلت نوراً بدينٍ قيمِ[5]
فأنا وأولادنا جُنة ... نقيك وفى مالنا فاحتكم فناد
فنحن أولئك إن كذبوك ... نـــــــــداء ولا تحتشم[6]
وناد بما كنت أخفيته ... نداء جهاراً ولا تكتتم
فصار الغواة بأسيافهم ... إليه يظنون أن يخترم[7]
فقمنا إليهم بأسيافنا ... نجالد عنه بغاة الأمم[8]
بكل صقيل له ميعة ... رقيق الذباب عضوض خذم[9]
إذا ما يصادف صم العظا ... م لم ينب عنها ولم ينثلم[10]
فذلك ما ورثتنا القرو ... م مجداً تليداً وعزاً أشم[11]
إذا مر نسل كفى نسله ... وغادر نسلا إذا ما انفصم[12]
فما إنْ من الناس إلا لنا ... عليه وإن خاس فضل النعم[13]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته:

فكانوا ملوكا بأرضيهم ... ينادون غضبا بأمر غشم

---

(١) الكماة: الشجعان. والبهم: الشجعان أيضاً.
(٢) غشموا: جاروا واشتد ظلمهم. ولا ينكلون: أى لا يرجعون من هيبة أو فزع.
(٣) أبنا: رجعنا.
(٤) لم نرم: لم نبرح ولم نفارق مكاننا ولم نزايله.
(٥) بدين قيم: لا اعجواج فيه.
(٦) لا تحتشم: لا تنقبض.
(٧) يخترم: يقتل.
(٨) البغاة: جمع باغ.
(٩) له ميعة يريد أنه مصقول تمام الصقل فهو يشبه الماء فى صفائه. والذباب: حد أطراف السيف. والخذم: القاطع.
(١٠) لم ينب: لم يرتفع عنها ولم يرجع.
(١١) القروم: السادة. والمجد التليد: الشرف القديم. وأشم: أى مرتفع.
(١٢) انفصم: انقطع وانقرض.
(١٣) خاس: غدر

وأنشدني:

بيثرب قد شيدوا في النخيل حصونا ودجن فيها النعم

## ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه.

قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة: أن ذلك فى سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوخها[1] الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا فى دين الله، كما قال عز وجل: **أفواجا**، يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾**:[2] أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره إنه كان توابا.

*****

## قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

**رجال الوفد**: فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى، فى أشراف بنى تميم، منهم الأقرع بن حابس التميمى والزبرقان بن بدر التميمى، أحد بنى سعد، وعمرو بن الأهتم، والحجاب بن يزيد.

**الحتات**: قال ابن هشام: الحتات وهو الذى آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاوية

(١) دوخها الإسلام: ذللها وأخضعها.

(٢) سورة النصر.

ابن أبى سفيان، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين، بين أبى بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وبين أبى ذر الغفارى والمقداد بن عمر البهرانى، وبين معاوية بن أبى سفيان والحتات بن يزيد المجاشعى فمات الحتات عند معاوية فى خلافته، فأخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الأخوة، فقال الفرزدق لمعاوية

أبوك وعمى يا معاوى أورثا تراثا فيحتاز التراث أقـــــاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته وميراث حرب جامد لك ذائبه

قال ابن إسحاق: وفى وفد بنى تميم نعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم، أخو بنى سعد، فى وفد عظيم من بنى تميم.

قال ابن هشام: وعطارد بن حاجب، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، والأقرع بن حابس، أحد بنى دارم بن مالك، والحتات ابن يزيد، أحد بنى دارم بن مالك، والزبرقان بن بدر، أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وعمرو بن الأهتم، أحد بنى منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم، وقيس بن عاصم، أحد بنى منقر بن عبيد بن الحارث.

قال ابن إسحاق: ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى، وقد كان الأقرع بن حابس، وعيينه بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنينا والطائف.

**أصحاب الحجرات**: فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته: أن اخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا؛ قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل.

**كلمة عطارد**: فقام عطارد بن حاجب، فقال:

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن، وهو أهله، الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا، وأيسره عدة، فمن مثلنا فى الناس وأولى فضلهم؟! فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا، ولو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف بذلك.

أول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس.

**ثابت بن قيس يرد على عطارد**: فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن

الشماس، أخى بنى الحارث بن الخزرج: قم، فأجب الرجل فى خطبته. فقام ثابت، فقال: الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شىء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا، واصطفى من خير خلقه رسولا، أكرمه نسبا، وأصدقه حديثا، وأفضله حسبا، فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه، أكرم الناس حسبا، وأحسن الناس وجوها، وخير الناس فعالا. ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا، وكان قتله علينا يسيرا. أقول قولى هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

**الزبرقان يفتخر بقومه؛** فقام الزبرقان بن بدر، فقال:

| | |
|---|---|
| نحن الكرام فلا حى يعادلنا | منا الملوك وفينا تنصب البيع[1] |
| وكم قسرنا من الأحياء كلهم | عند النهاب وفضل العز يتبع |
| ونحن يطعم عند القحط مطعمنا | من الشوراء إذا لم يؤنس القزع[2] |
| بما ترى الناس تأتينا سراتهم | من كل أرض هُوياً ثم تصطنع[3] |
| فننحر الكوم عبطا فى أرومتنا | للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا[4] |
| فلا ترانا إلى حى نفاخرهم | إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع |
| فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه | فيرجع القوم والأخبار تُستمع |
| إنا أبينا ولا يأبى لنا أحد | إنا كذلك عند الفخر نرتفع |

قال ابن هشام: ويروى:

منا الملوك وفينا تقسم الربع[5]

ويروى: من كل أرض هوانا نم نتبع

(١) البيع: مواضع الصلوات والعبادات. (٢) القزع: سحاب رقيق يكون فى الخريف.
(٣) هوياً: سريعاً.
(٤) الكوم: جمع كوماء، وهى الناقة العظيمة السنام. وعبطاً: من غير علة. والأرومة: الأصل.
(٥) كان من عادتهم فى الجاهلية إذا غنموا أن يعطوا الرئيس ربع الغنيمة.

رواه لى بعض بنى تميم، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان.

**حسان يرد على الزبرقان:** قال ابن إسحاق: وكان حسان غائبا، فبعث إليه رسول الله ﷺ. قال حسان: جاءنى رسوله، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا ... على أنف راض من معد وراغم
منعناه لما حل بين بيوتنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم
ببيت حريد عزه وثراؤه ... بجابية الجولان وسط الأعاجم
هل المجد إلا السودد العود والندى ... وجاه الملوك واحتمال العظائم

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ، وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت فى قوله، وقلت على نحو ما قال. قال: فلما فرغ الزبرقان، قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: قم يا حسان، فأجب الرجل فيما قال. فقام حسان، فقال:

إن الذوائب من فِهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تُتبع[1]
يرضى بهم كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع[2]
إن كان فى الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا[3]
إن سابقوا الناس يوما فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا[4]
أعفة ذُكرت فى الوحى عفتهم ... لا يطبعون ولا يرديهم طمع[5]
لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طبع[6]
إذا نصبنا لحى لم ندب لهم ... كما يدب إلى الوحشية الذرع[7]
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبها ... الزعانف من أظفارها خشعوا[8]
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خُور ولا هلع[9]

(١) الذوائب: الأعالى، وأراد ههنا السادة.
(٢) السجية: الطبيعة والخليقة.
(٣) أوهنت: أضعفت وهدمت.
(٤) متعوا: زادوا وظهروا عليهم.
(٥) لا يطبعون: أى لا يتدنسون.
(٦) الطبع: الدنس.
(٧) نصبنا: أظهرنا لهم العداوة ولم نسرها فى أنفسنا. والذرع: ولد البقرة الوحشية.
(٨) الزعانف: أطراف الناس وأتباعهم. وخشعوا: خضعوا وتذللوا.
(٩) الخور: الضعف. والهلع: جمع هلوع وهو الجبان الخائف.

كأنهم فى الوغى والموت مكتنع ... أسُد بحلية فى أرساغها فدع[1]

خذ منهم ما أتى عفواً إذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذى منعوا[2]

فإن فى حربهم - فأترك عداوتهم - ... شرا يخاض عليه السّم والسلع[3]

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفاوتت الأهواء والشيع

أهدى لهم مدحتى قلب يؤازره ... فيما أحب لسان حائك صنع[4]

فإنهم أفضل الأحياء كلهم ... إن جد بالناس جِدُّ القول أو شمعوا[5]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد:

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا

**شعر آخر للزبرقان بن بدر:** وقال ابن هشام: حدثنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم؛ أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله ﷺ فى وفد بنى تميم قام فقال:

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ... إذا احتفلوا عند احتضار المواسم[6]

بأنا فروع الناس فى كل موطن ... وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم[7]

وأنا نذود المعلمين إذا انتخوا ... ونضرب رأس الأصيد المتفاقم[8]

وأن لنا المرباع فى كل غارة ... نغير بنجد أو بأرض الأعاجم[9]

**شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان:** فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هل المجد إلا السودد العود والندى ... رجاه الملوك واحتمال العظائم[10]

نصرنا وآوينا النبى محمداً ... على أنف راض من معد وراغم

بحى حريد أصله وثراؤه ... بجابية الجولان وسط الأعاجم[11]

---

(١) الموت مكتنع: دان قريب. وحلية: اسم موضع تنسب إليه الأسود. والأرساغ: جمع رسغ وهو موضع مربط القيد. وفدع: اعوجاج إلى ناحية.

(٢) عفوا: أى من غير طلب ولا مشقة. (٣) السلع: نبات مسموم.

(٤) صنع: صانع ماهر يتقن ما يصنعه ويحسن عمله. (٥) شمعوا: هزلوا، وأصل الشمع الطرب واللهو.

(٦) المواسم: جمع موسم وهو المكان الذى يجتمع فيه الناس مرة كل سنة مثل موسم الحج.

(٧) دارم: من بنى تميم.

(٨) المعلمين: الذين يعلمون نفسهم بعلامة يعرفون بها ليطلع الناس على بلائهم فى الحرب. وانتخوا: تكبروا وأعجبوا بأنفسهم. والأصيد: المتكبر الذى يلوى عنقه يميناً وشمالاً. والمتفاقم: المتعاظم.

(٩) المرباع: ربع الغنيمة، وهو نصيب الرئيس. ونجد: أراد به ما ارتفع وعلا من الأرض.

(١٠) العود: القديم، والذى يتكرر على الزمان، والندى: الكرم والعطاء. والعظائم: جمع عظيمة.

(١١) حى حريد: منفرد لا يختلط بغيره لعزته، وجابية الجولان: موضع بالشام.

نصرناه لما حل وسط ديارنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينا دونه وبناتنا ... وطبنا له نفسا بفيء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا ... على دينه بالمرهفات الصوارم[١]
ونحن ولدنا من قريش عظيمها ... ولدنا نبي الخير من آل هاشم[٢]
بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم[٣]
هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول ما بين ظئر وخادم[٤]
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ... ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجم[٥]

**إسلام الوفد:** قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى له[٦]، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا. فلما فرغ القوم أسلموا، وجوزهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم[٧].

**شعر ابن الأهتم في هجاء قيس:** وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم[٨]، وكان أصغرهم سنا، فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجل منا في رحالنا، وهو غلام حدث، وأزرى به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيس قال ذلك يهجوه:

ظَلِلت مفترش الهلباء تشتمني ... عند الرسول فلم تصدق ولم تصب[٩]
سدناكم سُودداً رهواً وسوددكم ... باد نواجذه مقع على الذنب[١٠]

قال ابن هشام: بقي بيت واحد تركناه، لأنه أقذع فيه.

---

(١) المرهفات الصوارم: أراد السيوف المحددة القاطعة.
(٢) ولدنا نبي الخير: ذلك لأن أم عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ كانت من بني النجار.
(٣) الوبال: الهلاك.
(٤) هبلتم: فقدتم، تريد الدعاء عليه بالفقدان، والظئر: التي ترضع ولد غيرها وهي تأخذ على ذلك أجراً. والخادم: يقال للذكر والأنثى.
(٥) الند: هو المثل والشبيه.
(٦) لمؤتى له: أي موفق.
(٧) الجوائز: العطايا.
(٨) ظهرهم: إبلهم.
(٩) الهلب والهلباء: شعر الذنب، وقد استعير للإنسان.
(١٠) رهوًا: متسعاً. والنواجذ: الأسنان. ومقع على الذنب: هو من قولهم أقعى الكلب، إذا جلس على أليتيه وضم ساقيه وجعل ذنبه خلفه، ويريد هنا مؤخرته.

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾[1].

## قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بنى عامر

**رؤساء الوفد:** وقدم على رسول الله ﷺ وفد بنى عامر، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم.

**عامر يدبر الغدر بالرسول:** فقدم عامر بن الطفيل عدو الله، على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: ياعامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش: ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل، فإنى سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف[2]؛ فلما قدموا على رسول الله ﷺ، قال عامر بن الطفيل: يا محمد، خالنى[3]، قال: «**لا والله حتى تؤمن بالله وحده**». قال: يا محمد خالنى. وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يحير شيئا؛ قال: فلما رأى عامر ما يصنع أربد، قال: يا محمد خالنى قال: «**لا، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له**»، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا: فلما ولى قال رسول الله ﷺ، «**اللهم اكفنى عامر بن الطفيل**» فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لاربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك. وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا. قال: لا أبالك؛ لا تعجل على، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟

**موت عامر بدعاء الرسول عليه:** وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول، فجعل يقول: يا بنى عامر، أغدة[4] كغدة البكر فى بيت امرأة

---

(١) إسناده مرسل. فقد رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ١١٥-١٢٠) والآية من سورة الحجرات: ٤.

(٢) فاعله بالسيف: يريد اقتله.

(٣) خالنى: معناه تفرد لى خالياً حتى أحدثك على انفراد.

(٤) الغدة: داء يصيب البعير فى حلقه فيموت فيه، وهو شبيه بالذبحة التى تصيب الإنسان. والبكر: الفتى من الإبل. وسلول: قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة.

من بني سلول؟![1]

قال ابن هشام: ويقال أغدة كغدة الإبل، وموتا في بيت سلولية.

**موت أربد بصاعقة:** قال ابن إسحاق: **ثم خرج أصحابه** حين واروه، حين قدموا أرض بني عامر شاتين؛ فلما قدموا **أتاهم قومهم فقالوا:** ما وراءك يا أربد؟ قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة **شيء لوددت أنه** عندي الآن، فأرميه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة، فأحرقتها. وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه.

**ما نزل في عامر وأربد:** قال ابن هشام: وذكر[2] زيد بن أسلم، عن عطاء ابن يسار، عن ابن عباس قال: وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد: **﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾**. إلى قوله: **﴿ومالهم من دونه من وال﴾**.

قال: المعقبات: هي من أمر الله يحفظون محمدا، ثم ذكر أربد وما قتله الله به، فقال: **﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾** إلى قوله: **﴿شديد المحال﴾**[3].

**شعر لبيد في بكاء أربد:** قال ابن إسحاق: فقال لبيد يبكي أربد:

ما إن تُعدِّى المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد[4]
أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والأسد
فعين هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام النساء في كبد[5]
إن يشغبوا لا يبال شغبهم ... أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو أريب وفي حلاوته ... مر لطيف الأحشاء والكبد[6]

---

(١) إسناده معضل. وذكره الحافظ ابن كثير في«البداية والنهاية»(٥/ ٥٦ـ٥٧)عن ابن إسحاق. قلت: روى البخاري (٧/ ٣٨٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ بعث خاله ـ أخ لأم سُليم ـ في سبعين راكبًا وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خيَّرَ بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المَدَر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف. فطُعن عامرٌ في بيت امرأة من آل بني فلان».
قال ابن الحافظ ابن حجر: الغدة بضم المعجمة من أراض الإبل وهو طاعونها. قوله:(في بيت امرأة من آل فلان) بينها الطبري في حديث سهل بن سعد فقال:(امرأة من آل سلول). اهـ. قلت: وحديث سهل بن سعد الذي أشار إليه الحافظ أخرجه الطبراني في«الكبير»(٦/ ١٢٥ـ١٢٦)(ح٥٧٢٤)، وقال الهيثمي في«المجمع» (٦/ ١٢٦، ٨/ ٥٨) رواه الطبراني وفيه عبد المهيمن بن عباس وهو ضعيف.

(٢) هذا الحديث الذي علقه ابن هشام قد رواه الطبراني موصولاً في«الكبير»(١٠/ ٣٧٩ـ٣٨١) وفي«الأوسط» (٢٩٧ـ٢٩٨) مجمع البحرين بنحوه، وقال الهيثمي في«المجمع»(٧/ ٤٢) رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف. اهـ.

(٣) الرعد: ٨ـ ١٣.

(٤) تعدى: أراد به تترك وتتجاوز.

(٥) الكبد: الجهد والمشقة.

(٦) الأريب: العاقل.

وعين هلا بكيت أربد إذ ألوت رياح الشتاء بالعضد
وأصبحت لاقحا مصرَّمة حتى تجلت غوابر المُدد[1]
أشجع من ليث غابةٍ لحم ذو نهمة فى العلا ومنتقد[2]
لا تبلغ العين كل نَهمتها ليلة تمسى الجياد كالقِدد[3]
الباعث النوح فى مآتمه مثل الظباء الأبكار بالجَرد[4]
فجعنى البرق والصواعق بالـ ـفارس يوم الكريهة النجد[5]
والحارب الجابر الحريب إذا جاء نكيبا وإن يَعُد يعد[6]
يعفو على الجهد والسؤال كما ينبت غيث الربيع ذو الرصد[7]
كل بنى حرة مصيرهم قُلٌّ وإن أكثرتْ من العدد[8]
إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا يوما فهم للهلاك والنفد[9]

قال ابن هشام: بيته: «والحارب الجابر الحريب» عن أبى عبيدة، وبيته: «يعفو على الجهد»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضا يبكى أربد:

ألا ذهب المحافظ والمحامى ومانع ضيمها يوم الخصام[10]
وأيقنت التفرق يوم قالوا تقُسِّم مال أربد بالسهام
تطير عدائد الأشراك شفعا ووترا والزعامة للغلام[11]
فودع بالسلام أبا حُريز وقلْ وداع أربد بالسلام
وكنت إمامنا ولنا نظاما وكان الجزع يحفظ بالنظام[12]

---

(١٥) المصرمة: التى لا لبن لها. والغوابر: البقايا.
(٢) لحم: كثير الأكل للحم. وذو نهمة: أى له ولوع وحب فى بلوغ غاية الشىء.
(٣) القدد: جمع قدة، وهى الشراك الذى يقطع من الجلد.
(٤) المآتم: جمع مأتم، وهو جماعة النساء يجتمعن فى خير أو شر. والجرد: الأرض التى لا نبات فيها.
(٥) النجد: الشجاع.
(٦) الحارب: السالب. والحريب: المسلوب. والنكيب: المنكوب الذى أصابته نكبة.
(٧) الجهد: المشقة، يريد أنه يعطى ويكثر عطاؤه مع المشقة. والرصد: الكلأ القليل.
(٨) قل: أى قليل.
(٩) يغبطوا: هو من الغبطة، وهو كناية عن حسن حالهم حتى يغبطهم الناس. ويهبطوا: تغير أحوالهم. وأمروا: كثروا. والنفد: انقطاع الشى وزواله.
(١٠) الضيم: الذل. (١١) الزعامة: أفضل المال المورث.
(١٢) الجزع: الخرز اليمانى.

وأربد فارس الهيجا إذا ما تقعرت المشاجر بالفئام[١]
إذا بكر النساء مردفات حواسر لا يُجئن على الخدام[٢]
فواءل يوم ذلك من أتاه كل وأل المحل إلى الحرام
ويحمد قدر أربد من عراها إذا ما ذم أرباب اللحام[٣]
وجارته إذا حلت لديه لها نفل وحظ من سنام[٤]
فإن تقعد فمكرمة حصان وإن تظعن فمحسنة الكلام[٥]
وهل حدثت عن أخوين داما على الأيام إلا ابنى شمام[٦]
وإلا الفرقدين وآل نعش خوالد ما تحدث بانهدام[٧]

قال ابن هشام: وهى فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضا يبكى أربد:

انع الكريم للكريم أربدا انع الرئيس واللطيف كبدا[٨]
يحذى ويعطى ماله ليحمدا أدما يشبهن صُوارا أبدا[٩]
السابل الفضل إذا ما عُددا ويملأ الجفنة ملئا مددا
رِفها إذا يأتى ضريك وردا مثل الذى فى الغيل يقرو جمدا[١٠]
يزداد قربا منهم أن يوعدا أورثتنا تراث غير أنكدا[١١]
غِبا ومالا طارفا وولدا شرخا صقوراً يافعا وأمردا[١٢]

وقال لبيد أيضا:

لن تُفنيا خيـــــرات أر بِد فابكيا حتـــــى يعوداً

(١) الهيجا: من أسماء الحرب. وتقعرت: سقطت من أصلها كما تتقعر النخلة. والمشاجر: ضرب من الهوادج.
(٢) حواسر: كاشفات عن وجوههن. ولا يجئن: هو من قولهم: أجأت على ثوبى إذا غطيته.
(٣) اللحام: جمع لحم. (٤) النفل: العطية. والسنام: أعلى ظهر البعير.
(٥) الحصان: العفيفة التى لا يتعرض لها. وتظعن: ترحل. (٦) ابنا شمام: جبلان.
(٧) الفرقدان: نجمان نيران. وآل نعش: يقصد بنات نعشى. الكبرى والصغرى: مجموعات من النجوم.
(٨) النعى: الإخبار بالموت.
(٩) يحذى: يعطى. والأدم: الإبل البيض. والصور: جماعة بقر الوحش. وأبدا: نافرة.
(١٠) رفهًا: أى يفعل ذلك دائماً كل يوم. والضريك: الفقير. والذى فى الغيل: هو الأسد. ويقرو: يتتبع. وجمداً: اسم جبل.
(١١) يوعد: يهدد. والتراث: الميراث.
(١٢) الطارف: المال المحدث. والشرخ: الشباب. واليافع: الذى قارب الحلم.

قولا هــــو البطـــــــل المحا مى حين يكسون الحديدا
ويصـــــــــــد عنا الظالميـ ـن إذا لقينا القوم صيدا[١]
فاعتاقـــــــــــه رب البريـــــ ـة إذا رأى أن لا خلودا[٢]
فثوى ولم يوجــــــع ولم يوصب وكان هو الفقيدا[٣]

وقال لبيد أيضا:

يذكرنى بأربد كل خصم ألد تخال خطته ضرار[٤]
إذا اقتصدوا فمقتصد كريم وإن جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلعا إذا ما دليل القوم بالموماة حارا[٥]

قال ابن هشام: آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضا:

أصبحت أمشى بعد سلمى بن مالك وبعد أبى قيس وعروة كالأجـب[٦]
إذا ما رأى ظل الغراب أضـــــجه حذاراً على باقى السناسن والعصب[٧]

قال ابن هشام: وهذان البيتان فى أبيات له.

## قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق: وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلا منهم، يقال له ضمام بن ثعلبة.

**إسلامه**: قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب، مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس، قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسوله الله ﷺ فى أصحابه،وكان ضمام رجلا جلدا أشعروا غديرتين[٨]، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فى أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: **«أنا ابن عبد المطلب»**. قال: أمحمد؛ قال: **«نعم»**؛ قال: يا بن عبد المطلب، إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسئلة، فلا تجدن فى

(١) الصيد: جمع أصيد وهو المتكبر.
(٢) إعتاقه: منعه من بلوغ أمله.
(٣) لم يوصب: أى لم يصبه وصب، وهو الألم.
(٤) الضرار: هو الضر.
(٥) الموماة: الفقير.
(٦) الأجب: البعير المقطوع السنام.
(٧) أضجه: جعله يضج. والضجيج: الصياح. والسناسن: عظام الظهر وهى فقاره.
(٨) الغديرتان: الذؤابتان من شعر، والعقيصتان: المضفورتان من الشعر أيضاً.

نفسك، قال: «**لا أجد فى نفسى، فسل عما بدالك**»، قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله بعث إلينا رسولا؟ قال: «**اللهم نعم**»؛ قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئا، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «**اللهم نعم**»، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس؟ قال: «**اللهم نعم**» قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة منها، كما ينشده فى التى قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنى أشهد ألا لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله؛ وسأؤدى هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتنى عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعا. قال: فقال رسول الله ﷺ: إن صدق ذو العقيصتين ودخل الجنة.

**دعوة قومه للإسلام:** قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه. فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى! قالوا: مه يا ضمام، اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون! قال: ويلكم! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولا، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه. قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما.

قال: يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[1].

## قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس.

قال ابن هشام: الجارود بن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا.

**إسلامه:** قال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم، عن الحسن، قال: لما انّتهى إلى

(١) إسناده حسن. ورواه أحمد(١/ ٢٦٤ـ٢٦٥) وأبو داود(٤٨٧) والحاكم(٣/ ٥٤ـ٥٥) من طريق ابن إسحاق. وحسنه الألبانى فى«صحيح سنن أبى داود»(١/ ٩٧) قلت: وأصل قصة ضمام بن ثعلبة فى البخارى(١/ ١٤٨ـ١٤٩) ومسلم(١٠٢) من حديث أنس بن مالك.

رسول الله ﷺ كلمه؛ فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، ورغبه فيه، فقال: يا محمد، إنى قد كنت على دين، وإنى تارك دينى لدينك، أفتضمن لى دينى؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه. قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان، فقال: والله ما عندى ما أحملكم عليه. قال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس: أفنتبلغ عليها بلادنا؟ قال: لا، إياك وإياها، فإنما تلك حرق النار.

**موقفة من ردة قومه:** فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه، وكان حسن الإسلام، صلبا على دينه، حتى هلك وقد أدرك الردة، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور[1] بن المنذر بن النعمان بن المنذر، قام الجارود فتكلم، فتشهد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأكفر من لم يشهد.

قال ابن هشام: ويروى: وأكفى من لم يشهد.

**إسلام المنذر بن ساوى:** قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى، فأسلم فحسن إسلامه، ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة أهل البحرين، والعلاء عنده أميراً لرسول الله ﷺ على البحرين.[2]

## قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بنى حنيفة، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب.

قال ابن هشام: مسيلمة بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة.

قال ابن إسحاق: فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بنى النجار، فحدثنى بعض علمائنا من المدينة: أن بنى حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه. معه عسيب من سعف النخل، فى رأسه خوصات؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، وهم يسترونه بالثياب، كلمه

---

(١) قال السهيلى: «إنما سمى الغرور لأنه غر قومه فى تلك الردة، أو غروه واستعانوا به على حربهم فقتل هنالك».

(٢) إسناده مرسل ضعيف، فقد رواه ابن إسحاق عن الحسن بن دينار عن الحسن البصرى كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/١٣٦) والحسن بن دينار ضعيف كما فى «الكامل» لابن عدى (٢/٢٩٦) و«تهذيب التهذيب» (٢/٢٤٠) والميزان (١/٤٨٧).

وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «**لو سألتنى هذا العسيب**[1] **ما أعطيتكه**»[2].

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا، زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: أما إنه ليس بشركم مكانا؛ أى لحفظه ضيعة أصحابه، وذلك الذى يريد رسول الله ﷺ.

**تنبؤ مسيلمة**: قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ: وجاؤوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم، وقال: إنى قد أشركت فى الأمر معه. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له: أما إنه ليس بشركم مكانا، ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: «لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمه تسعى، من بين صفاق وحشى». وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبى، فأصفقت معه حنيفة على ذلك،[3] فالله أعلم أى ذلك كان.

## قدوم زيد الخيل فى وفد طيىء

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء، فيهم زيد الخيل، وهو

---

(١) العسيب: جريد النخل.

(٢) إسناده فيه جهالة فقد رواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٣٧) عن ابن إسحاق قال: حدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة. قلت: وقد روى البخارى فى كتاب المغازى، باب: وفد بنى حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال(٨/ ٨٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:«قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته. وقدمها فى بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ـ وفى يد رسول الله ﷺ قطعة جريد ـ حتى وقف مسيلمة فى أصحابه، فقال:«**لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنَّك الله. وإنى لأراك الذى أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابتٌ يجيبك عنى، ثم انصرف عنه**».

(٣) هذه الرواية ضعيفة، فى إسنادها جهالة، ورواها الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٣٧) من طريق ابن إسحاق وقال الحافظ فى«الفتح»(٨/ ٨٩) وسياق هذه القصة ـ يعنى قصة ابن عباس التى رواها البخارى ـ يخالف ما ذكره ابن إسحاق أنه قدم مع وفد قومه وأنهم تركوه فى رحالهم يحفظها لهم، وذكروه لرسول الله ﷺ وأخذوا منه جائزته، وأنه قال لهم: إنه ليس بشركم وإن مسيلمًا لما ادعى أنه أُشرك فى النبوة مع رسول الله ﷺ احتج بهذه المقالة، وهذا مع شذوذه ضعيف السند لانقطاعه، وأمر مسيلمة كان عند قومه أكثر من ذلك فقد كان يقال له رحمان اليمامة لعظم قدره فيهم، وكيف يلتئم هذا الخبر الضعيف مع قوله فى هذا الحديث الصحيح أن النبى ﷺ اجتمع به وخاطبه وصرح له بحضرة قومه أنه لو سأله القطعة الجريدة ما أعطاه.

سيدهم، فلما انتهوا إليه كلموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام، فأسلموا، فحسن إسلامهم، وقال رسول الله ﷺ، كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيىء؛ ما ذكر لى رجل من العرب بفضل، ثم جاءنى، إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل: فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه، ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له فيدا[١] وأرضين معه؛ وكتب له بذلك. فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا إلى قومه؛ فقال رسول الله ﷺ: **«إن ينج زيد من حمى المدينة»** فإنه قال: قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى، وغير أم ملدم[٢] فلم يثبته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له فردة، أصابته الحمى بها فمات، ولما أحس زيد بالموت قال:

أمرتحل قومى المشارق غـــدوة ... وأترك فى بيت بفردة منجـــد[٣]

ألا رب يوم لو مرضت لعادنى ... عوائد من لم يبر منهن يجهد

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه، التى قطع له رسول الله ﷺ، فحرقتها بالنار. [٤]

## قدوم عدى بن حاتم

وأما عدى بن حاتم فكان يقول، فيما بلغنى: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى، أما أنا فكنت امرءاً شريفا وكنت نصرانيا، وكنت أسير فى قومى بالمرباع فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومى، لما كان يصنع بى. فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لى عربى، راعيا لإبلى: لا أبا لك، أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا[٥] سمانا، فاحتبسها قريبا منى، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى، ففعل، ثم إنه أتانى ذات غداة، فقال: يا عدى. ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعه الآن، فإنى قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: فقلت:

(١) فيد: اسم أرض. (٢) أم ملدم: اسم من أسماء الحمى.

(٣) بيت منجد: أى فى أرض نجد، ونجد: أعلى الحجاز.

(٤) هذه الرواية ضعيفة فقد ذكرها ابن إسحاق بدون إسناد، وذكرها هشام بن الكلبى بإسناد مجهول كما قال الحافظ فى «الإصابة»(١/ ٥٧٣) قلت: وقد ورد ذكر زيد الخيل فى حديث أبى سعيد الخدرى قال: بعث على ابن أبى طالب رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذُهيبة فى أديم مقروظ لم تحصَّلْ من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل... الحديث. رواه البخارى(٨/ ٦٧) ومسلم(٢٤١٢، ٢٤١٣) وأبو داود(٤٧٦٤) والنسائى(٨٧٥).
وقال الحافظ فى«الفتح»: قيل له زيد الخيل لكرائم الخيل التى كانت له وسماه النبى ﷺ زيد الخير بالراء بدل اللام وأثنى عليه فأسلم فحسن إسلامه ومات فى حياة النبى ﷺ.

(٥) ذللاً: جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذى قد ارتاض.

فقرب إلى أجمالى، فقربها، فاحتملت بأهلى وولدى، ثم قلت: ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام؛ فسلكت الجوشية[1]، ويقال: الحوشية فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر؛ فلما قدمت الشام أقمت بها.

**أسر الرسول ابنة حاتم:** وتخالفنى خيل لرسول الله ﷺ، فتصيب ابنة حاتم، فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام، قال: فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد، كانت السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد فامنن على من الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدى بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى، حتى إذا كان من الغد مر بى، فقلت له مثل ذلك، وقال لى مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه، قالت: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك؛ فقال ﷺ: قد فعلت، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنينى. فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أكلمه، فقيل: على بن أبى طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتى أخى بالشام. قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومى، لى فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكسانى رسول الله ﷺ، وحملنى، وأعطانى نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدى: فوالله إنى لقاعد فى أهلى، إذ نظرت إلى ظعينة[2] تصوب إلى تؤمنا، قال: فقلت ابنة حاتم، قال: فإذا هى هى، فلما وقفت على انسلحت[3] تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك، قال: قلت: أى أخية، لا تقولى إلا خيرا، فوالله مالى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندى، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا ترين فى أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذل فى عز اليمن، وأنت أنت، قال: قلت: والله إن هذا الرأى.

---

(١) الجوشية: موضع بين نجد والشام.

(٢) الظعينة: المرأة فى هودجها. وتصوب إلى: تقبل نحوى. وتؤمنا: تقصدنا.

(٣) انسلحت: أخذت تلوم.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، وهو فى مسجده، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدى بن حاتم؛ فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بى إلى بيته، فوالله إنه لعامد بى إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها؛ قال: قلت فى نفسي: والله ما هذا بملك؛ قال: ثم مضى بى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بى بيته، تناول وسادة من أدم محشوة ليفا، فقذفها إلى؛ فقال: اجلس على هذه، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها. فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض؛ قال: قلت فى نفسى: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه ياعدى بن حاتم! ألم تك ركوسيا[1]؟ قال: قلت: بلى، قال: أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع[2]؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك؛ قال قلت: أجل والله، وقال: وعرفت أنه نبى مرسل، يعلم ما يجهل؛ ثم قال: لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ماترى من كثرة عدوهم وقله عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لاتخاف؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم؛ قال: فأسلمت.

وكان عدى يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكون الثالثة، ليفيض المال حتى لا يوجد من يؤخذه.[3]

## قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق: وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله ﷺ مفارقا لملوك كندة، ومباعداً لهم، إلى رسول الله ﷺ.

وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة؛ أصابت فيها همدان من مراد ما

---

(١) الركوسية: قوم لهم دين بين النصارى والصابئين. (٢) المرباع: ربع الغنيمة

(٣) إسناده ضعيف، فقد رواه ابن إسحاق عن شيبان بن سعيد الطائى كما فى «تاريخ الطبرى»(٣/ ١١٢) وشيبان هذا ذكره ابن حبان فى«الثقات»(٤/ ٣٦٧) وقال: شيخ يروى عن عدى بن حاتم روى عنه محمد بن إسحاق بن يسار إن كان سمع منه. اهـ. وقد حدَّث شيبانٌ بهذا الحديث بلاغًا فقال: كان عدى بن حاتم طِئْ يقول فيما بلغنى.. فذكره.

أرادوا؛ حتى أثخنوهم[1] فى يوم كان يقال له: يوم الردم، فكان الذى قاد همدان إلى مراد: الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم.

قال ابن هشام: الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حريم الهمدانى.

قال ابن إسحاق: وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك:

مررنا على لفاة وهنَّ خوص ... ينازعن الأعنة ينتحينا[2]
فإن نَغلب فغلابون قُدما ... وإن نغلب فغير مغلبينا
وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا وطعمة آخرينا[3]
كذلك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حينا فحينا[4]
فبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لبُست غضارته سنينا[5]
إذ انقلبت به كرات دهر ... فألقت الألى غبطوا طحينا[6]
فمن يغبط بريب الدهر منهم ... يجد ريب الزمان له خئونا
فلو خلد الملوك إذن خلدنا ... ولو بقى الكرام إذن بقينا
فأننى ذلكم سروات قومى ... كما أفنى القرون الأولينا[7]

قال ابن هشام: أول بيت منها، وقوله: «فإن نغلب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ولما توجة فروة بن مُسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقا للملوك كندة، قال:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرَّجل خان الرجل عرق نسائها[8]
قربت راحلتى أؤم محمـــداً ... أرجو فواضلها وحســن ثـــرائها[9]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عبيدة: «أرجو فواضله وحسن ثنائها».

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ، فيما بلغنى: يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك! فقال رسول الله ﷺ: أما

(١) أثخنوهم: أكثروا فيهم القتل.
(٢) لُفاة: اسم موضع. وخوص: جمع خوصاء وهى الغائرة العين. وينتحين: يعترضن.
(٣) الطب ههنا: العادة، يقول: ليست عادتنا الجبن والفزع.
(٤) دولته سجال: أى تكون تارة للإنسان وتارة عليه. وأصله من المساجلة وهى أن يفعل مثل ما يفعل صاحبه.
(٥) غضارة الشىء: طراوته ونعومته. (٦) الألى: أى الذين. وغبطوا: استحسنت حالهم.
(٧) سروات القوم: أشرافهم. (٨) النسا: عرق مستبطن فى الفخد يمتد من الورك إلى الكعب.
(٩) أؤم: أقصد. وثرائها: يعنى به الجود والعطية.

إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً.

واستعمله النبى ﷺ على مراد وزبيد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ.[1]

## قدوم عمرو بن معد يكرب فى اناس من بنى زبيد

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد، فأسلم؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادى، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز، يقو إنه نبى، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول، فإنه لن يخفى عليك، وإذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه قيس ذلك، وسفه رأيه، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله ﷺ، فأسلم، وصدقه، وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً، وتحطم عليه، وقال: خالفنى وترك رأيى فقال عمرو بن معد يكرب فى ذلك:

أمرتك يوم ذى صنعا ... ء أمراً باديا رشده[2]
أمرتك باتقاء الله ... والمعـــروف تتعده
خرجت من المنى مثل الـ ... حميـــر غره وتده
تمنـــانى على فرس ... عليه جـــالسا أسده
على مفاضة كالنهـ ... ى أخلص ماءه جدده[3]
ترد الرمح منثنى السـ ... نان عوائراً قصده[4]
فلو لاقيتنى للقيـ ... ـت ليثا فوقه لبده[5]
تلاقى شنبثا شثن الـ ... برائن ناشزاً كتده[6]
يسامى القرن إن قرن ... تيمـــمه فيعتضـــده[7]

---

(١) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ١٣٤).

(٢) ذو صنعاء: اسم موضع.

(٣) المُفاضة: الدرع الواسعة. والنهى: الغدير. والجدد: الأرض الصلبة.

(٤) عوائر: أى متطايرة. والقصد: جمع قصدة، وهو ما تكسر من الرمح.

(٥) اللبد: هى ما على كتفى الأسد من الشعر.

(٦) الشنبث: الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله. وشثن: أى غليظ الأصابع. والبرائن: جمع برثن، وهو للسبع بمنزلة الأصابع للإنسان. وناشزاً: مرتفعا. والكتد: ما بين الكتفين.

(٧) يسامى القرن: يعلوه ويرتفع عليه، والقرن الذى ينازلك فى الشجاعة. وتيممه: قصده. ويعتضده: يجعله تحت عضده، أى يفوقه ويتغلب عليه.

فيأخـــــذه فيرفعـــــه فيخفضه فيقتصـــده[1]

دمـــــغه فيحطـــمه فيخضمه فيزدرده[2]

ظلوم الشرك فيما أحـ رزت أنيابه ويده

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عبيدة:

أمرتك يوم ذى صنعا ء أمـــــراً بينا رشده

أمرتك بإتقاء الله تأتيـــــه وتتعده

فكنت كذى الحمير ره مـــــا به وتده

**ارتداد عمرو بعد موت الرسول:** قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معد يكرب وقال حين ارتد:

وجدنا ملك فروة شر ملك حماراً ساف منخـــره بـــثفر[3]

وكنت إذا رأيت أبا عميـــر ترى الحولاء[4] من خبث وغـــدر[5]

قال ابن هشام: قوله بشفر، عن أبى عبيدة.

## قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس، فى وفد كندة فحدثنى الزهرى بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ فى ثمانين راكبا من كندة، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده، وقد رجلوا جُممهم[6] وتكحلوا، وعليهم جبب[7] الحبرة، وقد كففوها بالحرير[8]، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: ألم تسلموا؟ قالوا. بلى، قال: فما بال هذا الحرير فى أعناقكم، قال: فشقوه منها، فألقوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله: نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل

(١) يقتصده: يقتله. (٢) يدمغه: يخرج دماغه. ويحطمه: يكسره. ويخضمه: يأكله. ويزدرده: يبتلعه.
(٣) ساف: شم. والثفر فى البهائم بمنزلة الرحم فى الإنسان.
(٤) الحولاء: الجلدة التى يخرج فيها ولد الناقة.
(٥) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ١٣٢) وفى قدوم عمرو بن معد يكرب على النبى ﷺ خلاف. فقد قال ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٥/ ٧٢) قال يونس: عن ابن إسحاق وقد قيل إن عمرو بن معد يكرب لم يأت النبى ﷺ. اهـ. وقال الحافظ فى «الإصابة» (٣/ ١٨) قال الخطيب فى «المتفق والمفترق» يقال إن له وفادة وقيل لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما قدم المدينة بعد وفاته وحضر القادسية وأبلى فيها.
(٦) رجلوا جممهم: يريد مشطوا شعورهم وسرحوها.
(٧) الجبب: جمع جبة، وهى ضرب من الثياب. والحبرة: ضرب من برود اليمن ذو خطوط.
(٨) كففوها: أى طرزوا حروفها.

المرار، قال فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكان إذا شاعا[1] فى بعض العرب، فسئلا ممن هما، قالا: نحن بنو آكل المرار، يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكا. ثم قال لهم: لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا[2]، ولا نتفى من أبينا، فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يا معشر كندة؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين.[3]

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء، وآكل المرار: الحارث بن عمرو بن حجر بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندى، ويقال كندة، وإنما سمى آكل المرار، لأن عمرو بن الهبولة الغسانى أغار عليهم، وكان الحارث غائبا، فغنم وسبى، وكان فيمن سبى أم أناس بنت عوف بن محلم الشيبانى، امرأة الحارث بن عمرو فقالت لعمرو فى مسيره: لكأنى برجل أدلم[4] أسود، كأن مشافره مشافر بعير آكل مرار[5] قد أخذ برقبتك، تعنى الحارث، فسمى آكل المرار، والمرار: شجر. ثم تبعه الحارث فى بنى بكر بن وائل، فلحقه، فقتله، واستنقذ امرأته، وما كان أصاب. فقال الحارث بن حلزة اليشكرى لعمرو بن المنذر، وهو عمرو بن هند اللخمى.

وأقدناك رب غسان بالمنذر كرها إذ لا تكال الدماء

لأن الحارث الأعرج الغسانى قتل المنذر أباه، وهذا البيت فى قصيدة له. وهذا الحديث أطول مما ذكرت، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القطع: ويقال بل آكل المرار: حُجر بن عمرو بن معاوية، وهو صاحب هذا الحديث، وإنما سمى آكل المرار، لأنه أكل هو وأصحابه فى تلك الغزو شجرا يقال له المرار.

## قدوم صرد بن عبد الله الأزدى مسلما

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدى، فأسلم، وحسن إسلامه فى وفد من الأزد، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه. وأمره أن يجاهد بمن

---

(١) إذا شاعا: بعدا (٢) لا نقفوا أمنا: لا نتبعها فى نسبها لأن نسب الرجل إلى أبيه لا إلى أمه.

(٣) إسناده مرسل. ورواه أحمد بسند صحيح بنحوه(٥/ ٢١١، ٢١٢) موصولاً عن الأشعث بن قيس قال: أتيت رسول الله ﷺفى وفد لايرون أنى أفضلهم فقلت يارسول الله إنا نزعم أنكم منا، قال نحن بنو النضر بن كنانة لانقفوا أمنا ولا ننتفى من أبينا، قال فكان الأشعث يقول: لا أوتى برجل نفى قريشًا من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد، ورواه ابن ماجه(٢٦١٢) والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٤/ ١/ ٢٧٤)وابن سعد فى«الطبقات» (١/ ٢٣).

(٤) الأدلم: المسترخى الشفتين.

(٥) المشافر: جمع مشفر وهى للبعير كالشفة للإنسان، والمراد نبات إذا أكلته الإبل ارتفعت مشافرها وتقبضت لمرارة هذا النبات.

أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قبل اليمن.

**قتاله أهلى جرش:** فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل بجرش، وهى يومئذ مدينة معلقة، وبها قبائل اليمن، وقد ضوت[١] إليهم خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريبا من شهر، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم قافلا، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما، فخرجوا فى طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقتلهم قتلا شديدا.

**إخبار الرسول بما حدث:** وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبيناهما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأى بلاد الله شكر؟ فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كشر؛ وكذلك يسميه أهل جرش، فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شكر؛ قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: إن بدن الله لتنحر عنده الآن، قال: فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما! إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: اللهم ارفع عنهم، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر.

**إسلام أهل جرش:** وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة وللمثيرة[٢]، وبقرة الحرث، فمن رعاه من الناس فماله[٣] سحت: فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد. وكانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية، وكانوا يعدون فى الشهر الحرام:

يا غزوة ماغزونا غير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميراً فى مصانعها ... وجمع خثعم قد شاعت لها النذر[٤]
إذا وضعت غليلا كنت أحمله ... فما أبالى أدانوا[٥] بعد أم كفروا[٦]

(١) ضوت: انضمت ولجأت واتصلت بهم.
(٢٥) المثيرة: تسمى البقرة بذلك لأنها تقلب الأرض قال الله تعالى: ﴿تثير الأرض ولا تسقى الحرث﴾ وذلك فى وصف بقرة بنى إسرائيل.
(٣) ماله سحت: حرام لا يحل له أن يأكله.
(٤) المصانع: مواضع تصنع بالحجارة لحبس الماء. وشاعت: انتشرت. والنذر: جمع نذير.
(٥) الغليل: حرارة الجوف. ودانوا: خضعوا.
(٦) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ١٣٠).

## قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير، مقدمه من تبوك، ورسولهم إليه بإسلامهم، الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال. والنعمان قيل ذى رُعين[١] ومعافر وهمدان؛ وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم، ومفارقتهم الشرك وأهله.

**كتاب الرسول إليهم:** فكتب إليهم رسول الله ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله النبى، إلى الحارث بن عبد كلال، وإلى نعيم بن عبد كلال، وإلى النعمان، قيل ذى رعين ومعافر وهمدان. أما بعد ذلكم، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به، وخبرنا ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهداه، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خمس الله، وسهم الرسول وصفيه[٢]، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار[٣]، عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب[٤] نصف العشر؛ وأن فى الإبل الأربعين ابنة لبون، وفى ثلاثين من الإبل ابن لَبُون ذكر، وفى كل خمس من الإبل شاة وفى كل عشر من الإبل شاتان، وفى كل أربعين من البقرة بقرة؛ وفى كل ثلاثين من البقرة تبيع، جذع أو جذعة؛ وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة؛ فمن زاد خيراً فهو خير له، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين[٥] على المشركين، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذمة الله وذمة رسوله، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى، فإنه من المؤمنين، له مالهم، وعليه ما عليهم؛ ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها، وعليه الجزية، على كل حال ذكر أو أنثى، حر أو عبد، دينار واف، من قيمة المعافر[٦] أو عوضه ثيابا، أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإنه له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله.

أما بعد، فإن رسول الله محمدا النبى أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا إتاكم

---

(١) القيل: هو الملك، ويقال: بل هو الذى دون الملك الأعلى، وهذا هو الأكثر وسمى بذلك لأنه ذو القول، أى: الذى إذا قال لم يرد أحد قوله.

(٢) الصفى: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل أن تقسم الغنائم.

(٣) العقار: هو ههنا الأرض.

(٤) الغرب: هى الدلو العظيمة.

(٥) ظاهر المؤمنين: عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم.

(٦) المعافر: ثياب من ثياب اليمن.

رسلى فأوصيكم بهم خيرا: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن مرة وأصحابهم. وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم، وأبلغوها رسلى، وأن أميرهم معاذ بن جبل، فلا ينقلبن إلا راضيا.

أما بعد. فإن محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول حمير، وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإن رسول الله هو ولى غنيكم وفقيركم، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل. وأن مالكا قد بلغ الخبر، وحفظ الغيب، وآمركم به خيرا، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم، وآمرك بهم خيراً، فإنهم منظور إليهم. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته[1].

**وصية الرسول معاذا حين بعثه إلى اليمن:** قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث: أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذا، أوصاه وعهد إليه، ثم قال له: يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر[2]، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب، يسئلونك ما مفتاح الجنة؛ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له[3]؛ قال: فخرج معاذ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله، ﷺ، فأتته امرأة من أهل اليمن، فقالت: يا صاحب رسول الله؛ ما حق زوج المرأة عليها؟ قال: ويحك! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت، قالت: والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة. قال: ويحك؟ لو رجعت إليه فوجدته تنثعب منخراه[4] قيحاً ودماً، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه.

## إسلام فروة بن عمرو الجذامى

قال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو النافرة الجذامى، ثم النفاثى، إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من

---

(١) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى «تاريخ الطبرى»(١/ ١٢٠).

(٢) عن أبى بردة قال: بعث النبى ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن فقال: «يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وبشرا ولا تنفرا» رواه البخارى(٨/ ٦٠)، ومسلم(٤٤٤٥)، وأحمد(٤/ ٤١٧)، وأبو داود(٤٣٥٦).

(٣) عن ابن عباس: أن معاذا قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: «**إنك تأتى قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ...**»الحديث. رواه البخارى(٣/ ٢٦١)، ومسلم(١٢١)، وأحمد(١/ ٢٣٣)، وأبو داود(١٥٨٤)، والترمذى(٦٢٥)، والنسائى(٥/ ٢)، وابن ماجه(١٧٨٣).

(٤) تنثعب منخراه: تسيل.

العرب، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام.

**حبس الروم له وشعره ومقتله:** فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه، طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه عندهم، فقال فى محبسه ذلك:

طرقت سليمى موهنا أصحابى ... والروم بين الباب والقروان[1]
صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفى وقد أبكانى[2]
لا تكحلن العين بعدى إثمداً ... سلمى ولاتدين للإتيــــان[3]
ولقد علمت أبا كبيشة أننى ... وسط الأعزة ولا يحص لسانى[4]
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ... ولين بقيت لتعرفن مكانى
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى ... من جودة وشاعـــة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم، يقال له عفراء بفلسطين، قال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلــها ... على ماء عفرا فوق إحدى الرواحل[5]
على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مشـــذبة أطــرافـها بالمناجـــل[6]

فزعم الزهرى بن شهاب، أنهم لما قدموه ليقتلوه. قال:

بلغ ســـراة المسلمين بأننى ... سَلم لربى أعظـــمى ومقامى[7]

ثم ضربوا عنقه، وصلبوه على ذلك الماء، يرحمه الله تعالى.

## إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس، أسلموا. فأسلم الناس، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا.

---

(١) الموهن: ما بعد الساعة من الليل. والقروان: الجماعة وهى كلمة فارسية فى الأصل فعربت.
(٢) اغفى: نام نوماً خفيفاً. (٣) الإثمد: ضرب من الكحل.
(٤) لا يحصى: أى لا يقطع، يريد أنه لا يمنعه أحد الكلام.
(٥) الحليل: الزوج. واحدى الرواحل: أراد بها الخشبة التى صلب عليها.
(٦) مشذبة: قد أزيلت أغصانها. (٧) رواه ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٤/ ٥٣) عن ابن إسحاق.

ثم كتب خالد بن الوليد: إلى رسول الله ﷺ، من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد: يا رسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمت فيهم، وقبلت منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرنى رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركبانا قالوا: يا بنى الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى ﷺ حتى يكتب إلىّ رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبى رسول الله، إلى خالد بن الوليد. سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله. وأن محمدا عبد الله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

**قدوم خالد مع وفدهم على الرسول:** فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحصين ذى الغصة، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادى، وشداد ابن عبد الله القنانى، وعمرو بن عبد الله الصبانى.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم. قال: من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند، قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب؛ فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله، قال رَسول الله ﷺ: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا، فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نعم، يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها

أربع مرار؛ فقال رسول الله ﷺ؛ لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم؛ فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا، قال: فمن حمدتم؟ قالوا: حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله؛ قال: صدقتم. ثم قال رسول الله ﷺ: بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحدا؛ قال: بلى، قد كنتم تغلبونى من قاتلكم؛ قالوا: كنا نغلب من قاتلنا؛ يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحدا بظلم، قال: صدقتم. وأمر رسول الله ﷺ على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين.

فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال؛ أو فى صدر ذى القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفى رسول الله ﷺ، ورحم وبارك، ورضى وأنعم.(1)

**الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهده إليهم**: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم، ليفقههم فى الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمره: بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله، ﴿**يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾(2)، عهد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله فى أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن، ويفقههم فيه وينهى الناس، فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذى لهم، والذى عليهم، ويلين للناس فى الحق، ويشتد عليهم فى الظلم، فإن الله كره الظلم، ونهى عنه، فقال: ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾(3)، ويبشر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته، وما أمر الله به، والحج الأكبر: الحج الأكبر، والحج الأصغر: هو العمرة؛ وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء؛ وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه؛ وينهى إذا كان بين الناس هينج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له؛ فمن لم يدع إلى الله؛ ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف؛ حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له؛ ويأمر الناس

(1) إسناده مرسل. فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى «تاريخ الطبرى» (3/ 126).
(2) المائدة: 1.
(3) هود: 18.

بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله؛ وأمر بالصلاة لوقتها؛ وإتمام الركوع والسجود والخشوع؛ ويغلس بالصبح؛ ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة؛ والمغرب حين يقبل الليل؛ لا يؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء؛ والعشاء أول الليل؛ وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها؛ والغسل عند الرواح إليها؛ وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله؛ وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء؛ وعلى ما سقى الغرب نصف العشر؛ وفى كل عشر من الإبل شاتان، وفى كل عشرين أربع شياه وفى كل أربعين من البقر بقرة: وفى كل ثلاثين من البقر تبيع؛ جذع أو جذعة، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة. فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة فمن زاد خيرا فهو خير له، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها، وعلى كل حالم: ذكر أو أنثى، حر أو عبد، دينار واف أو عوضه ثيابا فمن أدى ذلك، فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منع ذلك، فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا، صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.(1)

---

(1) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ١٢٨)، ورواه موصولاً النسائى (٨/ ٥٧-٥٨)، والدارقطنى (١/ ١٢٢)، والحاكم (١/ ٣٩٥-٣٩٧)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٨٩-٩٠) وفى إسناده سليمان بن أرقم. قال النسائى فى «السنن» بعد إيراده الحديث: سليمان بن أرقم متروك الحديث. اهـ. قلت: وقد وقع عند الدارقطنى والحاكم والبيهقى سليمان بن داود، والصواب أنه ابن أرقم. قال الألبانى فى «الإرواء» (١/ ١٥٨) حديث عمرو بن حزم.. ضعيف فيه سليمان بن أرقم وهو ضعيف جدًا، وقد أخطأ بعض الرواة فسماه سليمان بن داود وهو الخولانى وهو ثقة وبناء عليه توهم بعض العلماء صحته، وإنما هو ضعيف من أجل ابن أرقم هذا». ثم قال الألبانى: وبعد كتابة ما تقدم بزمن بعيد وجدت حديث عمرو بن حزم فى كتاب «فوائد أبى شعيب» من رواية أبى الحسن محمد بن أحمد الزعفرانى، وهو من رواية سليمان بن داود الذى سبق ذكره. ثم روى عن البغوى أنه قال: سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن هذا الحديث، فقال: أرجو أن يكون صحيحًا». اهـ. قلت: قال الزيلعى: فى «نصب الراية» (٢/ ٣٤١-٣٤٢): قال ابن الجوزى فى «التحقيق» قال أحمد بن حنبل رضى الله عنهما: كتاب عمرو بن حزم فى الصدقات صحيح. قال: وأحمد يشير بالصحة إلى هذه الرواية لا لغيرها.. وقال بعض الحفاظ من المتأخرين: ونسخة كتاب عمرو بن حزم تلقاها الأئمة الأربعة بالقبول، وهى متوارثة كنسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهى دائرة على سليمان بن أرقم وسليمان بن داود الخولانى عن الزهرى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده، وكلاهما ضعيف. بل المرجح فى روايتهما سليمان بن أرقم، وهو متروك، لكن قال الشافعي رضى الله عنه فى «الرسالة»: لم يقبلوه حتى ثبت عندهم أنه كتاب رسول الله ﷺ، وقال أحمد رضى الله عنه: أرجو أن يكون هذا الحديث صحيحًا. وقال يعقوب بن سفيان الفسوى: لا أعلم فى جميع الكتب المنقولة أصح منه، كان أصحاب النبى ﷺ والتابعون يرجعون إليه ويدعون آراءهم. انتهى.

## قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

وقدم على رسول الله ﷺ فى هدنة الحديبية، قبل خيبر، رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضُّبيبى، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاما، وأسلم، فحسن إسلامه، وكتب له رسول الله ﷺ كتابا إلى قومه. وفى كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد. إنى بعثته إلى قومه عامة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين.

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الحرة: حرة الرجلاء، ونزلوها.[١]

## قدوم وفد همدان

قال ابن هشام: وقد وفد همدان على رسول الله ﷺ، فيما حدثنى من أثق به، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدى، عن أبى إسحاق السبيعى، قال: قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ، منهم مالك بن نمط، وأبو ثور، وهو ذو المشعار، ومالك ابن أيفع وضمام بن مالك السَّلمانى وعميرة بن مالك الخارفىّ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات[٢] الحبرات، والعمائم العدنية[٣]، برحال الميْس[٤] على المهْرية[٥] والأرحبية[٦] ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم، يقول أحدهما:

همدان خير سوقة وأقيال ... ليس لها فى العالمين أمثال[٧]

محلها الهضب ومنها الأبطال ... لها إطابات بها وآكال[٨]

ويقول الآخر:

إليك جاوزن سواد الريف ... فى هبوات الصيف والخريف[٩]

مخطمات بحبال الليف[١٠]

---

(١) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن يزيد بن أبى حبيب كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ١٤٠).

(٢) المقطعات: المخيطة. والحبرات: برود يمنية.

(٣) نسبة إلى عدن باليمن.

(٤) الميْس: خشب متين تصنع منه الرحال.

(٥) المهرية: إبل نجيبة تنسب إلى مهرة قبيلة باليمن.

(٦) الأرحبية: تنسب إلى أرحب: مكان.

(٧) السوقة: الذين دون الملوك من الناس. والأقيال: جمع قيل، وهو الملك، ويقال: الأقيال هم الذين يلون الملك فى المنزلة.

(٨) الهضب: الأمكنة المرتفعة. والأبطال: جمع بطل. والإطابات: الأموال الطيبة. والآكال: ما يأخذه الملك من رعيته وظيفة له.

(٩) السواد ههنا: القرى الكثيرة الشجر والنخل. والريف: هو الأرض القريبة من الأنهار والمياه الغزيرة. والهبوات: جمع هبوة، وهى الغبرة.

(١٠) مخطمات: قد جعل لها خطم، وهى الحبال التى تشد فى رؤوس الإبل على آنافها. والليف: هو ليف النخل.

فقام مالك بن نمط بين يديه، فقال: يارسول الله، نصية[١] من همدان، من كل حاضر وباد، أتوك على قلص[٢] نواج، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم فى الله لومة لائم، من مخلاف[٣] خارف ويام وشاكر أهل السود[٤] والقود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الإلهات الأنصاب، وعهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع، وما جرى اليعفور بصلع[٥].

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا فيه:

**بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من رسول الله محمد، لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب[٦] وحقاف الرمل، مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط، ومن أسلم من قومه، على أن لهم فراعها[٧] ووهاطها، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها[٨] ويرعون عافيها، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله، وشاهدهم المهاجرون والأنصار.** فقال فى ذلك مالك بن نمط:

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجى ... ونحن بأعلى رحرحان وصلدد[٩]
وهن بنا خوص طلائح تغتلى ... بركبانها فى لاحب متمدد[١٠]
على كل فتلاء الذراعين جسرة ... تمر بنا مر الهجف الخفيدد[١١]
حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد[١٢]
بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذى العرش مهتدى
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه ... وأمضى بحد المشرفى المهند

(١) النصية: خيار القوم.
(٢) القلص: جمع قلوص، وهو الفتى من الإبل. والنواجى: جمع ناج أو ناجية وهو السريع.
(٣) المخلاف: هو المدينة بلغة أهل اليمن. وخارف ويام وشاكر: قبائل من اليمن.
(٤) السود ههنا: الإبل. والقود: الخيل.
(٥) بصلع: مجموعة من الجبال. واليعفور: ولد الظبية. وصلع: مكان.
(٦) الجناب: الجانب. والهضب: جمع هضبة وهى ماارتفع من الأرض. والحقاف: هو ما استدار من الرمل.
(٧) الفراع: أعالى الأرض. والوهاط: المنخفض المطمئن منها.
(٨) العلاف: ثمر الطلح، ومثله العلف. والعافى: النبات الكثير.
(٩) الفحمة: سواد الليل. وقيل: الفحمة لا تكون إلا فى أول الليل. والدجى: جمع دجية، وهى الظلمة. ورحرحان وصلدد: موضعان
(١٠) هن: أراد بهن الإبل. وخوص: جمع خوصاء، وهى الغائرة العين وطلائح: جمع طليح، وهى المعيبة. وتغتلى: تشتد فى سيرها. واللاحب: الطريق الواضح.
(١١) الجسرة: الناقة القوية على السير. والهجف: الذكر من النعام. والخفيدد: السريع ههنا.
(١٢) الراقصات: أراد بها الإبل. والرقص، والرقصان: ضرب من السير فيه حركة. وصوادر: رواجع. القردد: ما ارتفع من الأرض.

## ذكر الكذابين: مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلم فى عهد رسول الله ﷺ الكذابان مسيلمة بن حبيب باليمامة فى بنى حنيفة، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء.

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبى سعيد الخدرى، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس، إنى قد رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة.[(١)]

**الرسول يتحدث عن الدجالين:** قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا، كلهم يدعى النبوة.[(٢)]

## خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان؛ فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء. فخرج عليه العنسى وهو بها، وبعث زياد بن لبيد، خابنى بياضة الأنصارى، إلى حضرموت وعلى صدقاتها؛ وبعث عدى بن حاتم على طيىء وصدقاتها، وعلى بنى أسد؛ وبعث مالك بن نويرة - قال ابن هشام: اليربوعى - على صدقات بنى حنظلة، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين، وبعث على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم.[(٣)]

---

(١) إسناده صحيح ورواه أحمد (٣/ ٨٦) من طريق ابن اسحاق. ورواه بنحوه البخارى (٨/ ٨٩) كتاب المغازى، باب: وفد بنى حنيفة وحديث ثمامة بن أثال. ومسلم (٥٨٢٦) كتاب الرؤيا، باب: رؤيا النبى ﷺ وكلاهما من حديث أبى هريرة.

(٢) رواه البخارى (١٣/ ٨١) كتاب الفتن ومسلم (٧٢٠٢) كتاب الفتن بلفظ: « **ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله**» وأما رواية الجزم التى أوردها ابن إسحاق فقد رواها أبو داود و الترمذى وصححه ابن حبان وانظر «فتح البارى» (١٣/ ٨٦ـ ٨٧).

(٣) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى«تاريخ الطبرى»(٣/ ١٤٧).

## كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مسيلمة بن خبيب، قد كتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: سلام عليك؛ أما بعد، فإنى قد أشركت فى الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم يعتدون.

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب.[١]

قال ابن إسحاق: فحدثنى شيخ من أشجع، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعى، عن أبيه نعيم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه؛ فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال، فقال: أما والله لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما.

ثم كتب إلى مسيلمة: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

وذلك فى آخر سنة عشر.[٢]

## حجة الوداع

**تجهز الرسول:** قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهز للحج، وأمر الناس بالجهاز له.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبى ﷺ، قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة.[٣]

**استعماله على المدينة أبا دجانة:** قال ابن هشام: فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ويقال: سباع بن عرفطة الغفارى.

**حكم الحائض فى الحج:** قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم،

---

(١) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ١٤٦).

(٢) فى إسناده مجهول. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ١٤٦) من طريق ابن إسحاق قال: حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن شيخ من أشجع، قال ابن حميد: أما على بن مجاهد فيقول: عن أبى مالك الأشجعى... ثم ذكره. قلت: إن كان الأمر كما ذكر الطبرى من أن الشيخ الأشجعى الذى روى عنه هو «أبو مالك الأشجعى» فيكون الإسناد صحيحًا فإن أبا مالك الأشجعى هو سعد بن طارق وهو ثقة كما فى «التقريب» (١/ ٢٨٧).

(٣) إسناده صحيح.

عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدى، وأشراف من أشراف الناس، أمر الناس أن يحلوا بعمرة، إلا من ساق الهدى؛ قالت: وحضت ذلك اليوم، فدخل على وأنا أبكى؛ فقال: مالك يا عائشة؟ لعلك نفست؟ قالت: قلت: نعم، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا السفر؛ فقال لا تقولن ذلك، فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت. قالت: ودخل رسول الله ﷺ بمكة، فحل كل من كان لاهدى معه، وحل نساؤه بعمرة، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير، فطرح فى بيتى، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر، حتى إذا كانت ليلة الحصبة، بعث بى رسول الله ﷺ مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم، مكان عمرتى التى فاتتنى[1].

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، عن حفصة بنت عمر، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمرة، قلن: فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا؟ فقال: إنى أهديت ولبدت، فلا أحل حتى أنحر هديى.[2]

**موافاة على فى قفوله من اليمن رسول الله فى الحج**: قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح: أن رسول الله ﷺ كان بعث عليا رضى الله عنه إلى نجران فلقيه بمكة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها، فوجدها قد حلت وتهيأت، فقال: مالك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمرة فحللنا. ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله ﷺ، انطلق فطف بالبيت، وحل كما حل بأصحابك؟ قال: يا رسول الله إنى أهللتَ كما أهللت ف؛ قال: ارجع فاحلل كما حل أصحابك؛ قال: يارسول الله، إنى قلت حين أحرمت: اللهم إنى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ؛ قال: فهل معك من هدى؟ قال: لا. فأشركه رسول الله ﷺ فى هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ، حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنهما.

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة، عن بريد ابن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لما أقبل على رضى الله عنه من اليمن ليلقى

---

(١) إسناده صحيح ورواه البخارى بنحوه فى الطهارة (١/ ٤٠٧) باب: تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت. ومسلم (٢٨٧١) كتاب الحج، باب: الحائض تقضى المناسك إلا الطواف.

(٢) إسناده صحيح. ورواه البخارى بنحوه (٨/ ١٠٥) كتاب المغازى، باب: حجة الوداع ورواه أحمد (٦/ ٢٨٥) من طريق ابن إسحاق.

رسول الله ﷺ بمكة، تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجل من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذى كان مع على رضى الله عنه. فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذ قدموا فى الناس؛ قال: ويلك! أنزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها فى البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجرة عن عمته زينب بنت كعب، وكانت عند أبى سعيد الخدرى، عن أبى سعيد الخدرى، قال: اشتكى الناس عليا رضوان الله عليه، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا، فسمعته يقول: أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله، أو فى سبيل الله، من أن يُشكى.[1]

**خطبة الوداع**: قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه، فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجهم، وخطب الناس خطبته التى بين فيها ما بين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلتقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولاتُظلمون قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب، وكان مسترضعا فى بنى ليث، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، أيها الناس: إن النسىء زيادة فى الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاما ويحرمونه عاما، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند**

(١) إسناده ضعيف. سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة لم يوثقة غير ابن حبان، وزينب بنت كعب مقبولة كما فى «التقريب» (٢/ ٦٠٠) والحديث رواه أحمد (٣/ ٨٦)والحاكم(٣/ ١٣٤)من طريق ابن إسحاق. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى!! والحديث أورده الهيثمى فى«المجمع»(٩/ ١٢٩) وسكت عنه.

**الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب مضر، الذى بين جمادى وشعبان. أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا؛ ولهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولى، فإنى قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمرا بينا، كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس، اسمعوا قولى واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت»**؟

فذُكر لى أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم أشهد**»[١].

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة، ربيعة بن أمية بن خلف قال: يقول له رسول الله ﷺ: قل يأيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هلا تدرون أى شهر هذا؟ فيقول لهم، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول: قل لهم: «**إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا**»، ثم يقول: قل يأيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أى بلد هذا؟ قال: فيصرخ به، قال: فيقول البلد الحرام، قال: فيقول: قل لهم: «**إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا**»، قال: ثم يقول: قل: يأيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أى يوم هذا؟ قال: فيقوله لهم. فيقولون: يوم الحج الأكبر، قال: فيقول: قل لهم: «**إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا**»[٢].

قال ابن إسحاق: حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى، عن عمرو بن خارجة قال: بعثنى عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ فى حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإن لغامها[٣] ليقع على رأسى، فسمعته وهو يقول: «**أيها الناس، إن الله أدى إلى كل ذى حق حقه، وإنه لا تجوز**

(١) انظر صحيح مسلم (١٢٩٠) كتاب الحج، باب: حجة النبى ﷺ.
(٢) انظر صحيح البخارى (١٢/ ٨٥) كتاب الحدود، باب: ظهر المؤمن حمى إلا فى حَد أو حق.
(٣) اللغام: الرغوة التى يخرج من فم البعير.

**وصية لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا»**[1].

**تعاليم الرسول عليه السلام للحاج**: قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله ابن أبى نجيح: أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة، قال: «**هذا الموقف، للجبل الذى هو عليه وكل عرفة موقف**». وقال حين وقف على قزح[2] صبيحة المزدلفة: هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف. ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال: «**هذا المنحر، وكل منى منحر**»[3].

فقضى رسول الله ﷺ الحج وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم: من الموقف، ورمى الجمار، وطواف بالبيت، وما أحل لهم من حجهم، وما حرم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها.

## بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق: ثم قفل رسول الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر، وضرب على الناس بعثا إلى الشام، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب[4] مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون.

## بعث رسول الله ﷺ إلى الملوك

قال ابن هشام: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهذلى قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صد عنها يوم الحديبية، فقال: «**أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمة وكافة، فلا تختلفوا على اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم**»، فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال: «**دعاهم إلى**

---

(١) إسناده ضعيف. ليث بن أبى سليم قال عنه الحافظ فى «التقريب» (٢/ ١٣٨) صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك وشهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال كما فى «التقريب» (١/ ٣٥٥) ولكن للحديث طرق أخرى وشواهد يتقوى بها فقد أخرجه أحمد (٤/ ١٨٦ و ١٨٧ و٢٣٨ و٢٣٨- ٢٣٩) والترمذى (٢٢١٨) والنسائى (٢/ ١٢٨) (٦/ ٢٦٤) وسعيد بن منصور (٤٢٨) والدارمى (٢/ ٤١٩) وابن ماجه (٢٧١٢) والبيهقى فى «السنن» والطيالسى (١٢١٧) وصححه الألبانى فى «الإرواء» (٦/ ٨٨).

(٢) قزح: جبل بالمزدلفة.

(٣) روى مسلم فى «صحيحه» (٢٩٠٣) عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**نحرت ههنا ومنى كلها منحر، فانحروا فى رحالكم. ووقفت ههنا وعرفة كلها موقف. ووقفت ههنا وجمع كلها موقف**».

(٤) أوعب: اجتمع.

**الذى دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثا قريبًا فرضى وسَلم، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبحَ المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التى بعث إليها»**(١).

**أسماء الرسل وأسماء من أرسل إليهم:** فبعث رسول الله ﷺ رسلا من أصحابه، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام. فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر، ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى، ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى، ملك الحبشة، وبعث حاطب ابن أبى بلتعة إلى المقوقس، ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعياد ابنى الجلندى الأزديين، ملكى عمان، وبعث سَليط بن عمرو، أحد بنى عامر بن لؤى، إلى ثمامة بن أثال، وهوذة بن على الحنفيين، ملكى اليمامة، وبعث العلاء ابن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى، ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى، ملك تخوم الشام.

قال ابن هشام: بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغسانى، وبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث بن عبد كلال الحميرى، ملك اليمن.

قال ابن هشام: أنا نسيت سليطا وثمامة وهوذة والمنذر.

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى: أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال: فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه، وفيه: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: إن الله بعثنى رحمة وكافة، فأدوا عنى يرحمكم الله، ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم، قالوا: وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال: « **دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأما من قرب به فأحب وسلم، وأما من بعد به فكره وأبى، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم»**(٢).

**أسماء رسل عيسى:** قال ابن إسحاق: وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع، الذين كانوا بعدهم فى الأرض: بطرس الحوارى، ومعه بُولسُ، وكان بولس من الأتباع، ولم يكن من الحواريين إلى رومية، وأندرائس ومتى إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس، وتوماس إلى أرض بابل، من أرض المشرق،

(١) إسناده ضعيف، فيه مجاهيل. (٢) إسناده مرسل.

وفيلبس إلى أرض قرطاجنة وهى إفريقية، ويُحنّس، إلى أفسوس، قرية الفتية أصحاب الكهف، ويعقوبُس إلى أورشليم وهي إيلياء، قرية بيت المقدس، وابن ثلماء إلى الأعرابية، وهى أرض الحجاز، وسيمُن إلى أرض البربر، ويهوذا، ولم يكن من الحواريين، جعل مكان يُودس.

## ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعا وعشرين غزوة منها، غزوة ودان، وهى غزوة الأبواء، ثم غزوة بُواط، من ناحية رضوى، ثم غزوة العشيرة، من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى، بطلب كرز بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى التى قتل الله فيها صناديد قريش، ثم غزوة بنى سليم، حتى بلغ الكدر، ثم غزوة السويق، يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان، وهى غزوة ذى أمر، ثم غزوة بحران، معدن بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بنى النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بنى قريظة، ثم غزوة بنى لحيان، من هذيل، ثم غزوة ذى قَرَد، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية، لا يريد قتالا، فصده المشركون، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة القضاء، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك. قاتل منها فى تسع غزوات: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

## ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانيا وثلاثين، من بين بعث وسرية: غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المروة؛ ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر، من ناحية العيص؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة؛ وغزوة سعد بن أبى وقاص الخرار، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة، وغزوة زيد بن حارثة القرَدة، وغزوة محمد بن مَسلمة: كعب بن الأشرف، وغزوة مرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجيع، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة، وغزوة أبى عبيد بن الجراح ذا اقصة، من طريق العراق وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر، وغزوة على بن أبى طالب اليمن، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى، كلب ليث، الكديد، فأصاب بنى الملوَّح.

**غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح:** وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس، حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن خبيب الجهنى، عن المنذر، عن جندب بن مكيث الجهنى، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب ابن عبد الله الكلبى، كلب بن عوف بن ليث، فى سرية كنت فيها، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوح، وهم بالكديد، فخرجنا، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك، وهو ابن البرصاء الليثى، فأخذناه، فقال: إنى جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ؛ فقلنا له: إن تك مسلما فلن يضيرك رباط ليلة، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك، فشددناه رباطا، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود، وقلنا له: إن عازك[1] فاحتز رأسه.

قال: ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فكنا فى ناحية الوادى، وبعثنى أصحابى ربيئة لهم، فخرجت حتى آتى تلا[2] مشرفا على الحاضر، فأسندت[3] فيه، فعلوت على رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إنى لمنبطح على التل، إذ خرج رجل منهم من خبائه، فقال لامرأته: إنى لأرى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى، فانظرى إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئا، لا تكون الكلاب جرت بعضها؛ قال: فنظرت، فقالت: لا، والله ما أفقد شيئا؛ قال: فناولينى قوسى وسهمين، فناولته، قال: فأرسل سهما، فوالله ما أخطأ جنبى، فأنزعه، فأضعه، وثبت مكانى، قال: ثم أرسل الآخر، فوضعه فى منكبى، فأنزعه فأضعه، وثبت مكانى، فقال لامرأته: لو كان ربيئة[4] لقوم لقد تحرك، لقد خالطه سهماى لا أبا لك، إذا أصبحت فابتغيهما، فخذيهما، لا يمضغهما على الكلاب. قال: ثم دخل.

قال: وأمهلناهم، حتى إذا اطمأنوا وناموا، وكان فى وجه السحر، شننا[5] عليهم الغارة، قال: فقتلنا، واستقنا النعم، وخرج صريخ[6] القوم، فجاءنا دهم[7] لاقبل لنا به، ومضينا بالنعم، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه، فاحتملناهما معنا؛ فاحتملناهما معنا؛ قال: وأدركنا القوم حتى قربوا منا. قال: فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى، من غير سحابة نراها،

---

(١) عازك: غالبك: ومنه قوله تعالى ﴿وعزنى فى الخطاب﴾ أى: غلبنى.
(٢) التل: المرتفع من رمل أو تراب. والحاضر: الجماعة النازلون على الماء.
(٣) اسندت: ارتفعت. (٤) الربيئة: الطليعة الذى ينظر لأصحابه.
(٥) شننا عليهم الغارة: مزقناها عليهم، يريد أتيناهم من كل ناحية.
(٦) الصريخ: المستغيث. (٧) الدهم: الجماعة الكثيرة.

لا مطر، فجاء بشىء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر على أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، وإنا لنسوق نعمهم، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا، ونحن نحدوها سراعا، حتى فتناهم، فلم يقدروا على طلبنا.

قال: فقدمنا بها على رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثنى رجل من أسلم، عن رجل منهم: أن شعار[1] أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة: أمِت أمِت. فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها:

أبى أبو القاسم أن تعزّبى ... فى خضل نباته مغلولب[2]

صفر أعاليه كلون المذْهب[3]

قال ابن هشام: ويروى: «كلون الذهب».

تم خبر الغزاة، وعدت إلى ذكر تفاصيل السرايا والبعوث.

**تعريف ببعض الغزوات:** قال ابن إسحاق: وغزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبد الله بن سعد من أهل فدك؛ وغزوة أبى العوجاء السلمى أرض بنى سليم، أصيب بها هو وأصحابه جميعا؛ وغزوة عكاشة بن محصن الغَمرة؛ وغزوة أبى سلمة بن عبد الأسد قطنا، ماء من مياه بنى أسد، من ناحية نجد، قتل بها مسعود ابن عروة، وغزوة محمد بن مَسلمة، أخى بنى حارثة، القرطاء من هوازن؛ وغزوة بشير بن سعد بنى مرة بفدك، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بنى سليم، وغزوة زيد بن حارثة جذام، من أرض خُشْيْن.

قال ابن هشام: عن نفسه، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق: من أرض حِسمَى.

**غزوة زيد بن حارثة إلى جذام:** قال ابن إسحاق: وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم، عن رجال من جذام كانوا علماء بها، أن رفاعة بن زيد الجذامى، لما قدم

---

(١) شعارهم: علامتهم التى يعرف بها بعضهم بعضاً.

(٢) تعزبى: أى تقيمى فى المرعى. والخضل: النبات الأخضر المبتل. والمغلولب: الكثير الذى يغلب الماشية.

(٣) إسناده ضعيف، مسلم بن عبد الله بن خبيب مجهول، والحديث رواه أحمد(٣/ ٤٦٧ـ٤٦٨) والطبرانى فى «الكبير»(٢/ ١٧٨ـ١٧٩) رقم(١٧٢٦) وروى أبو داود طرفًا منه. وضعفه الألبانى فى«ضعيف سنن أبى داود» (٥٧٣) وقال الهيثمى فى«المجمع»(٦/ ٢٠٣)ـ بعد أن ذكره ـ عند أبى داود طرف من أوله رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات. فقد صرح ابن إسحاق بالسماع فى رواية الطبرانى. اهـ. وذكر الحافظ فى«الإصابة» (٣/ ١٨٤) أن ابن عبد البر قد حسن إسناده . قلت: قد مر بك حال مسلم بن عبد الله بن خبيب فلعل القول بضعف الحديث هو الأولى. والله أعلم.

على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شنار، أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص، وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان. والضليع: بطن من جذام، فأصابا كل شيء كان معه، فبلغ ذلك قوما من الضبيب، رهط رفاعة بن زيد، ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهنيد وابنه، فيهم من بني الضبيب النعمان ابن أبي جعال، حتى لقوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاري ثم الضلعي، فقال: أنا ابن لبنى، ورمى النعمان بن أبي جعال بسهم، فأصاب ركبته؛ فقال حين أصابه: خذها وأنا ابن لبنى، وكانت له أم تدعى لبنى، وقد كان حسان بن ملة الضبيني قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك، فعلمه أم الكتاب.

قال ابن هشام: ويقال: قرة بن أشقر الضفاري، وحيان بن ملة.

قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم، عن رجال من جذام، قال: فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه، فردوه على دحية، فخرج دحية، حتى قدم على رسول الله ﷺ، فأخبره خبره، واستسقاه دم الهنيد وابنه، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة، وذلك الذي هاج غزوة زيد جذام، وبعث معه جيشا، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سَلامان وسعد بن هذيم، حين جاءهم رفاعة بن زيد، بكتاب رسول الله ﷺ، حتى نزلوا الحرة؛ حرة الرجلاء[1]، ورفاعة بن زيد بكراع ربة[2]، لم يعلم ومعه ناس من بني الضبيب، وسائر بني الضبيب بوادي مدان[3]، من ناحية الحرة، مما يسيل مشرقا، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج، فأغار بالماقص من قبل الحرة، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأجنف.

قال ابن هشام: من بني الأحنف.

قال ابن إسحاق في حديثه: ورجلا من بني الخصيب. فلما سمعت بذلك بنو

---

(١) حرة الرجلاء: الصلة الشديدة، وقيل هي التي أعلاها أسود وأسفلها أبيض، ويقال للطريق الخشن: رجيل. وهو علم لحرة في ديار بني القَيْن بن جسر بين المدينة والشام. (معجم البلدان) (٢/ ٢٤٦).

(٢) كُراع ربة: بالضم في أوله. وكراع كل شيء: طرفه. وما سال من أنف الجبل أو الحرة. وربة: بلفظ ربة البيت أو ربة المال أي صاحبته..

(٣) المدان: بفتح أوله: وادٍ في بلاد قضاعة بناحية حَرَّة الرجلاء.

الضبيب والجيش بفيفاء[١] مدانٍ ركب نفر منهم، وكان فيمن ركب معهم حسان بن ملة، على فرس لسويد بن زيد، يقال لها العجاجة، وأنيف ابن ملة على فرس لملة يقال لها: رغال، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شمر، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة: كف عنا وانصرف، فإنا نخشى لسانك، فوقف عنهما، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب، فقال: لأنا أضَن بالرجلين منك بالفرسين، فأرخى لها، حتى أدركهما، فقالا له: أما إذا فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك، ولا تشأمنا اليوم، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: بورى أو ثورى؛ فلما برزوا على الجيش، أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسان: إنا قوم مسلمون، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم، فأقبل يسوقهم، فقال أنيف: بورى، فقال حسان: مهلا. فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد فاقرءوا أم الكتاب، فقرأها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا فى الجيش أن الله قد حرم علينا ثغرة[٢] القوم التى جاءوا منها إلا من ختر[٣].

قال ابن إسحاق: وإذا أخت حسان بن ملة، وهى امرأة أبى وبر بن عدى بن أمية ابن الضبيب فى الأسارى، فقال له زيد: خذها، وأخذت بحقويه[٤] فقالت أم الفِزر الضلعية: أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم؟ فقال أحد بنى الخصيب: إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم، فسمعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأخت حسان، ففكت يداها من حقويه، وقال لها: اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه، فرجعوا، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه؛ فأمسوا فى أهليهم، واستعتموا ذودا[٥] لسويد بن زيد، فلما شربوا عتمتهم[٦] ركبوا إلى رفاعة بن زيد، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة: أبو زيد ابن عمر، وأبو شماس بن عمرو، وسويد بن زيد وبعجة بن زيد، وبرذع ابن زيد، وثعلبة بن زيد، ومخربة بن عدى، وأنيف بن ملة، وحسان بن ملة، حتى صبحوا سحرا رفاعة بن زيد بكراع ربة، بظهر الحرة، على بئر هنالك من حرة ليلى، فقال له حسان

---

(١) فيفاء بالفتح: المفازة التى لا ماء فيها وجمعها الفيافى.
(٢) الثغرة: ما يحمونه من جانبهم.
(٣) ختر: نقض العهد.
(٤) حقويه: خصريه.
(٥) استعتموا: انتظروا إلى العتمة. والذود: جماعة الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة.
(٦) عتمتهم: لبنهم الذى يشربون فى العتمة.

ابن ملة: إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به، فدعا رفاعة بن زيد بجمل له، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول:

هل أنت حيٌّ أو تنادى حيا

ثم غدا وهم معه بأمية بن ضَفَارة أخى الخصيبى المقتول، مبكرين من ظهر الحرة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال، فلما دخلوا المدينة، وانتهوا إلى المسجد، نظر إليهم رجل من الناس، فقال: لا تنيخوا إبلكم، فتقطع أيديهن، فنزلوا عنهن وهن قيام، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم ألاح[١] إليهم بيده: أن تعالوا من وراء الناس، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق، قام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء قوم سحرة، فرددها مرتين، فقال رفاعة بن زيد: رحم الله من لم يحذنا فى يومه هذا إلا خيرا[٢]. ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ الذى كان كتبه له. فقال: دونك يا رسول الله قديما كتابُه، حديثا غدره. فقال رسول الله ﷺ: «**اقرأه يا غلام، وأعلن**»، فلما قرأ كتابه استخبره، فأخبروهم الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «**كيف أصنع بالقتلى**»؟ - ثلاث مرات -. فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرم عليك حلالا، ولا نحلل لك حراما، فقال أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا، ومن قتل فهو تحت قدمى هذه؛ فقال له رسول الله ﷺ: «**صدق أبو زيد، اركب معهم يا على**»، فقال له على رضى الله عنه: إن زيدا لن يطيعنى يا رسول الله، قال: فخذ سيفى هذا، فأعطاه سيفه، فقال على: ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو، يقال له مكحال، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبر، يقال لها: الشَّمِر، فأنزلوه عنها، فقال: يا على، ما شأنى؟ فقال: ما لهم عرفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين، فأخذوا ما فى أيديهم، حتى كانوا ينزعون لبيد المرأة من تحت الرحل، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم:

| | |
|---|---|
| وعاذلة ولم تعذل بطب | ولولا نحن حُش بها السعير[٣] |
| تدافع فى الأسارى بابنتيها | ولا يرجى لها عتق يسير |
| ولو وكلت إلى عوص وأوس | لحار بها عن العتق الأمور[٤] |

(١) ألاح إليهم: أشار إليهم. (٢) لم يحذنا إلا خيراً: يريد لم يعطنا من كلامه ومشورته إلا خيراً.
(٣) العاذلة: اللائمة. والطب: ههنا الرفق. وحش: أى أوقد والسعير: تلهُّب النار.
(٤) حار: رجع.

ولو شهدت ركائبنا بمصر — تحاذر أن يعل بها المسير[١]
وردنا ماء يثرب عن حفاظ — لربع إنه قرب ضرير[٢]
بكل مجرب كالسيد نهد — على أقتاد ناجية صبور[٣]
فدى لأبى سليمى كل جيش — بيثرب إذ تناطحت النحور[٤]
غداة ترى المجَرَّب مستكينا — خلاف القوم هامته تدور[٥]

قال ابن هشام: قوله: «ولا يرجى لها عتق يسير». وقوله: «عن العتق الأمور» عن غير ابن إسحاق.

تمت الغزاة، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث.

**غزوة زيد الطرف:** قال ابن إسحاق: وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرف من ناحية نخل. من طريق العراق.[٦]

**غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة:** وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادى القرى؛ لقى به بنى فزارة، فأصيب بها ناس من أصحابه، وارتث زيد[٧] من بين القتلى، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مداش، وكان أحد بنى سعد بن هذيل، أصحاب أحد بنى بدر.

قال ابن هشام: سعد بن هذيم.

قال ابن إسحاق: فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة، فلما استبل من جراحته بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى فزارة فى جيش، فقتلهم بوادى القرى، وأصاب فيهم، وقتل قيس بن المسحر اليعمرى مسعدة ابن حكمة بن مالك بن حذيفه بن بدر، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر، وبنت لها، وعبد الله بن مسعدة. فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة، فقتلها قتلا عنيفا، ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبابن مسعدة.

(١) يعل: يكرر.
(٢) الحفاظ: الغضب. ولربع: أن ترد الإبل الماء لأربعة أيام. والقرب: السير فى طلب الماء. وضرير: ههنا بمعنى ضار.
(٣) السيد: الذئب. ونهد: أى غليظ. والأقتاد: أداة الرحل. والناجية: السريعة، وأراد بها ناقة صبور.
(٤) النحور: الصدور.
(٥) إسنادها ضعيف، فيه جهالة. وهذه الغزوة لم يذكرها ابن سعد فى«الطبقات» وقال الحافظ فى«الإصابة» قال الواقدى أول سرايا زيد إلى القردة ثم إلى الحموم ثم إلى العيص ثم إلى المطرف ثم إلى جشمى ثم إلى أم قرفة ثم تأميره على غزوة مؤتة واستشهد فيها وهو ابن خمس وخمسين سنة.
(٦) كانت فى جمادى الآخرة سنة ست للهجرة. انظر «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٨٧).
(٧) ارتث زيد: رفع من بين القتلى وبه بقية حياة.

وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع، كان هو الذى أصابها، وكانت فى بيت شرف من قومها، كانت العرب تقول: «لو كنت أعز من أم قرفة مازدت». فسألها رسول الله ﷺ سلمة، فوهبها له، فاهداها لخاله حزن ابن أبى وهب، فولدت له عبد الرحمن بن حزن.

فقال قيس بن المسحر فى قتل مسعدة:

| | |
|---|---|
| سعيت بورد مثل سعى ابن أمه | وإنى بورد فى الحياة لثائر[1] |
| كررت عليه المهر لما رأيته | على بطل من آل بدر مغاور[2] |
| فركبت فيه قعضبيا كأنه | شهاب بمعراة يذكى لناظر[3] |

**غزوة عبد الله بن رواحة لقتل أُسير بن زارم[4]**: وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين: إحداهما التى أصاب فيها أُسير بن زارم. قال ابن هشام: ويقال ابن رازم.

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه، منهم عبد الله بن أنيس، حليف بنى سلمة؛ فلما قدموا عليه كلموه، وقربوا له، وقالوا له: إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك، فلم يزالوا به، حتى خرج معهم فى نفر من يهود، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر، على ستة أميال، ندم أسير بن زارم على مسيره إلى رسول الله ﷺ، ففطن به عبد الله بن أنيس، وهو يريد السيف، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بمخرش[5] فى يده من شوحط[6]، فأمه[7] ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه، فلما قدم عبدالله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل[8] على شجته، فلم تقح[9] ولم تؤذه.

**غزوة بن عتيك خيبر**: وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر، فأصاب بها أبا رافع بن

(١) ورد: يجوز أن يكون اسم فرسه، ويجوز أن يكون وصفاً، تقول فرس ورد إذا كان بين الكميت والأشقر. والثائر: الآخذ بالثار.

(٢) على بطل: هذا بدل من قوله فى أول البيت عليه. والبطل: الشجاع. والمغاور: الكثير الغارة على الأعداء.

(٣) القعضبى: السنان. والمعراة: الموضع الذى لا يستره شىء. ويذكى: يوقد.

(٤) كانت فى شوال سنة ست للهجرة. انظر «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٦٦)، و«تاريخ الطبرى» (٣/ ١٥٥).

(٥) المخرش: اسم آلة من الخرش. والخرش: الخدش. (٦) الشوحط: شجر من أشجار النبع.

(٧) أمه: جرحه فى رأسه. (٨) تفل: بصق بصاقاً خفيفاً.

(٩) لم تقح: لم يتولد فيها قيح.

أبى الحقيق.[١]

**غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى:** وغزوة عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نبيح، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بعرنة، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه، فقتله.

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قال عبد الله ابن أنيس: دعانى رسول الله ﷺ، فقال: إنه قد بلغنى أن ابن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى، وهو بنخلة، أو بعرنة، فأته فاقتله. قلت: يا رسول الله، انعته لى حتى أعرفه. قال إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة[٢]. قال: فخرجت متوشحا سيفى، حتى دفعت إليه وهو فى ظعن[٣] يرتاد لهن منزلا[٤]، وحيث كان وقت العصر؛ فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة، فصليت وأنا أمشى نحوه، أومىء برأسى، فلما انّهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل[٥]، إنى لفى ذلك. قال: فمشيت معه شيئا، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم خرجت، وتركت ظعائنه منكبات عليه؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآنى، قال: «**أفلح الوجه**»؛ قلت: قد قتلته يا رسول الله. قال: «**صدقت**».

ثم قام بى، فادخلنى بيته، فأعطانى عصا، فقال: أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرنى أن أمسكها عندى. قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لم ذلك؟ قال، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتنى هذه العصا؟ قال: آية بينى وبينك يوم القيامة. إن أقل الناس المتخصرون[٦] يومئذ، قال: فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فضمت فى كفنه، ثم دفنا جميعا.[٧]

---

(١) انظر«الطبقات» لابن سعد(٢/ ٦٦) و«تاريخ الطبرى»(٣/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

(٢) القشعريرة: رعدة وارتعاش كارتعاش المحموم.

(٣) الظعن: جمع ظعينة، وهى المرأة فى الهودج.

(٤) يرتاد: يطلب. والمنزل: موضع النزول.

(٥) أجل: كلمة مثل نعم.

(٦) المتخصرون: المتكئون على المخاصر.

(٧) فى سنده انقطاع بين محمد بن جعفر وعبد الله بن أنيس، ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٥٦ـ١٥٧) من طريق ابن إسحاق، ورواه أحمد موصولاً من طريق ابن إسحاق(٣/ ٤٩٦) قال: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: ... فذكره، وهكذا رواه أبو داود (١٢٤٩)، والبيهقى فى «السنن»(٩/ ٣٨)، وضعفه الألبانى فى«ضعيف سنن أبى داود»(٢٧١).

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أنيس فى ذلك:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله ... نوائح تفرى كل جيب مقدد[١]
تناولته والظعن خلفى وخلفه ... بأبيض من ماء الحديد مهند[٢]
عجوم لهام الدارعين كأنه ... شهاب غضى من ملهب متوقد[٣]
أقول له والسيف يعجم رأسه ... أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد[٤]
أنا ابن الذى لم ينزل الدهر قدره ... رحيب فناء الدار غير مزند[٥]
وقلت له خذها بضربة ماجد ... حنيف على دين النبى محمد[٦]
وكنت إذا هم النبى بكافر ... سبقت إليه باللسان وباليد

تمت الغزاة، وعدنا إلى خبر البعوث.

**بعض غزوات أخر:** قال ابن إسحاق: وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام، فأصيبوا بها جميعا، وغزوة كعب بن عمير الغفارى ذات أطلاح، إلى أرض الشام، أصيب بها هو وأصحابه جميعا، وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم.

**غزوة عيينة بن حصن بنى تميم:** وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم أناسا، وسبى منهم أناسا.

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن علىَّ رقبة من ولد إسماعيل. قال: هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن، فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه.[٧]

قال ابن إسحاق. فلما قُدم بسبيهم على رسول الله ﷺ، ركب فيهم وفد من بنى تميم، حتى قدموا على رسول الله ﷺ، منهم ربيعة بن رفيع، وسبرة بن عمرو

---

(١) الحوار: ولد الناقة إذا كان صغيراً. وتفرى: تقطع.
(٢) بأبيض: يريد به سيفاً. والمهند: المنسوب إلى الهند.
(٣) عجوم: هو من صفات الأبيض. والهام ههنا: الرؤوس والشهاب: القطعة من النار. والغضا: شجر يشتد التهاب النار فيه. والملهب: اسم مفعول من ألهبته إذا أوقدت فيه النار.
(٤) القعدد: اللئيم الدنىء القاعد عن الحرب والمكارم.
(٥) رحيب: متسع. والمزند: الضيق البخيل.
(٦) الماجد: الشريف. والحنيف: ههنا الذى نزع عن الشرك إلى دين الإسلام.
(٧) فى سنده انقطاع بين عاصم بن عمر وعائشة رضى الله عنها. ورواه الطبرى فى«تاريخه»(٣/١٥٧) من طريق ابن إسحاق.

والقعقاع بن معبد، ووردان بن محرز، وقيس بن عاصم، ومالك بن عمرو، والأقرع ابن حابس، وفراس بن حابس؛ فكلموا رسول الله ﷺ فيهم؛ فأعتق بعضا، وأفدى بعضا، وكان ممن قتل يؤمئذ من بنى العنبر: عبد الله وأخوان له، بنو وهب، وشداد ابن فراس، وحنظلة بن دارم، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكاس بنت أرِىّ، ونجوة بنت نهد، وجُميعة بنت قيس، وعمرة بنت مطر[1]. فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عتّاب:

| | |
|---|---|
| لعمرى لقد لاقت عدى بن جندب | من الشر مهواة شديدا كئودها[2] |
| تكنفها الأعداء من كل جانب | وغيب عنها عزها وجدودها[3] |

قال ابن هشام: وقال الفرزدق فى ذلك:

| | |
|---|---|
| وعند رسول الله قام ابن حابس | بخطة سَوار إلى المجد حازم[4] |
| له أطلق الأسرى التى حباله | مغللة أعناقها فى الشكائم |
| كفى أمهات الخالفين عليهم | غِلاء المفادى أو سهام المقاسم[5] |

وهذه الأبيات فى قصيدة له. وعدى بن جندب من بنى العنبر، والعنبر بن عمرو ابن تميم.

**غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة:** قال ابن إسحاق: وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى كلب ليث - أرض بنى مرة، فأصاب بها مرداس بن نهيك، حليفا لهم من الحرقة، من جهينة، قتله أسامة بن زيد، ورجل من الأنصار.

قال ابن هشام: الحرقة، فيما حدثنى أبو عبيدة.

قال ابن إسحاق: وكان من حديثه عن أسامة بن زيد، قال. أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح، قال أشهد أن لا إله إلا الله. قال: فلم ننزع عنه حتى قتلناه؛ فما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه؛ فقال: **«يا أسامة، من لك بلا إله إلا الله»**؟ قال: قلت: يا رسول الله إنه إنما قالها تعوذا بها من القتل. قال: **«فمن لك بها يا أسامة»**؟ قال: فوالذى بعثه بالحق مازال يرددها على حتى لوددت أن مامضى

(١) هكذا أورد ابن إسحاق خبر قدوم السبى بدون إسناد.
(٢) المهواة: المكان المنخفض بين جبلين. والكؤود: العقبة الصعبة.
(٣) تكنفها: أحاط بها. والجدود: جمع جد وهو الحظ والبخت.
(٤) الخطة: الخصلة. والسوار: الذى يرتقى ويتسور. والمجد: الشرف.
(٥) الخالفين: المتخلفين.

من إسلامى لم يكن، وأنى كنت أسلمت يومئذ، وأنى لم أقتله؛ قال: قلت: أنظرنى يا رسول الله، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول: لا إله إلا الله أبدا، قال: تقول بعدى يا أسامة؛ قال: قلت بعدك.(١)

**غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل:** وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة. وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام. وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت امرأة من بلى، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلسل، وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر؛ وقال لأبى عبيدة حين وجهه: لا تختلفا، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه، قال له عمرو إنما جئت مددا لى؛ قال أبو عبيدة: لا، ولكنى على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا، هينا عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لى؛ فقال أبو عبيدة يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال لى لا تختلفا، وإنك إن عصيتنى أطعتك؛ قال: فإنى الأمير عليك، وأنت مدد لى، قال: فدونك فصلى عمرو بالناس.(٢)

قال: وكان من الحديث فى هذه الغزاة، أن رافع بن أبى رافع الطائى، وهو رافع ابن عميرة، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه، قال: كنت امرءاً نصرانيا، وسميت سرجس، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية، ثم أغير على إبل الناس، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه، فأشرب منه؛ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فقلت: والله لأختارن لنفسى

---

(١) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ٣٢). ورواه موصولاً بنحوه، البخارى (٥/ ٥١٧) كتاب المغازى، باب: بعث النبى ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، ومسلم (٢٧١، ٢٧٢) كتاب الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، وأحمد (٥/ ٢٠٠)، وأبو داود فى الجهاد (٢٦٤٣) باب: على ما يقاتل المشركون، والنسائى في «الكبرى» كما فى «تحفة الأشراف» (١/ ٤٤).

(٢) إسناده مرسل، فقد رواه ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى كما فى «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٢٧٣) ورواه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٩٩) من طريق ابن إسحاق. قلت: وأصل الحديث فى الصحيحين: أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: بعثنى رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**» فعد رجالاً. وانظر «البداية والنهاية» (٤/ ٢٧٣ـ٢٧٥) و«الطبقات» لابن سعد (٢/ ٩٥).

صاحبا، قال: فصحبت أبا بكر، قال: فكنت معه فى رحله، قال: وكانت عليه عباءة له فدكية[١]، فكان إذا أنزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها، ثم شكها[٢] عليه بخلال له، قال: وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا: نحن نبايع ذا العباءة؟! قال: فلما دنونا من المدينة قافلين، قال قلت: يا أبا بكر، إنما صحبتك لينفعنى الله بك، فانصحنى وعلمنى، قال: لو لم تسألنى ذلك لفعلت، قال آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيئا، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج هذا البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمل على رجل من المسلمين أبدا. قال: قلت: يا أبا بكر، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا، وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله، وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله، وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلا بها، فلم تنهانى عنها؟ قال: إنك إنما استجهدتنى لأجهد لك، وسأخبرك عن ذلك: إن الله عز وجل بعث محمدا ﷺ بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه، وفى ذمته فإياك أن تخفر[٣] الله فى جيرانه فيتبعك الله فى خفرته، فإن أحدكم يُخفر فى جاره، فيظل ناتئا[٤] عضله غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير، فالله غضبا لجاره. قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قبض رسول الله ﷺ، وأمر أبو بكر على الناس، قال: قدمت عليه، فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك؛ قال: فقلت له: فما حملك على أن تلى أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدا، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة.

قال ابن إسحاق: أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعى، قال: كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو ابن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فصحبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها، وهم لا يقدرون على أن يعضوها[٥]، وقال: وكنت امرءاً لبقا جازرا[٦]، قال؛ فقلت: أتعطونى منها عشيرا[٧] على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال:

(١) عباءة فدكية: كساء غليظ منسوب إلى فدك.
(٢) شكها: أنفذ فيها الخلال الذى كان يخللها به.
(٣) تخفر الله: أى تنقض عهده.
(٤) ناتئاً: مرتفعاً. والعضل: جمع عضلة.
(٥) أن يعضوها: أن يقسموها. والتعضية: القسمة.
(٦) اللبق: الحاذق الرفيق فى العمل. والجازر: الذى يصطنع الجزر.
(٧) العشير: النصيب، فكل جزء عشير.

فأخذت الشفرتين، فجزأتها مكانى، وأخذت منها جزءا، فحملته إلى أصحابى، فاطبخناه فأكلناه. فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما: أنى لك هذا اللحم يا عوف؟ قال: فأخبرتهما خبره فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما من ذلك؛ قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ، قال: فجئته وهو يصلى فى بيته؛ قال فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته؛ قال: أعوف بن مالك؟ قال: قلت نعم، بأبى أنت وأمى؛ قال: أصاحب الجزور؟ ولم يزدنى رسول الله ﷺ على ذلك شيئا.[١]

**غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم وقتل عامر بن الأضبط الأشجعى**: قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم فى نفر من المسلمين، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعى، ومحلم بن جثامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى، على قعود[٢] له ومعه متيع[٣] له، ووطب[٤] من لبن. قال: فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة، فقتله لشىء كان بينه وبينه وأخذ بعيره، وأخذ متيعه. قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلم لستَ مؤمنا، تبتغون عرض الحياة الدنيا**﴾[٥].. إلى آخر الآية.[٦]

قال ابن هشام: قرأ أبو عمرو بن العلاء: «ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا» لهذا الحديث.

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال: سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه، عن جده، وكانا شهدا حنينا مع رسول الله ﷺ، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، ثم عمد إلى ظل شجرة، فجلس تحتها، وهو بحنين، فقام إليه الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن بن

---

(١) قال ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٤/ ٢٧٥): هكذا رواه محمد بن إسحاق عن زيد بن أبى حبيب عن عوف بن مالك وهو منقطع بل معضل.

(٢) القعود: البعير المتخذ للركوب.

(٣) متيع: تصغير متاع.

(٤) الوطب: وعاء اللبن.

(٥) النساء: ٩٣.

(٦) إسناده صحيح، فإن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد مختلف فيه فقيل: له صحبة وقيل: ليس له صحبة وذكره ابن حبان فى «الثقات» (٣/ ٣٤٩) وترجم له الحافظ فى «الإصابة» (٣/ ٢٨٠). والحديث رواه أحمد (٦/ ١١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٠٥) من طريق ابن إسحاق. وقال الهيثمى فى «المجمع» (٧/ ٨) رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات. اهـ.

حذيفة بن بدر، يختصمان فى عامر بن أضبط الأشجعى: عيينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة، لمكانه من خندف، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ، ونحن نسمع، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول: والله يارسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ماأذاق نسائى، ورسول الله ﷺ يقول: بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا، وهو يأبى عليه، إذا قام رجل من بنى ليث، يقال له: مُكيثر، قصير مجموع - قال ابن هشام: مكيتل - فقال: والله يارسول الله ماوجدت لهذا القتيل شبها فى غرة الإسلام[1] إلا كغنم وردت فرميت أولاها، فنفرت أخراها، اسنن اليوم[2]، وغيرٌ غدا قال: فرفع رسول الله ﷺ يده. فقال: بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا. قال فقبلوا الدية. قال ثم قالوا: أين صاحبكم هذا، يستغفر له رسول الله ﷺ قال: فقام رجل آدم ضرب طويل، عليه حلة له، قد كان تهيأ للقتل فيها، حتى جلس بين يدى رسول الله ﷺ، فقال له: مااسمك؟ قال: أنا محلم بن جثامة، قال: فرفع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: اللهم لاتغفر لمحلم بن جثامة ثلاثا. فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه. قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا: إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له، وأما ماظهر من رسول الله ﷺ فهذا.[3]

قال ابن إسحاق: فحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى، قال: قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه: أمنته بالله ثم قتلته!؟ ثم قال له المقالة التى قال: قال: فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعا حتى مات، فلفظته[4] - والذى نفس الحسن بيده - الأرض ثم عادوا له فلفظته الأرض، ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين[5] فسطحوه بينهما، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه. قال. فبلغ رسول الله ﷺ شأنه، فقال: والله إن الأرض لتطّابق على من هو شر منه، ولكن الله أراد أن يعظكم فى حُرم ما بينكم بما أراكم منه.[6]

قال ابن إسحاق وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حُدث: أن عيينة بن حصن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم، يامعشر قيس، منعتم رسول الله ﷺ قتيلا

(١) غرة الإسلام: أوله. وغرة كل شىء: أوله.

(٢) اسنن اليوم وغير غداً: يريد احكم لنا اليوم بالدم فى أمرنا هذا واحكم غداً بالدية لمن شئت. وغير: من الغيرة، وهى الدية ههنا.

(٣) إسناده ضعيف، زياد بن ضميرة، فيه جهالة كما قال الذهبى فى «الميزان» (٢/ ٨٩) والحديث رواه أبو داود (٤٥٠٣) وابن ماجه (٢٦٢٥) من طريق ابن إسحاق وذكره البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٠٦) بإسناد ابن إسحاق وضعفه الألبانى فى «ضعيف سنن أبى داود» (ص ٤٥١).

(٤) فلفظته الأرض: ألقته على وجهها.

(٥) الصد: الجبل.

(٦) إسناده ضعيف للجهالة والإسناد.

يستصلح به الناس، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ، فيلعنكم الله بلعنته، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله ﷺ فليصنعن فيه ما أراد، أو لآتين بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلهم، لقتُل صاحبكم كافرا؟ ماصلى قط، فلأطلن دمه[١] فلما سمعوا ذلك، قبلوا الدية.[٢]

قال ابن هشام: محلم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق، وهو محلم بن جثامة بن قيس الليثى.

وقال ابن إسحاق: ملجَّم، فيما حدثناه زياد عنه.

**غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى:** قال ابن إسحاق: وغزوة ابن أبى حدرد الأسلمى الغابة.

وكان من حديثها فيما بلغنى، عمن لا أتهم، عن ابن أبى حدرد، قال: تزوجت امرأة من قومى؟ وأصدقتها مائتى درهم، قال: فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحى؛ فقال: وكم أصدقت؟ فقلت: مائتى درهم يا رسول الله، قال: سبحان الله، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم. والله ما عندى ماأعينك به: قال: فلبثت أياما، وأقبل رجل من بنى جشم، يقال له: رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، فى بطن[٣] عظيم من بنى جشم، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله ﷺ وكان ذا اسم فى جشم وشرف. قال: فدعانى رسول الله ﷺ ورجلين معى من المسلمين، فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم. قال: وقدم لنا شارفا عجفاء[٤] فحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال[٥] من خلفها بأيديهم، حتى استقلت وما كادت ثم قال: تبلغوا عليها واعتقبوها[٦].

قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر[٧] عشيشية[٨] مع غروب الشمس. قال: كمنت فى ناحية، وأمرت صاحبى، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم؛ وقلت لهما: إذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشدا معى. قال: فوالله انا لكذلك ننتظر غرة القوم[٩]، أو أن

---

(١) لأطلن دمه: أى لأبطلنه، تقول: طل دم القتيل، اذا أهدر، ولم يؤخذ بثأره.

(٢) فى سنده انقطاع بين سالم أبى النضر وعيينة بن حصن. ورواه البيهقى فى «الدلائل» (٤/٣٠٨) بسند مرسل.

(٣) البطن: أصغر من القبيلة.

(٤) الشارف: الناقة المسنة. والعجفاء: المهزولة.

(٥) دعمها الرجال: قووها بأيديهم، يريد أعانوها على النهوض.

(٦) اعتقبوها: اركبوها واحداً بعد واحد.

(٧) الحاضر: جماعة القوم النازلين على الماء.

(٨) عشيشية: هو تصغير عشاء.

(٩) غرة القوم: غفلتهم.

نصيب منهم شيئا. قال: وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء[1]، وقد كان لهم راع قد سرح فى هذا البلد، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه. قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه، فجعله فى عنقه، ثم قال: والله لأتبعن أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شر؛ فقال له نفر ممن معه: والله لا تذهب، نحن نكفيك؛ قال: والله لا يذهب إلا أنا، قالوا: فنحن معك، قال: والله لا يتبعنى أحد منكم قال: وخرج حتى يمر بى. قال: فلما أمكننى نفحته بسهمى[2]، فوضعته فى فؤاده. قال: فوالله ماتكلم، ووثبت إليه، فاحتززت رأسه. قال: وشددت فى ناحية العسكر، وكبرت، وشد صاحباى وكبرا. قال: فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه، عندك، عندك، عندك[3]، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم. قال: واستقنا إبلا عظيمة، وغنما كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ. قال: وجئت برأسه أحمله معى. قال: فأعاننى رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صداقى، فجمعت إلى أهلى.[4]

**غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل:** قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح، قال: سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم، قال: فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم: كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ فى مسجده: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدرى، وأنا مع رسول الله ﷺ، إذا أقبل فتى من الأنصار فسلم على رسول الله ﷺ، ثم جلس، فقال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أى المؤمنين أفضل؟ فقال: «**أحسنهم خلق**»؛ قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم ذكرا للموت، وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس**»، ثم سكت الفتى، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا نزلن بكم ـ وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم ما مطروا؛ ما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم،**

(١) فحمة العشاء: أول ظلام الليل. (٢) نفحته بسهمى: رميته به.

(٣) عندك عندك: هى كلمتان يقولهما الإنسان عند الإغراء.

(٤) إسناده ضعيف، فقد رواه ابن إسحاق عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن محمد بن إبراهيم، عن عبد الله بن أبى حدرد. كما فى «تاريخ الطبرى» (٣/ ٣٤). قلت: وهذا إسناد ضعيف لعنعنة ابن إسحاق وللانقطاع بين محمد بن إبراهيم وعبد الله بن حدرد.

**فأخذ بعض ما كان فى أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم».**

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء، فأدناه رسول الله ﷺ منه، ثم نقضها، ثم عممه بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوا من ذلك، ثم قال: هكذا يابن عوف فاعتم، فإنه أحسن وأعرف، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء. فدفعه إليه، فحمد الله تعالى. وصلى على نفسه، ثم قال: خذه يا بن عوف، اغزوا جميعا فى سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم[1]. فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء.

قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل.

**غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر:** قال ابن إسحاق: وحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر[2]، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جرابا[3] من تمر، فجعل يقوتهم إياه، حتى صار إلى أن يعده عليهم عددا، قال: ثم نفد التمر حتى كان يعطى كل رجل منهم كل يوم تمرة. قال: فقسمها يوما بيننا. قال: قال فنقصت تمرة عن رجل، فوجدنا فقدها ذلك اليوم. قال: فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر، فأصبنا من لحمها وودكها، وأقمنا عليها عشرين ليلة، حتى سمنا وابتللنا[4]، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها، فوضعها على طريقة، ثم أمر بأجسم بعير معنا، فحمل عليه أجسم رجل منا، قال: فجلس عليه، قال: فخرج من تحتها وما مست رأسه. قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا إياه، فقال؛ **«رزق رزقكموه الله»**[5].

**بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه:** قال ابن هشام: ومما لم يذكره ابن إسحاق[6] من بعوث رسول الله ﷺ وسراياه بعث

---

(١) رواه البزار (٢/ ٢٦٨/ كشف الأستار) والحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وقال الهيثمى فى«المجمع» (٥/ ٣١٧) رواه البزار ورجاله ثقاب. وأورده بنحوه فى (٥/ ١٢٠) وقال رواه الطبرانى فى «الأوسط» وإسناده حسن. والحديث حسنه الألبانى فى «الصحيحة» (١٠٦).

(٢) سيف البحر: جانبه وساحله. (٣) الجراب: المزود. (٤) ابتللنا: أخذنا الراحة.

(٥) إسناده صحيح. ورواه البخارى بنحوه(٨/ ٧٧) كتاب المغازى، باب: غروة سيف البحر. ومسلم (٤٩١١) كتاب الصيد، باب: إباحة ميتات البحر وأبو داود فى الأطعمة (٣٨٤٠) باب: فى داوب البحر. والنسائى فى الصيد (٧/ ٢٠٧) باب: ميتة البحر. وذلك من حديث جابر رضى الله عنه.

(٦) جاء فى«الروض الأنف»للسهيلى (٤/ ٢٥٣) تحت عنوان «ما زاده ابن هشام مما لم يذكره ابن إسحاق». «وذكر=

عمرو بن أمية الضمرى، بعثه رسول الله ﷺ، فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب بن عدى وأصحابه إلى مكة، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب، وبعث معه جبار بن صخر الأنصارى فخرجا حتى قدما مكة، وحبسا جمليهما بشعب من شعاب يأجج[1]، ثم دخلا مكة ليلا؛ فقال جبار لعمرو: أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين؟ عمرو: إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم؛ فقال: كلا، إن شاء الله؛ فقال عمرو: فطفنا بالبيت، وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفنى، فقال عمرو بن أمية: والله إن قدمها إلا لشر؛ قلت لصاحبى: النجاء، فخرجنا نشتد، حتى أصعدنا فى جبل، وخرجوا فى طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا، فرجعنا، فدخلنا كهفا فى الجبل، فبتنا فيه، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا[2]؛ فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له، ويخلى عليها[3]، فغشينا ونحن فى الغار. فقلت؛ إن رآنا صاح بنا، فأخذنا فقتلنا.

قال: ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان، فأخرج إليه، فأضربه على ثديه ضربة، وصاح صيحة أسمع أهل مكة، وأرجع فأدخل مكانى، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا: من ضربك؟ فقال: عمرو بن أمية، وغلبه الموت، فمات مكانه، ولم يدلل على مكاننا، فاحتملوه. فقلت لصاحبى، لما أمسينا: النجاء؛ فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدى؛ فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية، قال: فلما حاذى الخشبة شد عليها، فأخذها فاحتملها، وخرجا شدا، وخرجوا وراءه، حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج، فرمى بالخشبة فى الجرف، فغيبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه، قال: وقلت لصاحبى: النجاء النجاء، حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه، فإنى سأشغل عنك القوم، وكان الأنصارى لارجلة له.[4]

= الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاصى رحم الله فى هذا الموضع قال: نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه: «وجدت بخط أخى قول ابن هشام: هذا مما لم يذكره ابن إسحاق هو غلط منه، قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن أمية فيما حدث أسد. عن يحيى بن زكرياء عن ابن إسحاق. والقائل فى الحاشية وجدت بخط أخى هو أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم. وفى الكتاب المذكور قول أبى بكر المذكور فى غزوة الطائف بعد قوله: فولدت له داود بن أبى مرة. إلى ها هنا إنتهى سماعى من أخى وما بقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه». ا. هـ.

(١) الشعب: الطريق الخفى بين جبلين. ويأجج: جبل بمكة.

(٢) رضمناها دوننا: أى جعلنا بعضها فوق بعض لتكون حاجزاً دوننا.

(٣) يخلى عليها: أى يجمع لها الخلاء، وهو الربيع، وإنما سمى الربيع خلاً لأنه يخلى: أى يقطع.

(٤) لا رجلة له: أى ليست به قدرة على أن يمشى على رجليه.

قال: ومضيت حتى أخرج على ضجنان[1]، ثم أويت إلى جبل، فأدخل كهفا، فبينا أنا فيه، إذ دخل على شيخ من بنى الديل أعور، فى غنيمة له، فقال: من الرجل؟ فقلت: من بنى بكر، فمن أنت؟ قال: من بنى بكر. فقلت: مرحبا، فاضطجع، ثم رفع عقيرته، فقال:

ولست بمسلم مادمت حيا ... ولا دانٍ لدين المسلمينا

فقلت فى نفسى: ستعلم، فأمهلته، حتى إذا نام أخذت قوسى، فجعلت سيتها[2] فى عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم، ثم خرجت النجاء، حتى جئت العرج، ثم سلكت ركوبه، حتى إذا هبطت النقيع، إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسان، فقلت استأسرا، فأبيا، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله، وأستأسر الآخر، فأوثقه رباطا، وقدمت به المدينة.[3]

**سرية زيد بن حارثة إلى مدين:** قال ابن هشام: وسرية زيد بن حارثة إلى مدين. ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين ابن على عليهم رضوان الله، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سبيا من أهل ميناء، وهى السواحل، وفيها جماع من الناس، فبيعوا، ففرق بينهم، فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون، «**فقال ما لهم**»؟ فقيل: يا رسول الله، فرق بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لاتبيعوهم إلا جميعا**»[4].

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

**سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك:** قال ابن إسحاق، وغزوة سالم بن عمير لقتل أبى عفك، أحد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبيده، وكان قد نجم[5] نفاقه، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت، فقال:

لقد عشت دهراً وما إن أرى ... من الناس دارا ولا مجمعا
أبر عهوداً وأوفى لمن ... يعاقد فيهم إذا ما دعا
من أولاد قيلة فى جمعهم ... يهد الجبال ولم يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم ... حلال حرام لشتى معا
فلو أن بالعز صدقتم ... أو الملك تابعتم تبعا

(١) ضجنان: اسم موضع. (٢) سيتها: طرفها.
(٣) إسناده ضعيف، فيه مجاهيل. وذكر هذا الخبر ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٦٨).
(٤) إسناده ضعيف لإرساله. (٥) نجم نفاقه: ظهر وبدا.

فقال رسول الله ﷺ: «من لى بهذا الخبيث»، فخرج سالم بن عمير، أخو بنى عمرو بن عوف، وهو أحد البكائين، فقتله؟ فقالت أمامة المزيرية فى ذلك:

تكذب دين الله والمرء أحمـــــدا ... لعمر الذى أمناك أن بئس ما يُمنى[١]

حباك حنيف[٢] آخر الليل طعنــة ... أبا عفك خذها على كبر الســـن[٣]

**غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان:** وغزوة عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان، وهى من بنى أمية بن زيد، فلما قتل أبو عفك نافقت، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه، قال: وكانت تحت رجل من بنى خطمة، ويقال له يزيد بن زيد فقالت، تعيب الإسلام وأهله:

باستِ بنى مالك والنبيت ... وعوف وباست بنى الخزرج

أطعتمَ أتاوىٍّ من غيركم ... فلا من مراد ولا مذحج[٤]

ترجونه بعد قتل الرءوس ... كما يرتجى مرق المنضبح[٥]

ألا أنف يبتغى غرة ... فيقطع من أمل المرتجِى[٦]

قال: فأجابها حسان بن ثابت، فقال:

بنو وائل وبنو واقف ... وخطمة دون بنى الخزوج

متى ما دعت سفها ويحها ... بعولتها والمايا تجى[٧]

فهزت فتى ماجداً عرقه ... كريم المداخل والمخرج

فضرجها من نجيع الدما ... ء بعد الهدو فلم يحرج[٨]

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك، ألا آخذ لى من ابنة مروان؟فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عدى الخطمى، وهو عنده؛ فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن قد قتلتها. فقال نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال: هل على شىء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان[٩].

---

(١) أمنال: أنساك. (٢) حباك: منحك وأعطاك. وحنيف: مسلم.

(٣) إسناده ضعيف لانقطاعه، فقد ذكره ابن إسحاق بدون إسناد، وذكره ابن سعد فى«الطبقات»(٢/ ١٩) بدون إسناد أيضًا.

(٤) الأتاوى: الغريب. ومراد ومذحج: قبيلتان من قبائل اليمن.

(٥) الرءوس: أشراف القوم. (٦) الأنف: الذى يرتفع عن الشىء ويكبر نفسه عنه. والغرة: الغفلة.

(٧) العولة: المرة من العويل، وهو البكاء مع ارتفاع صوت. وتجى: أصله تجىء بالهمز فخففه بحذفها.

(٨) ضرجها: لطخها. والنجيع ههنا: الكثير. وبعد الهدو: أى بعد ساعة من الليل. ولم يحرج: هو من الحرج وهو الإثم.

(٩) لا ينتطح فيها عنزان: معناه شأن قتلها حين لا يكون فيها طلب ثأر.

فرجع عمير إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم[١] فى شأن بنت مروان، ولها يومئذ بتون خمسة رجال، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله ﷺ؛ قال: يا بنى خطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدونى جميعا ثم لاتُنظرون. فذلك اليوم أول ماعز الإسلام فى دار بنى خطمة، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم، وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى، وهو الذى يدعى القارىء، وعبد الله بن أوس، وخزيمة بن ثابت، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان، رجال من بنى خطمة، لما رأوا من عز الإسلام.[٢]

**أمر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه**: بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال: خرجت خيل لرسول الله ﷺ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة، لا يشعرون من هو، حتى أتوا به رسول الله ﷺ؛ فقال: أتدرون من أخذتم؛ هذا ثمامة بن أثال الحنفى، أحسنوا إساره. ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله؛ فقال: اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه، وأمر بلقحته[٣] أن يغدى عليه بها ويراح؛ فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول أسلم يا ثمامة، فيقول: إيها[٤] يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسل ما شئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث؛ ثم قال النبى ﷺ يوما: «**أطلقوا ثمامة**»، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع، فتطهر فأحسن طهوره، ثم أقبل فبايع النبى ﷺ على الإسلام؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام، فلم ينل منه إلا قليلا، وباللقحة فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «**مم تعجبون؟ أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر، وأكل آخر النهار فى معى مسلم! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل فى معى واحد**»[٤].

قال ابن هشام: فبلغنى أنه خرج معتمرا، حتى إذا كان ببطن مكة لبى، فكان أول من دخل مكة يلبى، فأخذته قريش، فقالوا: لقد اخترت علينا، فلما قدموه ليضربوا عنقه؛ قال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم، فخلوه، فقال الحنفى فى ذلك:

---

(١) كثير موجهم: أراد به اختلاط كلامهم.
(٢) انظر «الطبقات»لابن سعد(٢/ ١٨).
(٣) اللقحة: الناقة التى لها لبن.
(٤) إيها: حسبك.
(٥) إسناده ضعيف ورواه البخارى بنحوه(٨/ ٨٧) كتاب المغازى، باب: وفد بنى حنيفة وحديث ثمامة بن أثال. ومسلم (٨٠٤٥) كتاب المغازى، باب: ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه. وأبوداود فى الجهاد(٢٦٧٩) باب: فى الأسير يوثق.

ومنا الذى لبى بمـــــــكة معلنا برغم أبى سفيان فى الأشهر الحرم

وحدثت أنه قال لرسول الله ﷺ، حين أسلم، لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلى، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إلى. وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك.

ثم خرج معتمرا، فلما قدم مكة، قالوا: أصبوت ياثمام؟ فقال: لا، ولكنى اتبعت خير الدين، دين محمد، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل.[1]

**سرية علقمة بن مجزز:** وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز.

لما قتل وقاص بن مجزز المدلجى يوم ذى قرد، سأل علقمة بن مجزز رسول الله ﷺ أن يبعثه فى آثار القوم، ليدرك ثأره فيهم.

فذكر عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان، عن أبى سعيد الخدرى، قال: بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز - قال أبو سعيد الخدرى: وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق، أذن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمى، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيه دعابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا، ثم قال للقوم: أليس لى عليكم السمع والطاعة؟ قال: بلى؛ قال: أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه؟ قالوا: نعم، قال: فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار؛ قال: فقام بعض القوم يحتجز[2]، حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال لهم: اجلسوا، فإنما كنت أضحك معكم، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: **«من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه»**[3].

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا.

**سرية كرز بن جابر لقتل ابجليين الذين قتلوا يسارا:** حدثنى بعض أهل العلم، عمن حدثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: أصاب رسول الله ﷺ فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار، فجعله رسول الله ﷺ فى

(١) انظر «فتح البارى» (٨/ ٨٨) و«الإصابة فى تمييز الصحابة» (١/ ٢٠٣)

(٢) يحتجز: يشد ثوبه على خصره.

(٣) رواه أحمد (٣/ ٦٧) وابن أبى شيبة فى «المصنف» (٧/ ٧٣٦) وابن ماجه (٢٨٦٣) وحسنه الألبانى فى «الصحيحة» (٢٣٢٤).

لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء[1]، فقدم على رسول الله ﷺ نفر من قيس كبة[2] من بجيلة، فاستوبئوا[3]، وطحلوا[4]، فقال لهم رسول الله ﷺ: لو خرجتم إلى اللقاح[5] فشربتم من ألبانها وأبوالها، فخرجوا إليها.

فلما صحوا وانطوت بطونهم[6]، عدوا على راعى رسول الله ﷺ يسار، فذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه، واستاقوا اللقاح. فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم كرز بن جابر، فلحقهم، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذى قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل [7] أعينهم.[8]

**غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن:** وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن، غزاها مرتين.

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدنى: بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد فى جند آخر، وقال: إن التقيتما فالأمير على بن أبى طالب.

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد فى حديثه، ولم يذكره فى عدة البعوث والسرايا فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعة وثلاثين.

**بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين وهو آخر البعوث:** قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم، من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون.

قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ.

## ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: فبينا الناس على ذلك ابُدىء رسول الله ﷺ بشكواه الذى قبضه

---

(١) الجماء: جبيل بالمدينة على ثلاثة أميال: من ناحية العقيق إلى الجرف.

(٢) قيس كبة: قبيلة من بجيلة.

(٣) استوبئوا: هو من الوباء، وهو كثرة الأمراض.

(٤) طحلوا: أى أصابهم وجع الطحال وعظمه.

(٥) اللقاح: الإبل ذوات اللبن، وأحدها لقحة.

(٦) انطوت بطونهم: صار فيها طرائق الشحم وعنكه.

(٧) سمل أعينهم: فقأها.

(٨) إسناده مرسل. ورواه الطبرانى موصولا من حديث سلمة بن الأكوع بإسناد صحيح كما قال الحافظ فى «الفتح» (١/ ٣٣٩) قلت: وأصل الحديث رواه البخارى (١/ ٣٣٥) كتاب الوضوء، باب: أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها. ومسلم (٤٢٧٥) كتاب الحدود، باب: حكم المحاربين والمرتدين. وأحمد(٣/ ١٠٧، ١٦٣، ١٧٠، ١٨٦، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٣٣، ٢٨٧، ٢٩٠) وأبو داود فى الحدود (٤٣٦٤، ٤٣٦٥، ٤٣٦٦) باب: ما جاء فى المحاربة. والنسائى فى «تحريم الدم»(٧/ ٩٣، ٩٤) باب: تأويل قول الله عز وجل ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون الأرض فساداً﴾ وابن ماجه (٢٥٧٨) والترمذى (٧٢).

الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، فى ليال بقين من صفر، أو فى أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك، فيما ذكر لى، أنه خرج إلى بقيع الغرقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدىء بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبدالله بن عمر، عن عُبيد بن حنين، مولى الحكم بن أبى العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبى مويهبة، مولى رسول الله ﷺ، قال: بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: يا أبا مويهبة، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معى، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى؛ ثم أقبل على، فقال: ياأبا مويهبة، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال: فقلت: بأبى أنت وأمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة؛ قال: لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربى والجنة، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذى قبضه الله فيه.[1]

**تمريضه فى بيت عائشة**: قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة، عن محمد ابن مسلم الزهرى؛ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى، وأنا أقول: وارأساه، فقال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه. قال: ثم قال: وما ضرك لو مت قبلى، فقمت عليك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟ قالت: قلت: والله لكأنى بك، لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتى، فأعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، وتتام به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استعزبه[2]،

(١) إسناده حسن. ورواه الحاكم (٣/ ٥٠- ٥٦) والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ١٦٢) والدولابى فى «الكنى» (٥٧- ٥٨، ٨٥) وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٢٧) والدارمى (٧٨) والطبرانى فى«الكبير» (٢٢/ ٣٤٦) (ح٨٧١، ٨٧٢) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم إلا أنه عجب بهذا الإسناد (فقد حدثنا) أبو العباس محمد بن يعقوب من أصل كتابه ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثنى عبد الله بن ربيعة عن عبيد بن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر عن أبى مويهبة رضى الله عنهم عن رسول الله ﷺ نحوه، ووافقه الذهبى. ورواه أحمد (٣/ ٤٨٨- ٤٨٩، ٤٨٩) والبزار(٨٦٣) من غير طريق ابن إسحاق، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٣/ ٥٩) إسناد أحمد والبزار كلاهما ضعيف. وقال فى(٩/ ٢٤) رواه أحمد والطبرانى بإسنادين ورجال أحدهما ثقات إلا أن الإسناد الأول عن عبيد بن حنين عن عبد الله ابن عمرو بن العاص عن أبى مويهبة، والثانى عن عبيد بن حنين عن أبى مويهبة». أهـ

(٢) استعز به: اشتد عليه.

وهو فى بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى، فأذِنَّ له.[1]

## ذكر أزواجه ﷺ

قال ابن هشام: وكن تسعا: عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة، وسودة بنت زمعة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رئاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، وصفية بنت حيى بن أخطب، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم.

**خديجة**: وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة: خديجة بنت خويلد، وهى أول من تزوج، زوجه إياها أبوها خُويلد بن أسد، ويقال أخوها عمرو بن خويلد، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بنى عبد الدار، فولدت له هند بن أبى هالة، وزينب بنت أبى هالة، وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله، وجارية.

قال ابن هشام: جارية من الجوارى، تزوجها صيفى بن أبى رفاعة.

**عائشة**: وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة، وهى بنت سبع سنين، وبنى بها المدينة، وهى بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها، زوجه إياها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

**سودة**: وتزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر لن لؤى، زوجه إياها سليطا بن عمرو، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

قال ابن هشام: ابن إسحاق يخالف هذا الحديث، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كان غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت.

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل.

---

(١) إسناده صحيح. ورواه أحمد (٦/ ٢٢٨) والدرامى (١/ ٥١)(ح٨٠) والنسائى فى «كتاب الوفاة» (٣) وابن ماجه (١٤٦٥) والدارقطنى (٢/ ٧٤) والبيهقى (٣/ ٣٩٦) من طريق ابن إسحاق.

**زينب بنت جحش**: وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية. زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها**﴾[1].

**أم سلمة**: وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند؛ زوجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها، وأصدقها رسول الله ﷺ فراشا حشوة ليف، وقدحا، ومجشة[2]؛ وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية.

**حفصة**: وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند خُنيس ابن حذافة السهمى.

**أم حبيبة**: وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبى سفيان بن حرب، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النجاشى عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وهو الذى كان خطبها على رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى.

**جويرية بنت الحارث**: وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصارى، فكاتبها على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها. فقال لها: هل لك فى خير من ذلك؟ قالت: وما هو؟ قال: أقضى عنك كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم، فتزوجها.

قال ابن هشام: حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، عن عائشة[3].

قال ابن هشام: ويقال: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث، فكان بذات الجيش، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء، فرغب فى بعيرين

(١) الأحزاب: ٣٧. (٢) المجشة: أراد بها الرحى وهى اسم آلة الجش. (٣) إسناد صحيح.

منها، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبى ﷺ، فقال: يا محمد، أصبتم ابنتى، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «**فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا**»؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، صلى الله عليك، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله تعالى، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبى ﷺ، ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها، وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها. فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائة درهم، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له عبد الله.[1]

قال ابن هشام: ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس، فأعتقها وتزوجها، وأصدقها أربعمائة درهم.

**صفية بنت حيى**: وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب، سباها من خيبر، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله ﷺ وليمة، ما فيها شحم ولا لحم، كان سويقا وتمرا، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق.

**ميمونة بنت الحارث**: وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هُزَم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى؛ ويقال: إنها التى وهبت نفسها للنبى ﷺ، وذلك أن خطبة النبى ﷺ انتهت إليها وهى على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى**﴾[2].

ويقال: إن التى وهبت نفسها للنبى ﷺ زينب بنت جحش، ويقال أم شريك، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر ابن لؤى، ويقال: بل هى امرأة من بنى سامة بن لؤى، فأرجأها رسول الله ﷺ.

**زينب بنت خزيمة**: وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبدالله عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تسمى أم المساكين؛

---

(١) ضعيف، فقد ذكره ابن هشام بدون إسناد، وقال الحافظ فى«الإصابة»(١/ ٢٨١) وذكر ذلك ابن عابد فى المغازى عن محمد بن شعيب عن عبد الله بن زياد منقطعًا.

(٢) الأحزاب: ٥٠.

لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم، زوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالى، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم. وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث، وهو ابن عمها.

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله ﷺ إحدى عشرة، فمات قبله منهن ثنتان: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة. وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما: أسماء بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضا فمتعها وردها إلى أهلها، وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ، استعاذت من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**منيعٌ عائذ الله**»، فردها إلى أهلها[1]، ويقال: إن التى استعاذت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان، ويقال إن رسول الله ﷺ دعاها، فقالت: إنا قوم نؤتى ولا نأتى؛ فردها رسول الله ﷺ إلى أهلها.

**القرشيات منهن**: القرشيات من أزواج النبى ﷺ ست: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، وحفصه بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤى، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، وأم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى.

**العربيات وغيرهن**: والعربيات وغيرهن سبع: زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هُزَم بن روبية بن عبد الله ابن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وزينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية، ثم المصطلقية، وأسماء بنت النعمان الكندية، وعمرة بنت يزيد الكلابية.

ومن غير العربيات: صفية بنت حيى بن أخطب، من بنى النضير.

---

(١) ذكره ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٦/٢٠٧) وقال: رواه هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

قال ابن إسحاق: حدثنى يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهرى، عن عبيد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبى ﷺ، قالت: فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن العباس. ورجل آخر، عاصبا رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيتى.

قال عبيد، فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس، فقال: هلى تدرى من الرجل الآخر قال: قلت: لا؟ قال: على بن أبى طالب.[١]

**اشتداد المرض:** ثم غمر رسول الله ﷺ، واشتد به وجعه، فقال هريقوا على سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم، قالت: فأقعدناه فى مخضب لحفصة بنت عمر، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول: حسبكم حسبكم[٢].

**خطبة للنبى وتفضيلة أبا بكر:** قال ابن إسحاق: وقال الزهرى: حدثنى أيوب بن بشير: أن رسول الله ﷺ خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. قال: ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد، فبكى وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال: على رسلك يا أبا بكر، ثم قال: انظروا هذه الأبواب اللافظة[٣] فى المسجد، فسدوها إلا بيت أبى بكر، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه.[٤]

قال ابن هشام. ويروى: إلا باب أبى بكر.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبى سعيد بن المعلى: أن رسول الله ﷺ، قال يومئذ فى كلامه هذا: فإنى لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده.[٥]

---

(١) إسناده صحيح. ورواه الحاكم ٣/ ٥٦)من طريق ابن إسحاق وقال صحيح الإسناد. ورواه عبد الرزاق(٥/ ٤٢٩).

(٢) رواه البخارى (١/ ٣٠٢) كتاب الوضوء، باب: الغسل والوضوء فى المخضب والقدح والخشب. والحجارة. والنسائى فى «كتاب الوفاة» (٧) وأحمد (٦/ ١٥١، ٢٢٨).

(٣) اللافظة: النافذة.

(٤) رواه البخارى بنحوه(١/ ٥٥٨) كتاب الصلاة، باب: الخوخة والممر فى المسجد. وأحمد (٢/ ٢٦، ٣/ ٨٨) وعبد الرزاق فى «المصنف» (٥/ ٤٣١) والترمذى (٣٧٣٥ و ٣٧٤٠).

(٥) فى سنده جهالة.

**أمره بانفاذ بعث أسامة:** وقال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد، وهو فى وجعه، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامة: أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقا لها[١].

قال: ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش[٢] الناس فى جهازهم، واستعز برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف، من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتتام إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامة والناس، لينظروا ما الله قاض فى رسول الله ﷺ.

**وصايته بالأنصار:** وقال ابن إسحاق: قال الزهرى: وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ: يا معشر المهاجرين، استوصوا خيرا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وأنهم كانوا عيبتى[٣] التى أويت إليها، فاحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم.[٤]

قال عبدالله: ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته، وتتام به وجعه، حتى غمُر.[٥]

**اللدود:** قال عبد الله: فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدوه[٦]، وقال العباس: لألدنه. قال: فلدوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ، قال: من صنع هذا بى؟ قالوا: يا رسول الله، عمك، قال: هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض، وأشار نحو أرض الحبشة؛ قال: ولم فعلتم ذلك؟ فقال عمه العباس: خشينا

---

(١) إسناده مرسل. ورواه بنحوه البخارى (١١/ ٥٢١) كتاب الإيمان والنذور، باب: قول النبى ﷺ: «وايم الله»، ومسلم (٦١٤٧) كتاب الفضائل، باب: فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضى الله عنهما. وأحمد (٢/ ٢٠ و٨٩ و ١٠٦ و ١١٠) والترمذى (٣٩٠٤) كتاب المناقب، باب: مناقب زيد بن حارثة رضى الله عنه.

(٢) انكمش الناس فى جهازهم: أسرعوا فيه. (٣) عيبتى: مكمن سرى.

(٤) إسناده مرسل. ورواه بنحوه البخارى (٧/ ١٢٠-١٢١) كتاب مناقب الأنصار، باب: قول النبى ﷺ: **«اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»**.

(٥) غمر: أصابته غمرة المرض. (٦) تقول: لددت المريض إذا جعلت الدواء فى شق فمه.

يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب، فقال: إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفنى به، لا يبق فى البيت أحد إلا لد إلا عمى، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة، لقسم رسول الله ﷺ، عقوبة لهم بما صنعوا به.[١]

**دعاؤه لأسامة بالاشارة:** قال ابن إسحاق: وحدثنى سعيد بن عبيد بن السباق، عن محمد بن أسامة، عن أبيه أسامة بن زيد، قال: لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أصمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىّ، فأعرف أنه يدعو لى.[٢]

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب الزهرى: حدثنى عُبيد بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ كثيرا ما أسمعه يقول: إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره، قالت: فلما حُضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة[٣]، قالت: فقلت: إذاً والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا: إن نبيا لم يقبض حتى يخير.

**أبو بكر يصلى بالناس:** قال الزهرى: وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر، أن عائشة قالت: لما استعز برسول الله ﷺ قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». قالت: يا نبى الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن. قال: «**مروه فليصل بالناس**». قالت: فعدت بمثل قولى، فقال: «**إنكن صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس**»[٤]، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر.

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب: حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب

---

(١) إسناده مرسل. ورواه البخارى بنحوه(٨/ ١٤٧)، ومسلم(٥٦٥٧)، وأحمد(٦/ ٥٣) من حديث عائشة رضى الله عنها. ورواه عبد الرزاق(٩٧٥٤) عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها. ورواه البيهقى فى«الدلائل» (٧/ ١٦٨ـ١٦٩) من طريق ابن إسحاق عن عائشة رضى الله عنها.

(٢) إسناده حسن ورواه أحمد (٥/ ٢٠١) والطبرانى (٣٧٧) والترمذى (٤٠٨٨) وحسنه الألبانى فى «صحيح سنن الترمذى» (٣/ ٢٣٢).

(٣) رواه البخارى بنحوه(٨/ ١٣٦) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ ووفاته ومسلم (٦١٧٨) كتاب الفضائل، باب: فضائل عائشة. والنسائى فى «الكبرى» كما فى «تحفة الإشراف» (١٢/ ٦) وابن ماجه (١٦٢٠) باب: ما جاء فى ذكر مرض رسول الله ﷺ والبيهقى فى«الدلائل»(٧/ ١٨٧ـ١٨٨).

(٣) رواه البخارى بنحوه(٢/ ٢٠٣) كتاب الأذان، باب: من أسمع الناس تكبير الإمام. وعبد الرزاق فى«المصنف» (٥/ ٤٣٢ـ٤٣٣).

ابن أسد، قال: لما استُعز برسول الله ﷺ وأنا عنده فى نفر من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: مروا من يصلى بالناس. قال: فخرجت فإذا عمر فى الناس. وكان أبو بكر غائبا؛ فقلت: قم يا عمر فصل بالناس قال: فقام، فلما كبر، سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلا مجهراً، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون»**: قال: فبعث إلى أبى بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس. قال: قال عبد الله بن زمعة. قال لى عمر: ويحك، ماذا صنعت بى يابن زمعة، والله ماظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس. قال: قلت والله ما أمرنى رسول الله ﷺ بذلك ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس.(١)

## اليوم الذى قبض الله فيه رسوله ﷺ

قال ابن إسحاق: وقال الزهرى: حدثنى أنس بن مالك. أنه لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله ﷺ، خرج إلى الناس، وهم يصلون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسول الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به، وتفرجوا فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم؛ قال: فتبسم رسول الله ﷺ سرورا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة، قال: ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح.(٢)

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة: أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته، لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر، ولكنه قال عند وفاته: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى، فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدا، وكان عمر غير متهم على أبى بكر.(٣)

---

(١) إسناده صحيح. ورواه ابن سعد فى«الطبقات»(٢/ ٢٠ـ٢١)، وذكر عبد الرزاق فى«المصنف»(٥/ ٤٣٢) فقال: قال معمر: قال الزهرى: وقال النبى ﷺ لعبد الله بن زمعة... فذكره.

(٢) رواه بنحوه البخارى(٢/ ١٦٤) كتاب الأذان، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ومسلم(٩١٩) كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر. والبيهقى فى«الدلائل»(٧/ ١٩٤).

(٣) إسناده مرسل ورواه بنحوه البخارى فى الأحكام (١٣/ ٢٠٥) باب: الاستخلاف. ومسلم (٤٦٣٢) كتاب المغازى، باب: الاستخلاف وتركه. وأحمد (١/ ٤٣، ٤٦ ، ٤٧).

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة، قال: لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبا رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ، فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: صل بالناس، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس، فكلمهم رافعا صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: «**أيها الناس، سعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون على بشيء؛ إني لم أحل إلا ما أحل القرآن؛ ولم أحرم إلا ماحرم القرآن**»[1].

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر: يا نبي الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، واليوم يوم بنت خارجة، أفآتيها؟ قال: نعم؛ ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح.

**شأن علي والعباس قبل وفاته:** قال ابن إسحاق: قال الزهري: وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس، خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال أصبح بحمد الله بارئا، قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا علي، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث[2]، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب؛ فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا، أمرناه فأوصى بنا الناس. قال فقال له علي إني والله لا أفعل؛ والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده.[3]

فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم.

**سواك الرسول قبل وفاته:** قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة، عن الزهري عن عروة، عن عائشة، قال: قالت: رجع إلى رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجري، فدخل علي رجل من آل أبي بكر،

---

(١) إسناده مرسل. ومتنه يخالف، الثابت عن رسول الله ﷺ من أنه كان يحرم أشياء لم يرد لها ذكر في القرآن كتحريم الجمع بين المرأة وخالتها والمرأة وعمتها وتحريم لحوم الحمر الأهلية وغير ذلك، ورواه البيهقي في«الدلائل»(٧/ ٢٠١) من طريق ابن إسحاق، دون قوله: «إني والله ما تمسكون. . . »إلخ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: هو كناية عمن يصير تابعًا لغيره، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأمورًا عليك، وهذا من قوة فراسة العباس رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري بنحوه(٨/ ١٤٢) كتاب المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته.

وفى يده سواك أخضر. قالت: فنظر رسول الله ﷺ إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده قالت: فقلت: يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: نعم، قالت: فأخذته فمضغته له حتى لينته، ثم أعطيته إياه: قالت: فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط، ثم وضعه، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل فى حجرى، فذهبت أنظر فى وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة؛ قالت: فقلت: خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق. قالت: وقبض رسول الله ﷺ.[1]

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: سمعت عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى وفى دولتى، لم أظلم فيه أحدا فمن سفهى وحداثة سنى أن رسول الله ﷺ قبض وهو فى حجرى، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم[2] مع النساء، وأضرب وجهى.[3]

**مقالة عمر بعد وفاته:** قال ابن إسحاق: قال الزهرى، وحدثنى سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة، قال: لما توفى رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب، فقال: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفى، وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات؛ ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات.

**شأن أبى بكر بعد وفاته:** قال وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على رسول الله ﷺ فى بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مسجى[4] فى ناحية البيت، عليه برد حبرة[5]، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ. قال: ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: بأبى أنت وأمى، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا. قال: ثم رد البرد على رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

---

(١) إسناده صحيح ورواه أحمد (٦/ ٢٧٤) من طريق ابن اسحاق وروى نحوه البخارى (٨/ ١٣٦) كتاب المغازى، باب: مرض النبى ﷺ ووفاته.

(٢) ألتدم: أضرب صدرى.

(٣) إسناده صحيح. ورواه أحمد (٦/ ٢٧٤). والطبرى فى«تاريخه»(٣/ ١٩٩) من طريق ابن إسحاق.

(٤) مسجى: مغطى الوجه. (٥) هو ضرب من ثياب اليمن.

أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت. قال: ثم تلا هذه الآية: **﴿وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزى الله الشاكرين﴾**(١).

قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ؛ قال وأخذها الناس عن أبى بكر، فإنما هى فى أفواههم؛ وقال: فقال أبو هريرة: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات.(٢)

## أمر سقيفة بنى ساعدة

قال ابن إسحاق: ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، واعتزل على بن أبى طالب والزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر، وانحاز معهم أسيد بن حضير، فى بنى عبد الأشهل، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر؛ فقال: إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة، قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم، ورسول الله ﷺ فى بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبى بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هم عليه.

قال ابن إسحاق: وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار، أن عبد الله بن أبى بكر، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرنى عبد الرحمن بن عوف، قال: وكنت فى منزله بمنى أنتظره، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر، قال: فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره، وكنت أقرئه القرآن، قال ابن عباس، فقال لى عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك فى فلان يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت، قال: فغضب عمر، فقال: إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢)إسناده صحيح. ورواه البخارى بنحوه(٣/ ١١٣) كتاب الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج فى أكفانه وأحمد (٦/ ١١٧) والنسائى فى الجنائز (٤/ ١١) باب: تقبيل الميت.

أن يغصبوهم أمرهم، قال عبدالرحمن: فقلت: ياأمير المؤمنين لاتفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم[1]، وإنهم هم الذين يغلبون على قربك، حين تقوم فى الناس، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير، ولا يَعوها ولا يضعوها على موضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا، فيعى أهل الفقه مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال: فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

**عمر يذكر البيعة لأبى بكر:** قال ابن عباس: فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلا ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلا، قلت لسعيد ابن زيد: ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف، قال: فأنكر على سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون، قام فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال: أما بعد، فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لى أن أقولها، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب على؛ إن الله بعث محمدا، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها وعلمناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان يقول قائل: والله مانجد الرجم فى كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم فى كتاب الله[2] حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، وإذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: **﴿لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم﴾**[3] إلا أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تطرونى[4] كما أطرى عيسى بن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله»**؛ ثم إنه قد بلغنى

(١) الرعاع: سقاط الناس. والغوغاء: سفال الناس.

(٢) يقصد عمر بقوله: «وإن الرجم فى كتاب الله حق» يقصد الآية التى كانت فى كتاب الله عز وجل ونسخ رسمها وبقى حكمها وهى قوله: «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» وقال عمر بن الخطاب: قد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعد، ولولا أن يقولوا كتب عمر ما ليس فى كتاب الله لكتبته قد قرأناها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم. وأخرج هذه الجملة النسائى وصححه الحاكم من حديث أبى بن كعب كما فى «الفتح» (١٢/١٤٣).

(٣) وهذا أيضا مما نسخت تلاوته كما فى «الفتح» (١٢/١٤٩).

(٤) لا تطرونى: أى لا تمدحونى كمدح النصارى حتى غلا بعضهم فى عيسى فجعله إلهاً مع الله وبعضهم ادعى أنه هو الله، وبعضهم ابن الله «الفتح» (١٢/١٤٩).

أن فلانا قال: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، فلا يغرن امرءاً أن يقول: إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة، وتخلف عنا على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر، فقلت لأبى بكر: انطلق بنا إلى أخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم، وقال: أين تريدون يامعشر المهاجرين؟قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالا: فلا عليكم ألا تقربوهم يامعشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قال: قلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل[١] فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟فقالوا: وجع. فلما جلسنا نشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة[٢] من قومكم، قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد زورت[٣] فى نفسى مقالة قد أعجبتنى، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر، وكنت أدارى منه بعض الحد[٤]، فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر، فكرهت أن أغضبه، فتكلم، وهو كان أعلم منى وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته، أو مثلها أو أفضل، حتى سكت؛ قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين؛ فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئا مما قاله غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى، لا يقربنى ذلك إلى إثم، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب[٥]، منا أمير ومنكم

---

(١) مزمل: ملتف، من تزمل الرجل إذا التف فى كساء أو نحوه.

(٢) الدافة: الجماعة تأتى من البادية إلى الحاضرة.

(٣) زورت مقالة: أعددتها وحسنتها فى نفسى.

(٤) يريد أنه كان فى أخلاقه بعض الحدة فكان جهد عمر أن يداريه.

(٥) الجذيل: تصغير جذل، وهو عود ينصب فى وسط الإبل تحتك به وتستريح إليه، والعرب تضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه. والعذيق: تصغير عذق، وهو النخلة نفسها. والمرجب: الذى تبنى إلى جانبه دعامة لكثرة حمله وعزه على أهله، ويضرب به المثل فى الرجل الشريف العظيم.

أمير يامعشر قريش. قال: فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى تخوفت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك ياأبا بكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا[١] على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. قال فقلت: قتل الله سعد بن عبادة.[٢]

قال ابن إسحاق: قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة، والآخر معن بن عدى، أخو بنى العجلان. فأما عويم بن ساعدة، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عز وجل لهم: ﴿**فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**﴾[٣]؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم المرء منهم عويم بن ساعدة. وأما معن بن عدى، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل، وقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتتن بعده. قال معن بن عدى: لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر، يوم مسيلمة الكذاب.

**خطبة عمر بعد البيعة لأبى بكر:** قال ابن إسحاق: وحدثنى الزهرى، قال: حدثنى أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبى بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إنى كنت قلت لكم أمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله، ولا كانت عهدا عهد إلى رسول الله ﷺ ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا؛ يقول: يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة.

**خطبة أبى بكر بعد البيعة:** فتكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذى هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى؛ وإن أسأت فقومونى؛ الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى

---

(١) نزونا: وثبنا.

(٢) إسناده صحيح. ورواه البخارى بنحوه(١٢/ ١٤٤ـ ١٤٥) كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت. ومسلم (٤٣٣٩) كتاب الحدود، باب: رجم الثيب الزانى. مختصراً.

(٣) التوبة: ١٠٨.

عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.(١)

قال ابن إسحاق: وحدثنى حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجه له، وفى يده الدرة، وما معه غيرى، قال وهو يحدث نفسه، ويضرب وحشى(٢) قدمه بدرته، قال: إذ التفت إلى، فقال: يابن عباس هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: لا أدرى يا أمير المؤمنين، أنت أعلم، قال فإنه والله، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾(٣)، فوالله، إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذى حملنى على أن قلتُ ما قلت.(٤)

## جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

**من تولى غسله:** قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أن على بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقُثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ، هم الذين ولوا غسله، وأن أوس بن خولى، أحد بنى عوف بن الخزرج، قال لعلى بن أبى طالب: أنشدك الله يا على وحظنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه، هما اللذان يصبان الماء عليه، وعلى يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه، لا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ، وعلى يقول: بأبى أنت وأمى، ما أطيبك حياً وميتا. ولم ير من

---

(١) إسناده صحيح. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٢١٠) من طريق ابن إسحاق. ورواه البيهقى من طريق آخر فى «الاعتقاد» ص٣٤٨.

(٢) وحشى: خارج.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) إسناده ضعيف، حسين بن عبد الله ضعيف كما فى «التقريب» (١/ ١٧٦).

رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت.[1]

**كيفية غسله:** وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة، قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه. فقالوا: والله ما ندرى، أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى مامنهم رجل إلا ذقنه فى صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبى وعليه ثيابه، قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه والقميص دون أيديهم.[1]

**تكفينه:** قال ابن إسحاق: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفن فى ثلاثة أثواب، ثوبين صحاريين[2] وبرد حبرة، أدرج فيها إدراجا، كما حدثنى جعفر بن محمد ابن على بن الحسين، عن أبيه، عن جده على بن الحسين والزهرى، عن على بن الحسين.

**القبر:** قال ابن إسحاق: وحدثنى حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كَحَفْر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذى يحفر لأهل المدينة، يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة، اللهم خر لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة، فجاء به، فلحد لرسول الله ﷺ.

**الصلاة عليه ودفنه:** فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وضع فى سريره فى بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه. فقال قائل: ندفنه فى مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض: فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه، فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالا، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أدخل النساء، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان. ولم يؤم الناس على

---

(١) روى البيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٢٤٣) عن إسماعيل بن أبى خالد عن عامر قال: قلت من غسَّل النبى ﷺ قال: غسله على وأسامة والفضل بن العباس، قال: وادخلوه فى قبره وكان على يقول وهو يغسله: بأبى أنت وأمى - طيبًا حيًا وميتًا.

(٢) إسناده صحيح. ورواه الحاكم (٣/ ٩-٦٠) والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٢٤٢) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٣) صحاريين: نسبة إلى صحار وهى بلدة من بلاد اليمن.

رسول الله ﷺ أحد.

ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء.[1]

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن امرأته فاطمة بنت محمد، عن عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة، عن عائشة رضى الله عنها: قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل من ليلة الأربعاء.[2]

**من تولى دفنه:** وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ.

وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب: يا على، أنشدك الله، وحظنا من رسول الله ﷺ، فقال له: أنزل، فنزل مع القوم، وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله ﷺ فى حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، فدفنها فى القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا.

قال: فدفنت مع رسول الله ﷺ.[3]

**أحدث الناس عهداً به:** وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهدا برسول الله ﷺ يقول: أخذت خاتمى، فألقيته فى القبر، وقلت: إن خاتمى سقط منى، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ، فأكون أحدث الناس عهدا به ﷺ.[4]

قال ابن إسحاق: فحدثنى أبى إسحاق بن يسار، عن مقسم أبى القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع على بن طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبى طالب، فلما فرغ من عمرته رجع فسُكب له غسل، فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا الحسن، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه؟ قال: أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً

---

(١) إسناده ضعيف لضعف حسين بن عبد الله. ورواه البيهقى فى «الدلائل»(٧/ ٢٥٤)وأبو يعلى كما فى«البداية والنهاية»(٥/ ٢٦٦) وابن ماجه(١٦٢٨) وقال البوصيرى فى«مصباح الزجاجة»(١/ ٥٤٢) هذا إسناد فيه الحسين بن عبد الله بن عباس الهاشمى تركه الإمام أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى والنسائى وقال البخارى: يقال إنه كان يتهم بالزندقة وقواه ابن عدى، وباقى رجال الإسناد ثقات. اهـ. وقال الألبانى فى«ضعيف ابن ماجه» (ص١٢٥) ضعيف لكن قصة الشقاق واللاحد ثابتة.

(٢) إسناده ضعيف. ورواه البيهقى فى«الدلائل»(٧/ ٢٥٦) . والطبرى فى«تاريخه»(٣/ ٢١٣) من طريق ابن إسحاق.

(٣) إسناده ضعيف، فهو جزء من حديث ابن عباس الذى سبق تخريجه ص٢١٦.

(٤) ضعيف لانقطاعه، فقد أورده ابن إسحاق بدون إسناد. ورواه البيهقى فى«الدلائل»(٧/ ٢٥٧).

برسول الله ﷺ قالوا: أجل، عن ذلك جئنا نسألك؛ قال: كذب، قال: أحدث الناس عهدا برسول الله ﷺ قثم بن عباس.[1]

**خميصة الرسول السوداء:** قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عائشة حدثته، قالت: كان على رسول الله ﷺ وسام خميصة سوداء حين اشتد به وجعه، قالت: فهو يضعها مرة على وجهه، ومرة يكشفها عنه، ويقول: قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر من ذلك على أمته.[2]

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «**لا يترك بجزيرة العرب دينان**»[3].

**افتتان المسلمين بعد موته:** قال ابن إسحاق: ولما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول: لما توفى رسول الله ﷺ ارتد العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبى بكر.

قال ابن هشام: حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتاب بن أسيد[4]، فتوارى فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به، وظهر عتاب بن أسيد.[5]

فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب: إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه.

**حسان بن ثابت يرثى الرسول:** وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله ﷺ فيما حدثنا ابن هشام، عن أبى زيد الأنصارى:

---

(١) إسناده حسن. ورواه البيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٢٥٧). والطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٢١٤) من طريق ابن إسحاق.

(٢) إسناده صحيح. ورواه بنحوه البخارى (١/ ٥٣٢) كتاب الصلاة. ومسلم (١٦٧) كتاب الصلاة، باب: النهى عن بناء المساجد على القبور.

(٣) إسناده صحيح. ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ٢١٤-٢١٥) من طريق ابن إسحاق.

(٤) كان عتاب بن أسيد والياً على مكة حين وفاة النبى ﷺ.

(٥) إسناده ضعيف لانقطاعه.

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد[1]
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقى معالم ... وربع له فيه مُصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآى منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبراً بها واراه فى الترب ملحد
ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تُسعد[2]
يذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها محصيا نفسى فنفسى تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاء الرسول تعدد[3]
وما بلغت من كل أمر عشيره ... ولكن لنفسى بعدُ ما قد توَّجد[4]
أطالت وقوفا تذرف العين جُهدها ... على طلل القبر الذى فيه أحمد
فبوركت ياقبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا ... عليه بناء من صفيح منضد[5]
تهيل عليه الترب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة ... عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكى السموات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد؟!
تقطع فيه منزل الوحى عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد[6]
يدل على الرحمن من يقتدى به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا ... معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يحسنوا فالله الخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم فى نعمة الله بينهم ... دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لا يثنى جناحه ... إلى كنف يحنو عليهم ويمهد

---

(١) الرسم: ما بقى من آثار الديار. وتعفو: تدرس. وتمهد: تبلى.
(٢) أسعدت: أعانت. (٣) شفها: أضعفها.
(٤) عشيره: عشره. وتوجد: من الوجد وهو الحزن.
(٥) الصفيح: الحجارة. ومنضد: بعضه فوق بعض.
(٦) يغور: من الغور وهو ما انخفض من الأرض. وينجد: من النجد وهو ما ارتفع من الأرض.

فبينا هم فى ذلك النور إذ غدا    على نورهم سهم من الموت مُقصد[1]

فأصبح محموداً إلى الله راجعا    يبكّية حتى المرسلات ويحمد[2]

وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها    لغيبة ما كانت من الوحى تعهد

قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها    فقيد يبكينه بلاط وغرقد[3]

ومسجده فالموحشات لفقده    خلاء له فيه مقام ومقعد

وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت    ديار وعرصات وربع ومولد

فبكى رسول الله ياعين عبرة    ولا أعرفنك الدهر دمعك يجعد

ومالك لا تبكين ذا النعمة التى    على الناس منها سابغ يتغمد

فجودى عليه بالدموع وأعولى    لفقد الذى لا مثله الدهر يوجد

وما فقد الماضون مثل محمد    ولا مثله حتى القيامة يفقد

أعف وأوفى ذمة بعد ذمة    وأقرب منه نائلا لا يُنكد[4]

وأبذل منه للطريف وتالد    إذا ضن معطاء بما كان يتلد[5]

وأكرم صيتا فى البيوت إذا انتمى    وأكرم جدا أبطحيا يسود[6]

وأمنع ذروات وأثبت فى العلا    دعائم عز شاهقات تشيد[7]

وأثبت فرعا فى الفروع ومنبتا    وعودا غذاه المزن فالعود أغيد[8]

رباه وليدا فاستتم تمامه    على أكرم الخيرات رب ممجد

تناهت وصاة المسلمين بكفه    فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند[9]

أقول ولا يلقى لقولى عائب    من الناس إلا عازب العقل مبعد[10]

وليس هواى نازعا عن ثنائه    لعلى به فى جنة الخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره    وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

وقال حسان بن ثابت أيضا، يبكي رسول الله ﷺ:

ما بال عينك لا تنام كأنما    كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدىّ أصبح ثاويا    يا خير من وطىء الحصى لاتبعد

وجهى يقيك الترب لهفى ليتنى    غُيبت قبلك فى بقيع الغرقد[11]

بأبى وأمى من شهدت وفاته    فى يوم الاثنين النبى المهتدى

---

(١) مقصد: مصيب: اسم فاعل من أقصد.

(٢) المرسلات: الملائكة.

(٣) ضافها: نزل بها. والبلاط: ما استوى من الأرض. والغرقد: شجر.

(٤) لا ينكد: لا يكدر.

(٥) الطريف: ما استحدث من المال. والتالد: المال الموروث. ويتلد: يكتسب قديماً.

(٦) الصيت: الذكر الحسن. والأبطحى: المنسوب إلى أبطح مكة.

(٧) الذروات: الأعالى.

(٨) المزن: السحاب. وأغيد: ناعم

(٩) يفند: يخطا.

(١٠) عازب العقل: بعيد العقل غائبه.

(١١) بقيع الغرقد: مدافن أهل المدينة.

فظللت بعد وفاته متبلدا ... متلددا ياليتنى لم أولد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ... ياليتنى صُبحت سم الأسود[1]
أو حل أمر الله فينا عاجلا ... فى روحة من يومنا أو من غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا ... محضا ضرائبه كريم المحتد[2]
يا بكر آمنة المبارك بكرها ... ولدته محصنة بسعد الأسعد
نورا أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدى
يارب فاجمعنا معا ونبيتا ... فى جنة تشنى عيون الحسد[3]
فى جنة الفردوس فاكتبها لنا ... ياذا الجلال وذا العلا والسودد
والله أسمع ما بقيت بهالك ... إلا بكيتِ على النبى محمد[4]
ياويح أنصار النبى ورهطه ... بعد المغيَّب فى سواء الملحد
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا ... سودا وجوههم كلون الإثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره ... وفضول نعمته بنا لم نجحد
والله أكرمنا به وهدى به ... أنصاره فى كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله ﷺ:

نبّ المساكين أن الخير فارقهم ... مع النبى تولى عنهم سحرا[5]
من ذا الذى عنده رحلى وراحلتى ... ورزق أهلى إذا لم يؤنسوا المطر
أم من نعاتب لا نخشى جنادعه ... إذا اللسان عتا فى القول أو عثرا[6]
كان الضياء وكان النور نتبعه ... بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحده ... وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحد ... ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بنى النجار كلهم ... وكان أمراً من أمر الله قد قدرا
واقتسم الفىء دون الناس كلهم ... وبددوه جهاراً بينهم هدرا

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله ﷺ أيضًا:

آليت ما فى جميع الناس مجتهداً ... منى ألية بر غير إفناد[7]
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... مثل الرسول نبى الأمة الهادى

---

(١) صبحت سم الأسود: أى سقيت صباحاً سم الأسود، والأسود نوع من الحيات.
(٢) الضرائب: الطبائع. والمحتد: الأصل.
(٣) تشنى: تبعد.
(٤) والله أسمع: أى والله لا أسمع.
(٥) نبّ: نبىء: سهل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناه على حذف حرف العلة كما يُبنى المُعتل.
(٦) الجنادع: أوائل الشر.
(٧) الألية: اليمين. والأفناد: الخطأ والعيب.

ولا برا الله خلقا من بريته أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذى كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد أيقن بالبؤس بعد النعمةَ البادى[1]
يا أفضل للناس إنى كنت فى نهر أصبحت منه كمثل المفرد الصادى[2]

قال ابن هشام: عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق.

*****

(١) المباذل: الأثواب التى تستعمل يومياً أو الأثواب الخَلِقَة.
(٢) الصادى: الشديد العطش.

## تمت السيرة

وجد بآخر نسخة من الأصول ما نصه: وهذا آخر الكتاب والحمد لله كثيراً، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار الراشدين.

أنشدنى أبو محمد بن عبد الواحد، عن محمد بن عبد الرحمن البرقى، قال: أوعب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال من فصحاء العرب فقال:

تم الكتاب وصار فى العرض — عشرين جزءًا كلها ترضى
كملت بلا لحن ولا خطل — فى الشكل والإعجام والقرض
والحمل حق صح ناقله — بعض من العلماء عن بعض

**وقال محققه أبو عبد الرحمن/ محمد بن بيومى**

**عفا الله عنه.**

تم الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه فى مساء يوم السبت السادس من جمادى الأولى ١٤١٦ هجرية الموافق ٣٠/ ٩/ ١٩٩٥م.

**والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات..**

**وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.**

# فهرس الجزء الرابع

*****

رقم الايداع
٢٠٠٦/٢٣٧٠٣

مكتبة الإيمان
المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢